

مسئلة التراث والترسانة الجامعية (٢٤٨)

# الرحلة بين الحقيقة والعلاقات الإجتماعية

تأليف  
ثريا بنت إبراهيم بن محمد السيف

الجزء الأول

مكتبة الرشيد  
تأليفون

**الصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية**

# سَعِيدُ الرَّقْمِ الرَّقْمِي

أصل هذا الكتاب رسالة علمية نالت بها  
المؤلفة درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع  
مرتبة الشرف الأولى من قسم العقيدة  
والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين،  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
بالرياض، وتمت مناقشتها يوم الأربعاء

١٤٣٣/٦/٢٥ هـ

ح مكتبة الرشد، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السيف، ثريا إبراهيم

الصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية. / ثريا إبراهيم السيف. -  
الرياض، ١٤٣٣ هـ.

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٠١-٩٦٨-٠٠

١- الإسلام والمجتمع ٢- العقيدة الإسلامية

١٤٣٤/٦٤٢٩

ديوي ٢١٩

رقم الإيداع ١٤٣٤/٦٤٢٩

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٠١-٩٦٨-٠٠

الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣ م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

الإدارة: مركز البستان - طريق الملك فهد - هاتف: ٤٦٠٤٨١٨

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - فاكس: ٤٦٠٢٤٩٧

E-mail: info@rushd.com.sa

Website: www.rushd.com.sa



### فروع المكتبة داخل المملكة

- \* الرياض: المركز الرئيسي: الدائري الغربي، بين مخرجي ٢٧ و ٢٨ - هاتف: ٤٣٢٩٣٣٢
- \* الرياض: فرع طريق عثمان بن عفان - هاتف: ٢٠٥١٥٠٠
- \* فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- \* فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٣٤٢٧
- \* فرع جدة: حي الجامعة: شارع باخشب: هاتف: ٦٣٣١١٨٢ - فاكس: ٦٣٣٠٣١٥
- \* فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
- \* فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦
- \* فرع الأحساء: هاتف: ٥٨١٣٠٢٨ - فاكس: ٥٨١٣١١٥
- \* فرع تبوك: هاتف: ٤٢٤١٦٤٠ - فاكس: ٤٢٣٨٩٢٧
- \* فرع القاهرة: شارع إبراهيم أبو النجا - مدينة نصر - هاتف: ٢٢٧٢٨٩١١ - فاكس: ٢٢٧١٣٦٢٥

### مكاتبنا بالخارج

- \* القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣ - فاكس: ٢٢٧١٣٦٢٥
- \* بيروت: تليفاكس: ٠١/٨٠٧٤٧٧ - موبايل: ٠٣/٢٠٧٤٨٨
- \* الإمارات العربية المتحدة: دبي: منطقة الرقة: هاتف: ٠٠٩٧١٥٢٩٤٨٨٦٧٨ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٥٦٧٩٠٦



## المقدمة



الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، نبينا محمد المبعوث ليلبغ رسالة التوحيد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.  
وبعد،

فإن العبد في هذه الحياة الدنيا لا يعيش منفرداً وحيداً، ولا بد له من مجتمع يعيش في كنفه، ولا بد أن تربطه بمن يعيش معهم علاقات اجتماعية يفرضها عليه الواقع، فهو إن لم يكن يعيش في أسرة فلا بد له من علاقات أخرى كالجوار أو الصحبة، وإذا كان لا بد له من أناس يعيش معهم فلا بد من التأثير بهم حسب طبيعته، ومن أهم الآثار التي تتركها هذه العلاقات الآثار العقيدية على دين الفرد سلباً أو إيجاباً، كما أن العقيدة لها أكبر الأثر على العلاقات الاجتماعية، ومن هنا يتبين وجود الرابطة الوثيقة والصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية.  
وبعد أن استخرت رب العالمين، واستشرت من أثق برأيهم وعلمهم.

كان عنوان هذا البحث :

(الصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية)





### أهمية الموضوع وسبب اختياره:

١. يستمد هذا الموضوع أهميته من أهمية صحة العقيدة حيث إن سلامة عقيدة العبد مما يشوبها عليها مدار صحة العمل كله.
٢. أننا في زمن الفتن المتتابة التي تؤثر على عقيدة المسلم ولا عاصم اليوم منها إلا من رحم الله.
٣. أن المتأمل في الكتاب والسنة يجد نصوصاً ليست بالقليلة تدل على الصلة الوثيقة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية.
٤. الانفتاح الكبير على المجتمعات الأخرى والذي نعيشه الآن مما كان سبباً في نقل ثقافات وعقائد الأمم الأخرى، والتي كانت بعيدة كل البعد عن مجتمعنا المسلم ردحا من الزمن.
٥. أهمية توعية المسلمين بالسبل والطرق المعينة على تحصين عقيدة التوحيد مما يشوبها أو ينقضها.

### هدف البحث:

عرض أسس العقيدة الصحيحة، وبيان الصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية باختلاف أنماطها، وإيضاح أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية، وأثر العلاقات الاجتماعية على العقيدة سلباً أو إيجاباً.

### الدراسات السابقة:

بحثت في الرسائل الجامعية فلم أجد أن هذا الموضوع سبق بحثه، ولم أجد سوى ما يأتي :

١. (أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية من الأفكار الهدامة)،

للباحث: عبدالله الجربوع، الجامعة الإسلامية، ١٤١٣ هـ.



٢. (أثر الإيمان في تحقيق الأمن وثماره في الدولة السعودية)، للباحثة: نادية الهلالي، جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ.
٣. (أثر الإيمان في تنشئة العمل الاجتماعي وتطبيقاته في المنطقة الشرقية) للباحث : أحمد البوعلي، جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ.
٤. (أثر العقيدة في وحدة الأمة الإسلامية) للباحثة : منال بنونة، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.
- وبعض هذه البحوث تناول جزءاً من موضوع بحثي، ولكنها تتفق بأنها لم تتطرق للصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية، وهو صلب موضوعي .
٥. (المسائل العقدية المتعلقة بالأقليات الإسلامية). رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث : عبد المنعم عبد الغفور، جامعة أم القرى، عام: ١٤٢٥ / ١٤٢٦هـ، وقد تبين أنها ليس لها علاقة بما أريد بحثه.
- خطة البحث:**

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة.

أما المقدمة، فتشتمل على:

١. أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢. هدف البحث.

٣. منهج البحث.

٤. الدراسات السابقة.





٥. خطة البحث.

وأما التمهيد ففيه، شرح مفردات العنوان:

١. المراد بالصلة

٢. تعريف العقيدة.

٣. المراد بالعلاقات الاجتماعية.

الباب الأول: العقيدة الصحيحة وأثرها على العلاقات الاجتماعية.

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول:

أدلة الكتاب والسنة على أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أدلة القرآن الكريم على أثر العقيدة على العلاقات

الاجتماعية .

المبحث الثاني: أدلة السنة النبوية على تأثير العقيدة على العلاقات

الاجتماعية.

المبحث الثالث: شواهد وتطبيقات من حياة الصحابة والسلف

على تأثير العقيدة على العلاقات الاجتماعية.

الفصل الثاني:

آثار أصول العقيدة الإسلامية على المجتمع .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: أثر الإيمان بالله على أفراد المجتمع





- المبحث الثاني: أثر الإيمان بالملائكة على أفراد المجتمع .
- المبحث الثالث: أثر الإيمان بالرسول والكتب على أفراد المجتمع.
- المبحث الرابع: أثر الإيمان اليوم الآخر على أفراد المجتمع.
- المبحث الخامس: أثر الإيمان بالقدر خيره وشره على أفراد المجتمع.

### الفصل الثالث:

- أثر العقيدة الصحيحة على ترابط المجتمع وأمنه وتمكينه.
- وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: أثر عقيدة التوحيد على ترابط المجتمع.
- المبحث الثاني: أثر عقيدة التوحيد على أمن المجتمع.
- المبحث الثالث: أثر تحقيق عقيدة التوحيد على المجتمع في الاستخلاف والتمكين في الأرض.

### الفصل الرابع:

- أثر العقيدة الصحيحة في تطهير المجتمع من الشرك والبدع والأفكار المنحرفة.
- وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: أثر العقيدة في التطهير من الشرك.
- المبحث الثاني: أثر العقيدة في التطهير من البدع.
- المبحث الثالث: أثر العقيدة في التطهير من الأفكار المنحرفة.

### الفصل الخامس:

- عقيدة الولاء و البراء وأثرها على المجتمع.





وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الولاء للإسلام والمسلمين على المجتمع.

المبحث الثاني: أثر البراء من الشرك وأهله على المجتمع.

### الفصل السادس:

وسائل تثبيت العقيدة في المجتمع.

المبحث الأول: التعليم.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: الدعوة.

المبحث الرابع: القدوة الحسنة.

المبحث الخامس: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

الباب الثاني: أثر العلاقات الاجتماعية على العقيدة.

وفيه ثلاثة فصول:

### الفصل الأول:

أدلة الكتاب والسنة على تأثير العلاقات الاجتماعية على العقيدة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أدلة القرآن الكريم على تأثير العلاقات الاجتماعية

على العقيدة سلبا وإيجابا.

المبحث الثاني: أدلة السنة النبوية على تأثير العلاقات الاجتماعية

على العقيدة سلبا وإيجابا.

المبحث الثالث: شواهد وتطبيقات من حياة الناس على تأثير

العلاقات الاجتماعية على العقيدة سلبا وإيجابا.



## الفصل الثاني:

عوامل تأثير العلاقات الاجتماعية على العقيدة .  
وفي أربعة مباحث:

المبحث الأول: التنشئة العقدية.

المبحث الثاني: الخلطة بالآخرين.

المبحث الثالث: طبيعة البيئة ونظام الدولة.

المبحث الرابع: العولمة الاجتماعية والإعلامية.

## الفصل الثالث:

أثر التعامل مع الآخرين على العقيدة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر التعامل مع المسلم على العقيدة.

المبحث الثاني: أثر التعامل مع الكافر على العقيدة.

المبحث الثالث: أثر التعامل مع المبتدع على العقيدة.

## الخاتمة.

## الفهارس:

وتشتمل على فهرس للآيات القرآنية، وللأحاديث النبوية، لتراجم  
الأعلام، وللمصادر والمراجع، وللموضوعات .

## منهجي في البحث:

اتبعت بعون الله المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي على النحو

التالي:

أولاً: استقرأت المسائل العقدية المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية





من خلال نصوص الكتاب والسنة وكتب أهل العلم وتصنيفاتهم.

ثانيا: درست هذه المسائل وبينت أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية، وتأثير العلاقات الاجتماعية على العقيدة في نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف وأهل العلم.

ثالثا: عُنيت بالوقائع المعاصرة المستجدة المتعلقة بالموضوع. رابعا: كانت دراسة مسائل البحث وفق المنهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة.

خامسا: في مجال التوثيق ذكرت بعد الآية اسم السورة ورقم الآية.

وخرجت الأحاديث من كتب السنة فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كانت في باقي الكتب الستة خرجتها منها، وإلا من بقية كتب السنة، ثم أتبع ذلك بأقوال أهل العلم التي تبين درجة الحديث.

وترجمت للأعلام غير المشهورين، وعرفت بالأماكن التي ورد ذكرها في البحث في أول موطن ترد فيه .





## شكر ودعاء



أحمد الله تعالى وأثني عليه الخير كله على عظيم منته، وكريم فضله، وجوده وإحسانه، أن يسر لي طريق العلم، وشرح صدري لاختيار هذا الموضوع الذي لمست أثره على نفسي أثناء البحث فيه، ثم أمدني بالعون على هذا البحث الذي أسأله أن يكون على الوجه الذي يرضيه عني .

ثم أتوجه بخالص الدعاء لكل من كان له فضل -بعد الله- في إتمام هذا البحث وأولهم أُمِّي وأبي اللذان ربياني على حب العلم وأهله، وكانا معي أثناء إعداد هذا البحث، ثم طواهما التراب قبل أن أسعدهما بتمامه، فرحمهما الله تعالى رحمة واسعة، وجعل مثواهما الفردوس الأعلى من الجنة، وجزاها عني خير ما يجزي والداً عن ولده، ثم أدعو ربي أن يجزي زوجي الشيخ أحمد بن إبراهيم العبودي خير الجزاء على حثه لي على طلب العلم ومواصلة الدراسة، والشكر والدعاء للشيخ الفاضل الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع الذي شرفني بإشرافه على هذه الرسالة، ومافتي يوجه ويعين على كثير من الصعوبات التي واجهتها، ويعلم الله أني استفدت كثيراً من خبرته وعلمه ونصحه، فأسأل الله ربي أن يبارك له في عمره وعلمه، ويزيده من فضله ونعيمه.





كما أتقدم بالشكر والدعاء للشيخ الفاضل الدكتور عبد الله السند، والأستاذة الفاضلة الدكتورة آمال العمر وعلى تفرغهما لمناقشة رسالتي واقتطاع جزء من وقتهما الثمين لقراءتها، وإتحافي بالملاحظات التي ترتقي إن شاء الله بمستواها العلمي .

فأسأل الله تعالى أن يبارك لهما في العلم النافع ويجزيهما عني خير الجزاء.

والشكر موصول لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بكلية أصول الدين وقسم العقيدة، والأساتذة و المشايخ الفضلاء الذين استفدت منهم .

كما أشكر كل من قدم لي عوناً، أو أسدى لي معروفاً، سواء في اختيار الموضوع، أو إعداد خطة البحث، أو إعارة بعض الكتب، أو غير ذلك.

ولا أجد ما أكافئ به الجميع بمثل أطيب الدعاء أن يجزيهم عني خير الجزاء، وأن يحسن إليهم كما أحسنوا إلي.

أسأل الله ربي أن ينفعني بهذه الرسالة، ثم ينفع بها الإسلام والمسلمين ويكتبها في ميزان حسناتي، ويغفر لي زلي وتقصيري، إنه هو الغفور الرحيم، وصل اللهم وسلم على من نصح للأمة وعلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



## تمهيد



شرح مفردات العنوان:

(الصلة بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية)

أولاً: المراد بالصلة.

ثانياً: تعريف العقيدة.

ثالثاً: المراد بالعلاقات الاجتماعية.









## أولاً: المراد بالصلة

### ١. الصلة في اللغة العربية:

أصل الكلمة (وصل) والوصل: ضد الهجران<sup>(١)</sup>.  
وكل شيء اتصل بشيء: فما بينهما وُصلة<sup>(٢)</sup>.  
وتأتي في اللغة بعدة معان:

١- الضم:

يقال (وصل) الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمَّ شيءٍ إلى شيءٍ حتَّى يعلِّقه، ومَوْصلُ البعير: ما بين عَجْزِهِ وفَخْذِهِ<sup>(٣)</sup>.

٢- التابع:

واصلت الصيام بالصيام: إذا لم تفطر أياماً تباعاً<sup>(٤)</sup>.

٣- بلوغ الشيء:

وصلت الشيء وصلاً وصلة، ووصل إليه وصولاً، أي بلغ، وأوصله غيره<sup>(٥)</sup>.

و(توصل) إليه انتهى إليه وبلغه<sup>(٦)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٥/٦).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢٢٢/٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١١٥/٦).

(٤) تهذيب اللغة (٢٢٢/٤).

(٥) الصحاح في اللغة للجوهري (١٢٠/٥).

(٦) المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار.

(١٠٣٧/٢).





٤- النسب:

وصل إلى بني فلان إذا انتمى إليهم وانتسب<sup>(١)</sup>.

٥- العطية:

( الصلة ): العطية والجائزة، و( الوصل ): الصلة والهبة، يقال:

أعطاه وصلا من ذهب، وفي المثل يقال هذا وصل هذا<sup>(٢)</sup>.

٦- وتأتي بمعنى الرفقة والملازمة:

( الوصيل ): نعت من وصل، بمعنى من يدخل ويخرج مع آخر لا

يكاد يفارقه<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق تبين أن معاني الصلة في اللغة تدور حول القرب، واللزوم،

والضم، والتتابع، وكلها معان مترادفة، ومتقاربة. والله أعلم.

## ٢. الصلة في القرآن الكريم:

جاءت الصلة في كتاب الله بمعان متقاربة، منها:

١. الاشتراك في الحكم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٣) المائدة: ١٠٣.

و الوصيَّة هي: «الشاة إذا ولدت سبعا عُمد إلى السابع فإن كان

ذكرا ذبح للآلهة، وإن كان أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان ذكرا

وأنثى وولدتها قالوا: وصلت أخاها، فيترك جميعا لا يذبحان»<sup>(٤)</sup>.

(١) المعجم الوسيط.. ٢/١٠٣٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري. ١١/١٢٩، وبنحوه ورد في

تفسير الثعلبي، الكشف والبيان. (٤/١١٥).



٢. اللجوء والتحيز:

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ﴾ النساء: ٩٠. أي: «إلا الذين لجئوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة، أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم». (١) أي: «فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق، إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم» (٢).

٣. التابع:

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١)﴾ القصص: ٥١.

والمعنى: أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا، ويخبر عن الأمم الخالية كيف عذبوا لعلهم يتعظون (٣).

وقيل: أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل التذكير (٤).

٤. إدامة العمل بكل مأمور:

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٧)﴾ البقرة: ٢٧. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٢/٣٧٢).

(٢) تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (١/٢٣٢)، وبنحوه ذكر في تفسير ابن أبي زمنين، (١/١٣٤).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي، (٦/٢٢٧).

(٤) تفسير البيضاوي، (١/٢٩٧).





«من حقوق الأرحام، وموالاته المؤمنين وغير ذلك»<sup>(١)</sup>. «يعني: يقطعون الإيمان بمحمد ﷺ، وجميع الرسل فأمنوا ببعض، وكفروا ببعض وهم اليهود»<sup>(٢)</sup>.

و«قيل: من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام»<sup>(٣)</sup>.

### ٣. الصلة في السنة:

وردت الصلة في السنة النبوية بعدة معان:

١. الضم، كما في حديث الواصلة شعرها: فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ)<sup>(٤)</sup>.

و«الواصلة اسم يقع على التي تصل شعرها بشعر غيره، توهم أن ذلك من شعرها، ويقع على فاعلة ذلك بغيرها، والمستوصلة التي تطلب من يفعل بها ذلك»<sup>(٥)</sup>، وذكر النووي<sup>(٦)</sup> شرحاً لهذا الحديث

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي أبو الفضل (١٤٦/١٣).

(٢) تفسير الخازن، للبيهقي المشهور بالخازن (٤٣/١).

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، (٣٦/١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، (٧٤/٦٦) برقم (١١٧)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمنتمصمة والمتفلجات والمغيرات خلق الله (٣٣/٣٧) برقم (٢١٢٢).

(٥) كشف المشكل من أحاديث الصحيحين لابن الجوزي، (٦٤٢/١).

(٦) هو: يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، أبو زكريا، صنّف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها كشرح صحيح مسلم، والروضة، وشرح المذهب، ورياض الصالحين، وغيرها، كان إماماً بارعاً حافظاً. متقناً، توفي سنة (٦٧٦هـ). انظر ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٣٩٥/٨. وطبقات الحفاظ للسيوطي: ص ٥١٣.



بنحوه<sup>(١)</sup>، وإن كان الشراح لم يصرحوا بأن الوصل هنا بمعنى الضم، إلا أن المعروف أن التي تصل شعرها بشعرٍ غيره تضم شعراً آخر إلى شعرها، والله أعلم.

٢. التابع، كما في حديث مواصلة الصيام:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَطَعْتُ وَأَسْقَى)<sup>(٢)</sup>.

٣. البر للرحم، كما في الأحاديث الآتية:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّنُ<sup>(٣)</sup> أَوْ أَتَحَنَّنْتُ<sup>(٤)</sup> \* بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَلَّةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصَدَقَةٍ هَلْ لِي فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ حَكِيمٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَسَلَمْتُ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ)<sup>(٥)</sup> وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ<sup>(٦)</sup> مِنْ

(١) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٤/١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام، (٤٨/٣٠)، برقم (١٩٦٢)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في

الصوم (١١/١٣) برقم (١١٠٢).

(٣) (التحنن): التعبد. ينظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٤٠).

(٤) (التحنن) «يعني بالمشناة تصحيف وإنما هو التحنن يعني بالثناء المثلثة مأخوذ من الحنن وهو الإثم فكأنه قال أتوقى ما يؤثم». انظر: عمدة القاري في شرح البخاري (٢٣/١٧٠).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، (٣٤/١٠٠) برقم (٢٢٢٠)، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده (١/٥٥) برقم (١٢٣).

(٦) «شجنة من الرحمن» وهي بضم الشين وكسرهما، ومنه قولهم: شجرٌ متشجن: إذا التفت





الرَّحْمَنَ فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ<sup>(١)</sup>.  
وعن عبد الله بن عمر: أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة،  
فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت  
على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم  
يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب،  
وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أبر البر صلة  
الولد أهل ود أبيه)<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد لفظ الصلة في تلك الأحاديث الثلاثة في فضل صلة الرحم،  
وهي بمعنى التفضل عليهم بالمعروف بالسلام، أو بالنصرة، أو بالمال.

### وصلة الأرحام مراتب:

قال ابن بطال: <sup>(٣)</sup> «للبر بالأرحام مراتب ومنازل، وليس من لم يبلغ  
أعلى تلك المراتب يستحق اسم قاطع، كما من لم يبلغ أعلى منازل  
الفضل يستحق اسم الدم، فواصل رحمه بماله مستحق اسم واصل،

بعضه ببعض، ويقال: الحديث ذوشجون يراد تمسك بعضه ببعض، فقلوه: «شجنة  
أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق. ينظر شرح السنة للإمام البغوي (٢٣/١٣).  
(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ١٣/٧٨،  
برقم (٥٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم  
ونحوهما، ٤/٤٥، برقم (٢٥٥٢).

(٣) هو: أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن  
اللجم كان من أهل العلم والمعرفة، غني بالحديث العناية التامة، شرح «صحيح  
البخاري» في عدة أسفار، رواه الناس عنه، توفي سنة تسع وأربعين وأربع مئة. (٤٤٩)  
هـ انظر سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨).





وواصلها بمعونته ونصرته مستحق اسم واصل»<sup>(١)</sup>.  
ومما سبق يتبين أن هذه المعاني التي وردت في اللغة متوافقة مع ماورد في القرآن والسنة المطهرة، ولعل الجامع بينها معنى القرب والاشتراك، وهذا هو المراد في هذا البحث من مفردة (الصلة)، وهو الاشتراك بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية في الأثر، حيث إن كلاهما مؤثر في الآخر، كما أن بين العقيدة والعلاقات الاجتماعية قربا ولصوقا، فلا ينفك مجتمع من عقيدة البتة. والله أعلم.

### ثانيا: تعريف العقيدة.

#### العقيدة في اللغة العربية:

العقيدة لغة: العَقْدُ يطلق على: «الضَّمان، والعَهْدُ، والجَمَلُ المُوَثَّقُ الظَّهْرُ». (٢)

ومنه «عقدتُ الحبلَ، والبيعَ، والعهدَ، فانعقدَ»<sup>(٣)</sup>.  
ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾  
المائدة: ١.

«يعني بالعهود»<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ﴾ المائدة: ٨٩.

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٠٦/٩، ٢٠٥).

(٢) القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٣٨٣/١).

(٣) الصحاح للجوهري. (٥١٠/٢).

(٤) الكشف والبيان، للثعلبي. (٥/٤).





أي: «بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية»<sup>(١)</sup>.  
و«تعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه، بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد»<sup>(٢)</sup> وعرفت العقيدة بأنها: «الحكم الجازم المقابل للتشكيك، بخلاف اليقين، وقيل: هو إثبات الشيء بنفسه، وقيل: هو التصور مع الحكم»<sup>(٣)</sup>، «والاعتقاد من أفعال القلوب، وافتعال من عقد القلب على الشيء إذا لم يزل عنه، وأصل العقد ربط الشيء بالشيء، فالاعتقاد ارتباط القلب بما انطوى عليه ولزمه»<sup>(٤)</sup>.  
ومما سبق يتضح أن العقيدة في اللغة تدور حول: انطواء القلب وجزمه وتصديقه في الحكم على الشيء وعقده عليه، كما يعقد الحبل ويربط.

### العقيدة في الاصطلاح:

قيل في معنى (العقيدة) في الاصطلاح:  
«هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.  
أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة»<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير البيضاوي للبيضاوي، ص (٣٦٠).

(٢) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص (٩).

(٣) الكلبيات - لأبي البقاء الكفومي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص (٢١٧).

(٤) المطلع على أبواب الفقه. لمحمد بن أبي الفتح البجلي الحنبلي. ص (٤٠٨)، وانظر التعريفات الاعتقادية، لسعد العبد اللطيف ص (٥١).

(٥) الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري، ص (١٤).







وقيل: «ما انعقد عليه القلب، واستمسك به، وتعذر تحويله عنه سواء كان راجعاً إلى تقليد، أو وهم، أو كان راجعاً إلى الدليل والبرهان العقلي»<sup>(١)</sup>.

ولابد أن يعلم: «أن العقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم، وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات، والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسماً: عقيدة صحيحة، وعقائد فاسدة، والعقيدة الصحيحة منذ بعثة النبي محمد ﷺ لا توجد إلا في الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

وما نعينه في هذا البحث هو العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة، «لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده، وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

«الاعتقاد الذي يجب على المؤمنين خاصتهم وعامتهم ويعاقب تاركوه هو ما بينه النبي ﷺ فأخبر به وأمر بالإيمان به إذ أصول الإيمان التي يجب اعتقادها على المكلفين وتكون فارقةً بين أهل الجنة والنار

(١) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، د. سعاد الدين السيد صالح ص (١٤)، وانظر ظاهرة الانقسام بين العقيدة والسلوك، د. إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ص (٣١).

(٢) العقيدة في الله، لعمر الأشقر، ص (١١) باختصار.

(٣) الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري، ص (١٤).



والسعداء والأشقياء، هي من أعظم ما يجب على الرسول ﷺ بيانه وتبليغه»<sup>(١)</sup>.

وقد بين رحمه الله أن الأمور التي يجب اعتقادها هي الأمور الخبرية الثابتة التي لا تتجدد أحكامها، كأصول الإيمان التي هي الفارق بين أهل الجنة والنار.

وقال في موضع آخر: «اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره»<sup>(٢)</sup>.

كما عرفت العقيدة بأنها: «الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح. والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- بالطاعة والتحكيم والاتباع»<sup>(٣)</sup> وبمجموع هذه التعريفات يمكن استنباط اصطلاح للعقيدة الصحيحة بأنه: التبع لله باليقين الذي لا يعتريه شك بكل ما ثبت في الكتاب والسنة من الإيمان بالله، وما يجب له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بالغيب، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، مع التسليم، والعمل بلوازم هذا الاعتقاد ظاهراً وباطناً.

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل، لشيخ الإسلام ابن تيمية. ص (٣٨٨).

(٢) العقيدة الواسطية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. ص (٦).

(٣) مباحث في العقيدة للدكتور ناصر العقل. ص (٨، ٤).



### ثالثاً: المراد بالعلاقات الاجتماعية:

#### ١. المراد بالعلاقات:

العلاقات، أو العلائق: جمع علاقة، و«العلائقُ واحِدَتُها: عِلاَقَةٌ ككِتَابَةٍ.

وَمِنَ الصَّيْدِ: مَا عَلِقَ الْحَبْلُ بِرِجْلِهَا، وَعَلَّقَهُ تَعْلِيقًا: جَعَلَهُ مُعَلَّقًا»<sup>(١)</sup>.

وأصاب ثوبه علقٌ، بالفتح وبالتحريك أي: خرَّق من شيءٍ علقه، وذلك أن يمرَّ بشجرة أو شوكة فتعلق بثوبه فتخرقه،<sup>(٢)</sup> والعلاقة بالكسر: علاقة القوس والسوط ونحوهما. والعلاقة بالفتح: علاقة الخصومة، وعلاقة الحب<sup>(٣)</sup>.

ويفهم من ذلك: أن العلاقة بالكسر للأمور الحسية، وبالفتح للأمور المعنوية. والله أعلم.

ورجل عَلاقِيَّةٌ: علق شيئاً لم يُقلع عنه<sup>(٤)</sup>.

وقد عرفت كلمة العلاقات بأنها «عملية الصلة والاتصالات والارتباطات التي تتوفر بين هيئة أو مؤسسة والجمهير المتعاملة معها»<sup>(٥)</sup>.

ويضاف إلى هذا التعريف: أنها الصلة بين الأفراد أيضاً.

(١) القاموس المحيط (١١٧٧).

(٢) تاج العروس (١٩٠/٢٦).

(٣) الصحاح في اللغة (٢١٧/٤).

(٤) المزهر في علوم اللغة. (١٤٣/٢).

(٥) موقع الأكاديمية المفتوحة للصحافة العربية:

<http://pressacademy.net/modules/news/article.php>





## ٢. المراد بالاجتماعية:

هذه الكلمة تشتمل على وصف ونسب، فهي وصف للعلاقة بأنها تختص بالمجتمع، ونسبة العلاقة للمجتمع، ولا بد من تعريف (المجتمع) أولاً للتوصل منه إلى تعريف (الاجتماعية).

المجتمع: مأخوذ من المصدر (جَمَعَ).

ومعنى (جَمَعَ) في اللغة: يقال: «جَمَعَ الشيء عن تفرقة، يجمعه جَمْعاً، وتَجَمَّع القوم: اجتمعوا أيضاً من ههنا وههنا، والجمع: اسم لجماعة الناس، وقد استعملوا ذلك في غير الناس حتى قالوا: جماعة الشجر، وجماعة النبات، والجماعة في اللغة تعني عدد كل شيء، وكثرته»<sup>(١)</sup>.

وعُرف المجتمع بأنه: «مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، محددة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد، والمقاييس والقيم، والأحكام الاجتماعية، والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر»<sup>(٢)</sup>.

## ثالثاً: تعريف العلاقات الاجتماعية:

مصطلح العلاقات الاجتماعية اصطلاح جديد لم يظهر إلا - في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي<sup>(٣)</sup> ويرى علماء

(١) لسان العرب لابن منظور (١/٦٧٨، ٦٧٩).

(٢) بناء المجتمع الإسلامي، لعبد الله مبارك الفرج، ص ٨.

(٣) موقع الأكاديمية المفتوحة للصحافة العربية:



الاجتماع أن العلاقات الاجتماعية هي أساس علم الاجتماع، وقد عرفوا العلاقات الاجتماعية بعدة تعريفات، منها:

١. «الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع، وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم، وتبادل مشاعرهم، واحتكاكهم ببعضهم البعض، ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع»<sup>(١)</sup>.

٢. «هي أي اتصال، أو تفاعل، أو تجاوب يقوم بين شخصين أو أكثر، لغرض إشباع الحاجات الأساسية، والثانوية للأشخاص الذي يكونون العلاقة، ويدخلون ضمن حدودها»<sup>(٢)</sup>.

وقد تضمن التعريف الأول بيان منشأ العلاقات الاجتماعية، بينما تضمن التعريف الثاني الهدف منها.

٣. «مجموعة العلاقات الاجتماعية الضرورية الناتجة عن الصلات والعلاقات بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء»<sup>(٣)</sup>.

٤. «هي كل اتصال للإنسان بغيره وهو يقوم بنشاطه اليومي، كعلاقة الجوار، والتعليم، والوظيفة، وعلاقات البيع والشراء، والعلاقات الثقافية، والفنية، والرياضية، وغيرها، وتتعدد بتعدد النشاط الإنساني واتساعه الذي يشمل كافة مناحي النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية»<sup>(٤)</sup>.

(١) (معجم العلوم الاجتماعية) لإبراهيم مذكور، ص ٤٠٣.

(٢) العوامل الأسرية للجريمة لدراسة ميدانية، ص ٤، لعبدالله مرقس رابي، هذا الكتاب من مكتبة موقع: «بلغوا عني ولو آية».

(٣) التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، د. نورة خالد السعد، ص (٦٠١).

(٤) نسخة إلكترونية من كتاب: العلاقات الإنسانية، لعبدالله خمار، دار الكتاب العربي بالجزائر، أبريل ٢٠٠١.





ويمكن أن نخلص إلى تعريف (للعلاقات الاجتماعية) من هذه التعريفات وهو:

كل تفاعل بين الفرد وغيره، نتيجة الترابط والاتصال الذي يفرضه الواقع، والمصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع، وتنوع تلك العلاقات بتعدد النشاط الإنساني، واتساعه الذي يشمل كافة مناحي النشاطات السياسية، والاقتصادية، والثقافية.

### العلاقات الاجتماعية المقصودة في هذا البحث:

من المعلوم أن المجتمع هو عبارة عن بناء يتكون من مجموعة أفراد، تربط بعضهم ببعض روابط مختلفة يفرضها الواقع، وضرورة التعارف بين أفراد المجتمع الواحد حيث أن التعارف من طبيعة النفس البشرية قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) الحجرات: ١٣.

أي: «ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته»<sup>(١)</sup>، و«ليعرف بعضكم بعضاً لا للتفاخر بالآباء»<sup>(٢)</sup>، وقد بينت لنا هذه الآية الكريمة أن الله تعالى جعلنا شعوباً، وقبائل كي نتعارف فيما بيننا، إذ لا بد أن يعيش الإنسان إما في أسرة تربطه بها علاقة الرحم، أو يكون له جار أو صديق أو صاحب، وفي أضيق نطاقٍ إن خلا من ذلك كله فلا بد أن ينتمي لدولة أو أمة يعيش تحت لوائها، وإذا كان لا بد للفرد أن يعيش في مجتمع فلا بد له من روابط وعلاقات تربطه بهم..

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧/ ٣٨٥).

(٢) تفسير البضاوي، (١/ ٢١٩).



ومن خلال دراسة العلماء للعلاقات اتضح أن العلاقات الاجتماعية مختلفة في أشكالها.

وقد قسمها علماء الاجتماع بحسب نشأتها لثلاثة أقسام: «مؤقتة، وطويلة الأجل، ومحدودة»<sup>(١)</sup>.

وبعد تأمل هذا التقسيم بدا لي أنه يمكن تقسيم أشكال العلاقات الاجتماعية قسمين:

#### ١ - علاقات اجتماعية محدودة:

وهي التي تكون محدودة الزمان أو المكان، ومن أمثلة ذلك: العلاقة بين جماعة في الانتظار في مكان عام، أو العلاقة بين البائع والمشتري، أو بين الموظف ومراجعيه، أو بين زملاء الدراسة، وكذا العلاقة مع الجار في غير مكان الإقامة.

وهذه العلاقات لها وقت ومكان معين بحيث تبدأ وتنتهي مع الهدف الذي يحقق هذه العلاقة

#### ٢ - علاقة اجتماعية طويلة المدى:

وهي نموذج الترابط المتبادل الذي يستمر فترة طويلة وغير محددة، وتعتبر العلاقة بين الزوجين والأقارب وذوي الأرحام، وكذا

(١) لأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، لعبد القادر القصير، ص ١٨٠، دار النهضة ١٩٩٩م، وانظر معجم العلوم الاجتماعية، لإبراهيم مذكور ص ٤٠٣، وانظر علم الاجتماع العام لفاروق العادلي، ص ٢٦٣-٢٦٤، دار زهران، وقاموس علم الاجتماع، لمحمد عاطف غيث، ١٩٩٢، ص ٤٣٧، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.





علاقة الجوار والصحة الطويلة أمثلة لمثل هذه العلاقات.

### أنماط العلاقات الاجتماعية:

للعلاقات الاجتماعية أنماط تختلف قربا وبعدا، ويختلف تأثيرها

قوة وضعفا، وأهمها ما يأتي:

١. العلاقات الأسرية.
٢. العلاقات الجوارية.
٣. علاقة الصديق والصاحب.
٤. العلاقة بين الفرد وعامة المسلمين.
٥. العلاقة مع غير المسلمين.

وتوضح هذه العلاقات على النحو التالي:

#### ١- العلاقات الأسرية:

يعرفها أهل الاختصاص في علم الاجتماع بأنها: «ذلك التفاعل الذي يقع بين أعضاء الأسرة الذين يجمعهم منزل واحد، ورحم، أو نسب، أو قرابة، ومن ذلك العلاقة التي تقع بين الزوجين، وبين الأبناء، وبين الأقارب»<sup>(١)</sup>.

وقد قسم المختصون في علم الاجتماع العلاقات الأسرية إلى عدة مجموعات:

#### أولا: «العلاقات الأسرية بين الزوجين»<sup>(٢)</sup>:

وهي علاقة عميقة الأثر، وميثاقها غليظ، كما سماه رب العالمين:

(١) قاموس علم الاجتماع، بتصرف، ص ٣٤٧.

(٢) الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، ص ٢١٦.





قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١١﴾ ﴾ النساء: ٢١ .

ورابطة الزواج رابطة مقدسة، لما لها من الآثار العظيمة على الزوجين وأسرتهما، ولذا خصها الله تعالى بالتوجيه في كتابه الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٢١، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِ .. الآية ﴾ النور: ٢٦ .

ثانيا: العلاقة الأسرية بين الأبناء والآباء <sup>(١)</sup>:

علاقة الأبناء بوالديهم والوالدين وإن علوا بأبنائهم علاقة الفرع بأصله الذي يحن إليه ويراه قدوة له غالبا.

ولذا بينت لنا نصوص الكتاب والسنة، أن الآباء قد يكونون سبب تغيير فطرة التوحيد التي يولد الطفل عليها، فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تجدون فيها من جدعاء» <sup>(٢)</sup>، حيث

(١) الأسرة المتغيرة (٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه، (٨٠/٢٣). ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤٦/٦) برقم (٢٦٥٨).





إن دين الإسلام هو الفطرة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) الروم: ٣٠.

وقد يكون الأب سبب نجاة الابن من ظلمة الشرك كما كان لقمان سبب نجاة ابنه، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)

قيل: «إن امرأة لقمان وابنه كانا مُشركين فلم يزل لقمان يعظهما حتى آمنّا»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل أنهم قد يكونون سببا في ضلال بعض الأبناء، قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢٢) الزخرف: ٢٢.

وكذلك هي العلاقة بين الأبناء ووالديهم، فإما أن يكونوا سببا لنجاتهم، وإما أن يفتنهم عن الخير، ويكونون بلاء عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) التغابن: ١٥. لذا حذر الله تعالى الآباء من فتنة الأبناء بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) المنافقون: ٩.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦٠/٢١).





### ثالثاً: العلاقات الأسرية بين الأبناء<sup>(١)</sup>

وهم الإخوة الذين ينتسبون لأسرة واحدة، وقد تربوا في بيت واحد، ولا شك أن العلاقة بينهم لها أثر بحكم تربيتهم تحت مظلة واحدة، ولكن هذا الأثر يختلف بحسب وثوق الصلة بينهم أو ضعفها.  
رابعاً: العلاقة الأسرية مع ذوي الأرحام من الأقارب<sup>(٢)</sup>:

وهم أبناء العشيرة، وكل من تربط الفرد بهم قرابة، كالأعمام، والأخوال وإن علوا، وأبنائهم وإن نزلوا، وجميع أبناء القبيلة.  
وعشيرة الرجل هم: «قرابته الأذنون»<sup>(٣)</sup> قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢. وهم مصدر لانتماء واعتزاز يشعر به الفرد المنتمي إليهم، كما أنهم قد يكونون سبباً لثباته على العقيدة الصحيحة، أو سبباً لانحرافه عنها.

### ٢- العلاقات الاجتماعية الجوارية:

وهي الصلة مع الجار الذي يسكن مجاوراً للمنزل، وإن كانت المجاورة ليست خاصة بالمنزل، فهناك المجاورة في الدكاكين، ومحلات البيع والشراء، والمكاتب، وأماكن العمل على اختلاف أنواعها، إلا أن المجاورة في المنزل هي الأصل ولذا كانت جل معاني الجوار عند السابقين حول الجوار في المنزل.

(١) الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، ص (٢١٦).

(٢) هذا القسم ألحقته بالأقسام السابقة لأهميته.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، (١/١٣٠٧).



ومن معاني الجوار: «مَنْ تَجَاوَرَهُ وَيَتَرَاىَ وَجْهَكَ وَوَجْهَهُ فِي غُدُوكَ أَوْ رَوَاحِكَ إِلَى دَارِكَ»<sup>(١)</sup>.

واختلف في من يصدق عليه اسم الجار، فبعضهم حده بأربعين داراً من كل جهة، والصحيح أن كل قريب من المنزل فهو جار دون تحديد.

قال الشوكاني<sup>(٢)</sup>: «قد اختلف أهل العلم في المقدار الذي يصدق عليه مسمى الجوار، ويثبت لصاحبه الحق، فروي عن الأوزاعي<sup>(٣)</sup> أنه إلى حد أربعين داراً من كل ناحية، وروي عن الزهري<sup>(٤)</sup> نحوه، وقيل: من سمع إقامة الصلاة، وقيل: إذا جمعتهما محلة، وقيل: من سمع النداء، والأولى أن يرجع في معنى الجار إلى الشرع، فإن وجد

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا، ٧٥/٥.

(٢) هو العلامة الفقيه المحدث محمد بن علي بن محمد الشوكاني من أهل اليمن، صنف نيل الأوطار، وفتح القدير، والسيل الجرار. توفي سنة ١٢٥٠هـ انظر: البدر الطالع ٢/٢١٤، والأعلام ٦/٢٩٨.

(٣) هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي، من كبار تابعي التابعين، كان أحد الأئمة المجتهدين، لم يكن بالشام أعلم منه، توفي سنة (١٥٧هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٧٨، شذرات الذهب لابن العماد ١/٢٤١.

(٤) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر القرشي الزهري، المدني، أحد الأعلام من أئمة الإسلام، وهو تابعي جليل، من الطبقة الرابعة، كان حافظ زمانه، روى عن جماعة من الصحابة، توفي سنة ١٢٤هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١١/٦)، والبداية والنهاية (٩/٣٩٤)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١/٢٩٤).



فيه ما يقتضي بيانه، وأنه يكون جاراً إلى حد كذا من الدور، أو من مسافة الأرض كان العمل عليه متعيناً، وإن لم يوجد رجوع إلى معناه لغة أو عرفاً، ولم يأت في الشرع ما يفيد أن الجار هو الذي بينه وبين جاره مقدار كذا، ولا ورد في لغة العرب أيضاً ما يفيد ذلك، بل المراد بالجار في اللغة: «المجاور»<sup>(١)</sup>.

وقال الطاهر ابن عاشور<sup>(٢)</sup>: «الجار هو النزيل بقرب منزلك»<sup>(٣)</sup>.

### مراتب الجوار:

كل من قرب من المنزل أو نحوه فله حق من حقوق الجوار مهما اختلف في الدين، أو النسب، والبلد، لكن هذه الحقوق مختلفة تبعاً لتفاوت مراتب الجوار.

قال المباركفوري<sup>(٤)</sup>: «واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (٦٦٩/١).

(٢) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني، ولد ونشأ وتعلم في تونس، ودرس في جامع الزيتونة، وكان شيخاً عميداً للجامعة الزيتونية توفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر: معجم المفسرين، لعادل نويهض (٥٤١/٢)، والأعلام للزركلي (١٧٤/٦).

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، (٥٠/٥).

(٤) هو: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، أبو العلاء، عالم مشارك في أنواع العلوم، من مصنفاته (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي)، توفي سنة ١٣٥٣ للهجرة. انظر معجم المؤلفين لرضا كحالة (١٦٦/٥).





والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيُعطى كلُّ حقه بحسب حاله»<sup>(١)</sup>.

وبحسب صفة الجار يتفاوت حقه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) النساء: ٣٦.

وقد دلت هذه الآية الكريمة على مرتبتين للجوار:

١. المرتبة الأولى الجار القريب: لو وصية الله تعالى بالإحسان إليه قبل

الجار الجنب فقال تعالى: { وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ } النساء: ٣٦.

«أي: ذي القرابة»<sup>(٢)</sup>. وقيل: «أنه الجار الذي بقرب داره، وهو

الملاصق»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الجار ذي القربى «المسلم»<sup>(٤)</sup>.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جارين فألى أيهما

أهدي؟ قال ﷺ: (إلى أقربهما منك باباً)<sup>(٥)</sup>.

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، للمباركفوري، ٦٢/٦.

(٢) معالم التنزيل للبغوي، ٢١١/٢.

(٣) تفسير القرآن للسمعاني، ٤٢٦/١.

(٤) التبيان في تفسير غريب القرآن، للهائم المصري، ١٦٦/١.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب: ١٠ / ٤٤٧.





٢. المرتبة الثانية الجار الجنب: وهو الجار البعيد في النسب أو الدين.

قال تعالى { وَالْجَارِ الْجُنْبِ } النساء ٣٦ أي: «البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة»<sup>(١)</sup>.

وقيل: «اليهود والنصارى، وأصله التجنب من قولهم أجنبني، والجانبان: الناحيتان، والجنبان، لتنحي كل واحد عن الآخر»<sup>(٢)</sup>.

«ويشترك الجيران بعضهم مع بعض في أفراحهم وأحزانهم، لذلك اعتبرت علاقة الجار بجاره واجباً مقدساً لاسيما عند الشعوب العربية الإسلامية من خلال قيام الجار برعاية جاره في حالة غيابه، وفي الوقت الحالي أصبحت علاقات الجوار قليلة جداً»<sup>(٣)</sup>.

### ٣. علاقة الصديق والصاحب:

لا يخفى الأثر القوي للصديق والصاحب على صاحبه إيجاباً أو سلباً، وقد قال ﷺ: «مشبه أثر كل من الجليس الصالح، والجليس السوء:

(مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد)<sup>(٤)</sup>، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه،

(١) معالم التنزيل للبغوي، ٢/٢١١.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، للهائم المصري، ١/١٦٦.

(٣) الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، لعبد القادر القصير، ص (١٨١).

(٤) كبير الحداد بكسر الكاف وسكون الياء: هو زق أو جلد غليظ ينفخ به النار. انظر: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (١٧/٣٦٧).





وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة<sup>(١)</sup> وقد أولى دين الإسلام الصحبة عناية بالغة حتى وإن كانت علاقة مؤقتة، كعلاقة الصاحب بالجنب، كما جاءت الوصية بذلك في قوله تعالى:

﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ النساء: ٣٦.

والصاحب بالجنب ذكر بعض المفسرين أنه: «الصاحب إلى الجنب، كما يقال: «فلان بجنب فلان، وإلى جنبه»، وقد يدخل في هذا: الرفيق في السفر، والمنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه، لأن كلهم بجنب الذي هو معه وقريب منه. وقد أوصى الله تعالى بجمعهم، لوجوب حق الصاحب على المصحوب»<sup>(٢)</sup>.

وذكر سبحانه مآل الرفقة السيئة، ونص عليها، فقال سبحانه ﴿ وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَنُوقَلْتَنِي لَئِن لَّمْ أَخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ الفرقان: ٢٧، ٢٨.

#### ٤. العلاقة بين الفرد وعمامة المسلمين:

والمراد بها علاقة الفرد المسلم بمن لا تربطهم به قرابة، ولا

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، برقم (١٠١٢)، ومسلم بنحوه في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٤٥/٤٥) برقم (٢٦٢٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٨/٣٤٤).





جوار، ولا صحبة، سوى رابطة الدين، لاسيما عندما يختلط المسلم بهم في المرافق العامة، والدوائر الحكومية، والأسواق، ونحوها، أو يتحدث معهم بالهاتف مثلاً، وهذه العلاقة تجسد عقيدة الولاء لكل مسلم، وهي أصل من أصول الدين، وتظهر هذه العقيدة عند المسلم أثناء أداء العبادة الجماعية، كالجمعة والجماعة، والحج والعمرة، وقد يضعف الولاء عند بعض المسلمين لإخوانهم في الدين، نظراً لضعف إيمانهم، فينتج عن ذلك السلوكيات السلبية التي قد تكون سبباً للفرقة بين المسلمين.

#### ٥. العلاقة مع غير المسلمين:

ونقصد بغير المسلمين: «من لم يؤمن برسالة نبينا محمد وعليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، أو لم يؤمن بأصل معلوم منها بالضرورة، ويسمون في المصطلح الشرعي (الكفار)»<sup>(١)</sup>. والكفار إما أن يكونوا أهل كتاب من اليهود والنصارى، أو غيرهم من أصحاب الديانات الوثنية، أو الوضعية، مثل: المشركين عباد الأوثان، والمجوس عباد النار، والصابئين عباد الكواكب. وسواء كانوا أهل كتاب، أو أهل ديانات وضعية، فالكل كفار، ويكون التعامل معهم بحسب ما تقرر في الشرع من الأحكام التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وهناك تقسيم آخر للمخالفين في الدين، من حيث موقفهم من دولة الإسلام، فهم إما محاربون: وهم الذين يعادون المسلمين

(١) أحكام التعامل مع غير المسلمين، تأليف: خالد بن محمد الماجد (ص ١).





ويقاتلونهم، وهؤلاء لهم أحكامهم التي تنظم العلاقة بهم، وإما معاهدون، يوفى لهم بعهدهم، ويعطون حقهم من البر والقسط والصلة.  
وقد قسم ابن القيم - رحمه الله - المعاهدين ثلاثة أصناف فقال:  
«الكفار إما أهل حرب، وإما أهل عهد، وأهل العهد ثلاثة أصناف:  
أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان»<sup>(١)</sup>.  
ثم عرف رحمه الله كل صنف قائلاً:

«أهل الذمة: عبارة عنمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهم قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله ﷺ.  
وأهل الهدنة: صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين.

وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام:  
رسل، وتجار، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهاجروا ولا يقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية»<sup>(٢)</sup>.

وقد فرق القرآن الكريم بين صنفين من الكفار تفريقاً واضحاً،

(١) أحكام أهل الذمة - ابن قيم الجوزية (٢/ ٨٧٤) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، بتصرف يسير.





في آيتين كريمتين تعتبران دستورًا محكمًا في تحديد العلاقة بغير المسلمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝۸﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَنَّهُمْ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝۹﴾ الممتحنة: ۸ - ۹.

وإذا كان المسلم يعيش معهم في مجتمع واحد فإما أن يؤثر فيهم، أو يتأثر بهم ولا بد، وكم من وفود دخلوا في الإسلام بسبب تعامل حسن وجدوه من مسلم، وعلى العكس قد ينفرون من هذا الدين لما يجدون من سوء أخلاق بعض المسلمين، أو ظلمه لمكفوليه .





## الباب الأول

العقيدة الصحيحة وأثرها على العلاقات الاجتماعية



وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: أدلة الكتاب والسنة على أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية.

الفصل الثاني: آثار أصول العقيدة الإسلامية على المجتمع.

الفصل الثالث: أثر العقيدة الصحيحة على ترابط المجتمع وأمنه وتمكينه.

الفصل الرابع: أثر العقيدة الصحيحة في تطهير المجتمع من الشرك والبدع والأفكار المنحرفة.

الفصل الخامس: عقيدة الولاء و البراء وأثرها على المجتمع.

الفصل السادس: وسائل تثبيت العقيدة في المجتمع.





## الفصل الأول

أدلة الكتاب والسنة على أثر العقيدة على العلاقات  
الاجتماعية



وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أدلة القرآن الكريم على أثر العقيدة  
على العلاقات الاجتماعية.

المبحث الثاني: أدلة السنة النبوية على تأثير العقيدة  
على العلاقات الاجتماعية .

المبحث الثالث: شواهد وتطبيقات من حياة الصحابة  
والسلف على تأثير العقيدة على  
العلاقات الاجتماعية .









## المبحث الأول

أدلة القرآن الكريم على

أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية



لقد دل القرآن الكريم على بيان أثر عقيدة التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له على العلاقات الاجتماعية، وحين نستعرض هذه النصوص القرآنية سيتضح لنا ذلك جلياً.

ومن هذه النصوص:

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾﴾  
البقرة: ٢٢١

«كان المسلمون أيام نزول هذه السورة ما زالوا مختلطين مع المشركين بالمدينة وما هم يبعيد عن أقربائهم من أهل مكة فربما رغب بعضهم في تزوج المشركات أو رغب بعض المشركين في تزوج نساء مسلمات فبين الله الحكم في هذه الأحوال»<sup>(١)</sup>.

ولأن العلاقة الاجتماعية «الزوجية مظنة الألفة والمحبة والمودة،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/٣٥٩).





وكل ذلك يوجب الموافقة في المطالب والأغراض، وربما يؤدي ذلك إلى انتقال المسلم عن الإسلام بسبب موافقة حبيبه»<sup>(١)</sup>. ولما كان الكفار دعاة إلى النار شعروا بذلك أو لم يشعروا، حرم الله على المؤمنين الزواج من المشركات، كما حرم على المؤمنات الزواج من المشركين.

وقد أوضح الله تعالى الحكمة من تحريم نكاح المشركين في آخر الآية بقوله: (أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) فإن المشركين «يدعون إلى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا»<sup>(٢)</sup>، كما أن الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر إلى الكفر فيصير الولد من أهل النار، فهذا هي الدعوة إلى النار، والله يدعو إلى الجنة، حيث أمرنا بتزويج المسلمة حتى يكون الولد مسلماً من أهل الجنة»<sup>(٣)</sup>، ويدعو سبحانه «إلى التوحيد والتوبة»<sup>(٤)</sup>، وكذلك «أولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما، فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم»<sup>(٥)</sup>.

فإذا كان طريق المشركين والمشركات إلى النار، ودعوتهم إلى النار، وطريق المؤمنين والمؤمنات هو طريق الله، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه، فما أبعد دعوتهم إذن من دعوة الله!

(١) تفسير الفخر الرازي، (١/٨٩٦).

(٢) تفسير النسفي، (١/١١٩).

(٣) تفسير الفخر الرازي، (١/٨٩٧) بتصرف يسير.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي، (١/١٧٢).

(٥) تفسير النسفي، (١/١١٩).



ولا شك أن رابطة النكاح من أقوى العلاقات الاجتماعية تأثيراً، وأخطرها على الدين، وبذلك تظهر الحكمة من هذا التشريع الحكيم، وهو حماية العقيدة، كما أن «من شأن العلاقة الزوجية أن تربط بين الزوجين بروابط روحية ونفسية وعقلية، وقيام تلك الروابط بين مؤمن ومشركة، أو مشرك ومؤمنة، يؤدي غالباً إلى إفساد دين المؤمن»<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة للكتابية: اليهودية، أو النصرانية، فإن هذه الآية تدل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس الشرك كانت، كالوثنية، والمجوسية، والنصرانية، وغيرهن من أصناف المشركات، لكن الله تعالى استثنى من ذلك نكاح الكتابيات. «قال ابن عباس في قوله تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ) ثم استثنى نساء أهل الكتاب، فقال:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ المائدة: ٥، فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية»<sup>(٢)</sup>. والجمهور على أنه يجوز نكاح الكتابية، حرة كانت أو أمة، بشرط أن تكون عفيفة، قال ابن كثير<sup>(٣)</sup> في آية المائدة:

(١) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، (١/ ٢٥٠).

(٢) تفسير ابن زمنين، (١/ ٢١٤).

(٣) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الإمام الحافظ المحدث الفقيه المفسر المؤرخ، صاحب التصانيف، تتلمذ على المزي وصاهره وأخذ عنه، ومن كتبه: البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن الكريم، والباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق ٣٩٩/١، وطبقات المفسرين للدوادري ص ٧٩.





﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: «العفائف، وهو يعم الحرائر والإماء، وهذه الآية عامة، وهذه أيضا ظاهرة في الدلالة على ما قاله الجمهور، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

فأما زواج الكتابي من مسلمة فهو محظور؛ لأنه يختلف في واقعه عن زواج المسلم بكتابية غير مشركة، ومن هنا يختلف في حكمه، حيث إن الأطفال يدعون لأبائهم بحكم الشريعة الإسلامية . ويمكن استنباط الحكمة من تحريم المناكحة مع المشركين، والأثر الذي يتركه على العلاقة الزوجية فيما يلي:

١. أن الله تعالى هو خالق الذكر والأنثى، وهو سبحانه الأعلم بأسباب الصلاح والفساد الحسي والمعنوي لهما، وللعلاقة الاجتماعية بينهما، وهو سبحانه القائل: ﴿الْأَبْيَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) الملك: ١٤

٢. أن الزوجين هما مؤسسا الأسرة، والتي هي نواة الأمة، ولا بد أن تكون مؤسسة على أصل صحيح وهو التوحيد، حتى تثمر ثمارا سليمة، إذ أن ذلك يضر بدين الولد الذي يولد في هذه الأسرة، ولا يمكن أن يشترك زوجان أحدهما مشرك في تنشئة جيل موحد لربه.

٣. أن هذا الزواج لا تقوم على منهجه حياة آمنة، فإذا كان أحد عمودي الأسرة الذي تقوم عليهما وهما الزوجان، ليس له أصل

(١) تفسير ابن كثير، (٢/٢٦٧)، وانظر: تفسير القرطبي (٦/٧٩)، وتفسير البيضاوي، (١/٢٩٧).



عقدي صحيح، بل اجتث دينه من فوق الأرض، فلا يمكن أن يكون له قرار، فكيف تقوم أسرة على أساس مقوّض؟، فعلاقة زوجين لا تجمعهما عقيدة واحدة، علاقة زائفة واهية.

٤. أن ذلك يضر بعقيدة الولاء للمسلمين، والبراء من المشركين، إذ كيف يجتمع في القلب حب وبغض؟!، «وربما يؤدي ذلك إلى انتقال المسلم عن الإسلام بسبب موافقة حبيبه»<sup>(١)</sup>، فيرتد عن دينه ويهلك.

ولو قيل: قد يتحول المشرك أو المشركة إلى الإسلام!.

«قلنا إن في ذلك مخاطرة بنفس مؤمنة، في مقابل نفس مشركة، كما أن فيه مفسدة كبيرة مقابل جلب مصلحة محتملة! ودرء المفساد مقدم على جلب المصالح .

وقد يقال أيضاً: إن الله لم يحرم زواج المسلم من كتابية، مع اختلاف العقيدة!.

والجواب: أن الأمر هنا يختلف، فإن المسلم والكتابية يلتقيان في أصل العقيدة الصحيحة، وإن حُرّف دين أهل الكتاب وبُدل، كما أن الزوجة هي التي تنتقل إلى أسرة الزوج وقومه بحكم الواقع، ويدعى أولاده منها باسمه، ولذا حُرّم زواج المسلمة من كتابي، لأن المرأة قد يفتنها ضعفها عن دينها، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

٥. أن نكاح المشركين لا يؤمن المسلم من الخيانة في العرض،

(١) تفسير الفخر الرازي، (١/٨٩٦).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، (١/٢٥٠).





ومن ثم اختلاط الأنساب، أو ضياعها، إذ أن المشرك ليس له دين يردعه عن ذلك أو يمنعه، والله تعالى كرم الأسرة المسلمة بالطهارة، والعفة، فهي أحد مقومات الأسرة الأساسية.

٦. أراد سبحانه وتعالى أن يجعل ميزان الإعجاب عند المؤمن، مستمد من شرع ربه، فما يراه الله خيراً فهو الخير له، وإن لم يظهر ذلك للمؤمن، وجمال قلب المؤمنة أبقى من جمال المشركة، حتى لو كانت المسلمة أمة غير حرة، فإن نسبها إلى الإسلام يرفعها عن المشركة ذات الحسب، لاسيما أن نسب الدين أعلى الأنساب، قال تعالى: (وَلَأُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)، وهذا الميزان يسير عليه المؤمن في جميع أموره، وفي شتى جوانب حياته، وعلاقاته الاجتماعية بمن حوله، وهو نابع من عبودية العبد لربه، وإيثار مرضاته، على ما تهواه النفس، فضلاً عما يحبه الآخرون ويرضونه.

٧. ومما يستفاد من هذا التشريع الحكيم: «النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة، فالخلطة المجردة من باب أولى<sup>(١)</sup>».

فالله سبحانه وتعالى يريد أن يرفع هذه العلاقة الاجتماعية حتى يصلها به جل وعلا، فإذا كان الزوجان مؤمنين فقد زالت العقبة؛ واجتمعت القلوب على توحيد الله؛ وتوثقت عرى الإيمان، وسلمت العلاقة الأسرية الاجتماعية.

(١) تفسير السعدي، (١/٩٩).



ثانياً: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي  
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ  
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ  
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ النساء: ٣٦

حين أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة خلقه بعبادته وحده لا شريك له، أتبع ذلك بالأمر بالإحسان للوالدين.

فالوالدان أفنيا حياتهما في تربية أولادهما، فكان من حقهما الإحسان إليهما، وبرهما، فكما أنه لا يستحق العبادة إلا الله تعالى، الخالق، المتفضل على خلقه بالتربية بالنعمة، فكذلك كل من أسدى إلينا معروفًا، استحق الإحسان منا، ولا أحد أعظم حقاً بعد حق الله عز وجل، ثم رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>، كوالدين لما كان لهما من فضل كبير على أولادهم، لاسيما أنهما سبب وجودهم في هذه الحياة، ولا يعني ذلك أن هناك قرابة في النسبة بين حق الله وحق الوالدين إطلاقاً، ولكن عدل الله تعالى ورحمته وحكمته اقتضت اقتران حقه سبحانه بحقهما تعظيماً له.

وقد ذكر الفخر الرازي<sup>(٢)</sup> في تفسيره لطائف جميلة حول تكرار

(١) «إذا قال قائل: لماذا لم يذكر الله حق رسوله ﷺ؟ فالجواب أن حق الله متضمن لحق الرسول ﷺ، ولهذا جعل النبي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، جعلهما ركناً واحداً من أركان الإسلام". انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (٧/٢٧٩).

(٢) هو: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري الرازي، يقال له ابن خطيب الري وابن الخطيب، لأن أباه كان خطيب مدينة الري. إمام الأشاعرة والمتكلمين في وقته، له عدة مؤلفات منها مفاتيح الغيب في التفسير، والمحصول في الأصول، في





إرداف عبادة الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين في عدة مواضع من كتاب الله فقال:

«إنما أردف عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين لوجوه:

١. أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره، وذلك لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده، فثبت أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى.

٢. أن الله تعالى لا يطلب بإنعامه على العبد عوضاً البتة، إنما هو محض الإنعام، والوالدان كذلك، فإنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد عوضاً مالياً، ولا ثواباً.

٣. أن الله تعالى لا يمل من الإنعام على العبد، ولو أتى العبد بأعظم الجرائم، فإنه لا يقطع عنه مواد نعمه، وروافد كرمه، وكذا الوالدان لا يملان الولد، ولا يقطعان عنه مواد منحهما، وكرمهما، وإن كان الولد مسيئاً إلى الوالدين.

٤. كما أن الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح، ويصونه عن البخس والنقصان، فكذا الحق سبحانه وتعالى متصرف في طاعة العبد، فيصونها عن الضياع»<sup>(١)</sup>.

كما أن العبد الموحد، المعظم لحق ربه، عندما يقرأ هذه الآية، ويرى

مؤلفاته انحرافات كثيرة، إلا أنه مات على طريقة حميدة، توفي سنة ٦٠٦ هـ

انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٤٩ وسير أعلام النبلاء ٢١/٥٠١.

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي. (٥٠٢/١). بتصرف يسير.







اقتران عبادة ربه - على عظمها - بحق والديه، ليحرص كل الحرص على بر والديه، قرابةً لربه، وطاعةً لأمره، ثم عرفاناً لجميلهما عليه، وذلك يعود على الأسرة بالترابط بأجيالها المتلاحقة، فإذا رأى الأولاد والديهم يبرون بوالديهم، برواهم بهم، فقويت العلاقات الاجتماعية بين الجميع، وتوطدت علاقات الأسر التي هي لبنة المجتمع الأولى.

ثم جاءت الوصية بالإحسان لذوي القربى من ذوي الأرحام، من أخ، أو عم، أو خال، ونحوه، لما له من أثر عظيم في ترسيخ العلاقات معهم، وكذا اليتامى الذين فقدوا عائلهم، والمساكين الذين ألفت بهم الحاجة، وهم «المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم»<sup>(١)</sup>، والجيران بأنواعهم<sup>(٢)</sup>، والأصحاب، والأصدقاء، وابن السبيل «وهو الغريب المنقطع عن بلده»<sup>(٣)</sup>، وما ملكت اليمين من الرقيق الذي تحت تصرف مالكة.

وحين يقوم أفراد المجتمع بكل هذه الحقوق العظيمة بدءاً بتجريد التوحيد، ثم بحقوق الخلق بمختلف أنماطها - كيف ستكون العلاقات الاجتماعية بين أفرادها؟

لاشك أنه سيكون مجتمعاً قوياً بربه، وسيسود تلك العلاقات التكافل الاجتماعي، والروابط الوشيعة المليئة بالألفة والمحبة، ولاغرو في ذلك، فلا شيء يؤلف بين القلوب، ويوحدها، ويجمعها كعقيدة التوحيد.

(١) تفسير ابن كثير، (٢/٢٩٨).

(٢) سبقت الإشارة إلى أنواع الجيران في التمهيد.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (١/٤٥٦).





ثالثاً: قريب من تلك الآية الكريمة، الآيات التي في سورة الأنعام في

قوله تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ  
وَأَيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا  
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا  
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ  
ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ  
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ  
ذَلِكَُ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣

هذه الآيات اشتملت على الوصايا العشر كما ذكر ذلك أهل العلم<sup>(١)</sup>،

وهي وصايا عظيمة، بها تستقيم العلاقات الاجتماعية المختلفة، وأول  
هذا الوصايا، وأساسها التي تنطلق منها جميع التكاليف، وتستمد منها  
كافة الحقوق، الوصية بعقيدة التوحيد: { أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }، فحين  
نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، ونؤمن بربوبيته سبحانه، وأنه  
وحده المالك المتصرف المدبر، وهو المتفرد بالجزاء يوم الدين،  
عند ذلك سنعبد الله على بصيرة، وستطمئن القلوب لتلقي كل الوصايا

(١) انظر تفسير روح البيان لإسماعيل حقي (٤/ ٧٤)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٦٠)،  
ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه  
الله (٧/ ٢٧٩).



الأخرى منه سبحانه وجل شأنه، لأنها من لدن حكيم خبير، وستدعن لها بالتسليم والقبول.

وتأتي بعدها الوصية بالإحسان للوالدين، كما في آية النساء السابقة، ثم الوصية بالأولاد {وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَقَ}، فكأنه سبحانه قال لهم: إن من مقتضيات توحيدكم لي إيمانكم بأني أنا الرزاق، فلا تقتلوا أولادكم خشية الفقر، فإني أرزقهم كما أرزقكم، ونلاحظ أن الوصيتين الثانية، والثالثة، وصية بالإحسان المتبادل بين الآباء والأبناء، وهم عماد الأسرة، وإذا قام كل منهم بحقوق الآخر توطدت العلاقات الأسرية الاجتماعية، وتعززت أواصر الألفة في الأسرة.

ولأن العفاف هو أساس تقوم عليه الأسرة في المجتمع، وبالحفاظ عليه، تصلح علاقات الأفراد فيما بينهم، جاءت الوصية الرابعة، بقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ} أي: «الزنا»<sup>(١)</sup>، فالأسرة الموحدة لربها، التي أحسن فيها الأولاد لوالديهم، والوالدين لأولادهم، لا بد أن تكون طاهرة لا تقرب الفواحش.

وإذا كان لا يمكن أن تستقر أسرة بلا عقيدة التوحيد، وهي قاعدة الوصايا كلها، ولا يمكن أن تستمر مع ضياع حقوق أصولها (الوالدين)، وفروعها (الأولاد)، فإن الفضيلة هي التي تجعل الأسرة تقوم على عماد قوي، كما أن الرذيلة تنخر فيها، فتظل نهبا لريح الشهوات،

(١) تفسير الألوسي، (٦٩/٦)، وانظر تفسير الثعلبي، (١/٨٥٧)، وروح البيان لإسماعيل حقي (٤/٧٤)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد الواحدي (١/٣٨١).





والنزوات، حتى تنهار الأسرة، ثم تتفكك العلاقات الاجتماعية، وينهار المجتمع!.

أما الوصية الخامسة: (وَلَا تَقْنَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)، ففيها قد كفل الله حرمة النفس إلا بالحق الذي بينه الشارع في مواضع أخرى، وفي ذلك طمأنينة للفرد على حياته في مجتمعه الذي يعيش فيه، وتربطه بأفراد المجتمع علاقات اجتماعية مختلفة.

ثم تأتي بقية الوصايا لتكون مجتمعا راقيا في تعاملاته، تسود الرحمة أفرادها، فالوصية السادسة: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)، في الإحسان في مال اليتيم حتى يبلغ سن الرشد، رحمة بالضعيف الذي فقد والده، والسابعة: (وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْفِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، إيفاء الكيل والميزان «بإقامة العدل»<sup>(١)</sup>، ويدخل فيه جميع الحقوق المتبادلة بين أفراد المجتمع الذين تتنوع علاقاتهم الاجتماعية فيما بينهم، إن كان كيلاً، أو وزناً، أو غيرها من الحقوق المعنوية، كحقوق الزوجين مثلاً. قال الشيخ العثيمين<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «ومن ذلك أن بعض الأزواج يريد

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٦٤).

(٢) هو: محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثيمين الوهبي التيمي. العالم الجليل، والقدوة الصالحة في العلم والزهد والصدق، والتواضع والورع والفتوى هو شيخ التفسير والعقيدة والفقهاء والسيرة النبوية والأصول والنحو وسائر العلوم الشرعية، صاحب كتاب: الشرح الممتع على زاد المستقنع، وله تفسير للقرآن الكريم، توفي في شوال/ ١٤٢١ هـ رحمه الله رحمة واسعة. انظر: الجامع لحياة الشيخ، لوليد الحسن ص (١٥٤)، وعلماؤنا: ص (٤٢)، مجلة الحكمة العدد: (٢).



من الزوجة أن تقوم بحقه كاملاً، ولكنه يماطلها بحقها، كما أن من النساء تريد من زوجها أن يقوم بحقها كاملاً، ولكنها تنقصه حقه، هؤلاء داخلون في هذه الآية بالقياس الجلي الواضح.»<sup>(١)</sup>.

ثم «بيّن أنه لا يكلف النفوس إلا وسعها، لا يكلفها من القسط الذي أمروا به ما يعجزون عن معرفته»<sup>(٢)</sup>، «فأمر بالعدل المقذور، وعفا عن غير المقذور»<sup>(٣)</sup>.

والثامنة: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) ، العدل في القول، ولو كان المخطف قريباً، وتعني العدل في «الشهادة ولو كان ذا قربي»<sup>(٤)</sup>، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لو أن أباك وهو من أقرب الناس إليك أخطأ على شخص هل تقول لأبيك: إنك أخطأت؟ نعم، هذا هو العدل»<sup>(٥)</sup>.

وأما التاسعة: فهي الوفاء بعهد الله تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) ، «وإيفاء ذلك: أن تطيعوه فيما أمركم، ونهاكم، وتعملوا بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله»<sup>(٦)</sup>، وقيل: «ما عهد إليكم من ملازمة العدل، وتأدية أحكام الشرع»<sup>(٧)</sup>.

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، بتصرف يسير، (٣٠٣/٧).

(٢) جامع المسائل لابن تيمية، (٢/٢٥٩).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، (١/٣٢١).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين، (١/٢٠٠).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (٧/٣٠٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٣/٣٥٦).

(٧) تفسير البيضاوي، (١/٤٦٥).





وختام الوصايا: ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنُكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )، «وأن هذا الذي وصيتكم به، وأمرتكم به في هاتين الآيتين، هو صراطي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيماً، يعني قوياً لا اعوجاج فيه، فاتبعوه واعملوا به»، وقيل: «إن الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمين ما وصى به مفصلاً، أجمله في هذه الآية إجمالاً يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه، ويدخل فيه أيضاً جميع أحكام الشريعة»<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن من الوفاء بعهد الله، واتباع صراطه المستقيم، القيام بجميع تلك الوصايا السالفة الذكر، التي لها الأثر العظيم في تحقيق التكافل الاجتماعي بين العلاقات الاجتماعية على اختلاف أنماطها، والله أعلم.

رابعاً: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا﴾ (٢٢) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤) ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥) ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ (٢٦) ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧) حتى قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٢٩) ﴿الإسراء: ٢٣ - ٣٩﴾.

(١) تفسير الخازن. (٢/٢٠٠).





نلاحظ أن هذه الآيات الكريمة من سورة الإسراء قريبة من آيات النساء، والأنعام في ترتيب الوصايا والتكاليف، إلا أنها تميزت بافتتاح هذه التكاليف بالأمر بالتوحيد:

(لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ )، واختتامها بالنهي عن الشرك: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣١﴾)، وفي ذلك فائدة جميلة ذكرها الفخر الرازي في تفسيره فقال:

«من فوائد هذه الآية أنه تعالى بدأ في هذه التكاليف بالأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك، وختمها بعين هذا المعنى، والمقصود منه التنبيه على أن أول كل عمل، وقول، وفكر، وذكر يجب أن يكون ذكر التوحيد، وآخره يجب أن يكون ذكر التوحيد، تنبيهاً على أن المقصود من جميع التكاليف هو معرفة التوحيد، والاستغراق فيه، فهذا التكرير حسن موقعه لهذه الفائدة العظيمة، ثم إنه تعالى ذكر في الآية الأولى، أن الشرك يوجب أن يكون صاحبه مذموماً مخذولاً، وذكر في الآية الأخيرة، أن الشرك يوجب أن يلقي صاحبه في جهنم ملوماً مدحوراً، فاللوم والخذلان يحصل في الدنيا، والقاؤه في جهنم يحصل يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

فهذه التكاليف ابتداءً بالإحسان للوالدين، وإلى ذي القربى، والمساكين وابن السبيل، حتى الوصية بالقول الميسور، «إن لم تجد عطاءً»<sup>(٢)</sup>، والنهي عن التبذير، والبخل، والأمر بالتوسط بالإنفاق،

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (١/٢٨١١).

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (١٥/٨٢).





والتحذير من قتل الأولاد خشية الفقر، والترهيب من الاقتراب من دواعي الزنا، والحذر من قتل النفس إلا بالحق، والوصية بمال اليتيم، والوفاء بالعهد، وتوفية المكيال، والنهي عن ادعاء علم ما لم يعلم، «قال قتادة<sup>(١)</sup>: لا تقل: سمعت، ولم تسمع ولا تقل: رأيت، ولم تر، فإن الله سائلك عن ذلك كله»<sup>(٢)</sup>، وانتهاء بالنهي عن سوء الخلق ومنه «التَّجَبَّرَ والتَّبَخَّرَ في المشية»<sup>(٣)</sup>، كل هذه التكاليف التي وقعت بين وصيتين بتحقيق التوحيد في هذه السورة، والتي من شأنها أن ترقى بالعلاقات الاجتماعية، وتجعلها سامية بتعاملات أفراد المجتمع وعلاقاته، وأنها لو تعرت من عقيدة التوحيد لما نفعت أصحابها.

خامساً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۗ﴾ (١٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (١٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (١٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (١٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (١٧)

إلى قوله تعالى: (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجْوَةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴿

الفرقان: ٦٣ - ٧٦

(١) هو قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي، أبو الخطاب البصري الضرير، كان من أحفظ الناس، وكان عالماً بالتفسير والاختلاف، توفي سنة (١١٠هـ)، انظر ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٢٩/٧، والسير للذهبي: ٢٦٩/٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (١١٥/٦)، وانظر: تفسير الصنعاني، (٣٧٨/٢).

(٣) تفسير ابن كثير، (٧٤/٥).





وصف الله سبحانه وتعالى عباده بالعبودية: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) «عباد إلهيته، الذين عبدوه، والتزموا شرائعه، فصارت العبودية وصفا لهم بخلاف عباده المماليك فقط، الذين لم يعبدوه، فهؤلاء وإن كانوا عبيدا لربوبيته، لأنه خلقهم ورزقهم، ودبرهم، فليسوا داخلين في عبيد إلهيته العبودية الاختيارية، التي يمدح صاحبها، وإنما عبوديتهم عبودية اضطرار، لا مدح لهم فيها»<sup>(١)</sup>. «ولهذا أضافها إلى اسمه «الرحمن» إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت»<sup>(٢)</sup>.

فذكر أن مشيهم هونا: «أي رفقا، ولينا، بحلم، ووقار»<sup>(٣)</sup>. «والتخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التخلق بالرحمة المناسب لعباد الرحمن لأن الرحمة ضد الشدة، فالهون يناسب ماهيتها وفيه سلامة من صدم المارين»<sup>(٤)</sup>.

«وما تخلل بين المبتدأ (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ)، وخبره (أَوْلَاتِكَ يُحْزَنُونَ الْعُرْفَةَ)، أوصافهم من التحلي والتخلي؛ وهي إحدى عشرة: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك والزنا والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، والابتهاج إلى الله،

(١) تفسير السعدي، (١/٤٩٦).

(٢) المرجع السابق، (١/٥٨٦).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، (١/١٢٨٦).

(٤) التحرير والتنوير، (١٩/٦٩).





و {الْغُرْفَةَ} الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا<sup>(١)</sup>، وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات: أن من صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك، والقتل، والزنا. وقد وصف الله تعالى عباده بالعبودية الخاصة في مطلع الآيات، وهو «وصف أكمل خلقه وأقربهم إليه»<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر الصفات الأخرى التي لها أكبر الأثر الإيجابي على علاقاتهم الاجتماعية بسائر أفراد المجتمع، ولا ريب أن اتصافهم بجميع الصفات السابقة الذكر، إنما كان سببه تحقيقهم لعقيدة التوحيد، وقربهم من ربهم، حتى استحقوا شرف هذا الوصف (عباد الرحمن)، ولأنهم حققوا العبودية الخاصة، اتصفوا بهذه الصفات العظيمة من: النزاهة عن الشرك والزنا، والقتل، والتواضع، والحلم، وتجنب الإسراف، والإقتار، والكذب، والعفو عن المسيء، وغيرها، مما يعود على العلاقات الاجتماعية المختلفة بالخير، والبركة، والله أعلم.

سادساً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/٨٢).

(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (١/١٠٢).



كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ  
 أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيْ أَقِمِ  
 الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ  
 الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ  
 فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
 الْحَيْرِ ﴿١٩﴾ لقمان: ١٣ - ١٩

تتجسد في وصايا لقمان علاقة الأب الصالح بابنه وشفقته عليه.

«يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً له: { إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } أي: هو أعظم الظلم»<sup>(١)</sup>.

«ووجه كونه عظيماً، أنه لا أفضع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسَوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كله، وسَوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسَوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة، بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!»<sup>(٢)</sup> لا وربى، ليس أعظم من هذا الظلم شيء.

وحكاية الله تعالى لهذه الوصايا العظيمة في كتابه الكريم تأكيداً،

(١) تفسير ابن كثير، (٦/٣٣٦).

(٢) تفسير السعدي، (١/٦٤٨).





وتأييد لها، وهو سبحانه وتعالى يوافق لقمان على ذلك فكانه جل وعلا يقول: «وإذ قال لقمان لابنه، لا تشرك، ونحن وصينا الإنسان بوالديه حسنا، وأمرنا الناس بهذا، وأمر لقمان به ابنه»<sup>(١)</sup>.

{ وَإِنْ جَهَدَاكَ } «المجاهدة استفراغ الجهد، إن اجتهد أبواك وحملاك على أن تشرك فلا تُطْعُهُمَا فِي الشَّرْكِ، يعني: أن خدمة الوالدين وإن كانت عظيمة فلا يجوز للولد أن يطيعهما في المعصية»<sup>(٢)</sup>.

وحين نتأمل مجمل هذه الوصايا العظيمة، بعد تحذير لقمان لابنه من الشرك، نلاحظ تحقيق معاني العبودية لله تعالى والتذلل له في كل وصية.

فالوصية بالوالدين، وإن كانا مشركين، توضح معنى الشكر للمنعم، ونعمة الوالدين جزء من إنعام المتفضل الأول بهما، وبسائر النعم سبحانه وتعالى، فالشكر له من باب أولى، ولذا قال سبحانه:

(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾).

والوصية الثانية: تنمي جانب مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وتذكره بأن الله محص عليه مثاقيل الذر، وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية: (يَبْنِيْ اِيْمَانًا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَآتِيْهَا اِنَّ اِلَهًا لَّطِيْفٌ حَبِيْرٌ ﴿١٦﴾).

وذلك يقوي جانب الخوف من عاقبة المعصية، ورجاء ثواب الطاعة، مهما كانت صغيرة.

(١) تفسير القرطبي، (٦٢/١٤).

(٢) تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي، (٥٩/٧)، وانظر: فتح القدير (٤/٢٧٤).



أما الوصيتان الثالثة والرابعة: (يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، فإن لقمان «لما نبهه على إحاطة علمه سبحانه، وإقامته للحساب، بقوله: (يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ)، أمره بما يدخره لذلك توسلاً إليه، وتخضعاً لديه، وهو رأس ما يصلح به العمل، ويصحح التوحيد، ويصدقه، فقال: (يا بني) مكرراً للمناداة على هذا الوجه، تنبيهاً على فرط النصيحة، لفرط الشفقة: (أَقِيمِ الصَّلَاةَ) أي: بجميع حدودها، وشروطها، ولا تغفل عنها، سعياً في نجاة نفسك وتصفية شرك، فإن إقامتها مانعة من الخلل في العمل، (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولهذا كانت ثانية التوحيد»<sup>(١)</sup>، فإن الجرأة على الفحشاء والمنكر ناتجة عن تضييع الصلاة، والتفريط في إقامتها، والفرد الذي يقارف تلك الفواحش والمنكرات بغیض عند من هم حوله، غير مستأمن على مجتمعه، ولذا كانت الصلاة هي عمود الدين، وهي الفرق بين المشرك والمؤمن.

ولما كانت الصلاة «لتكميل نفسه بعبادة ربه: أوصاه بالأمر بالمعروف قائلًا: { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } لتكميل غيره.

وقال سبحانه: { وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ } أي: من المحن والبلايا، أو فيما أمرت به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأن الداعي إلى الحق معرض لإيصال الأذى إليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٦/١٨)، بتصرف يسير.

(٢) تفسير القاسمي، محاسن التأويل، (١٦).



وذكر ابن القيم معنى لطيفا لاقتران الصبر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الآية فقال: «فمن قام لله حتى أؤدي في الله، حرم الله عليه الانتقام كما قال لقمان لابنه..»<sup>(١)</sup> فإذا كان الأذى في الله، فإن من تمام العبودية عدم الانتقام للنفس.

والوصيتان الخامسة، والسادسة ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ).

فبعد أن أوصاه بعبادة الخالق، أعقبه بالحث على حسن الخلق مع الخلق، لاسيما التواضع الجرم، الذي تدل عليه هذه الصفات، فنهاه عن صَعَرَ الخد، و«هو الصدود، والإعراض بالوجه عن الناس»<sup>(٢)</sup>، والمعنى: «أقبل على الناس بجملته وجهك عند السلام، والكلام، واللقاء، تواضعاً، ولا تحول وجهك عنهم، ولا تغط شق وجهك، وصفحته كما يفعله المتكبرون استحقاراً للناس، خصوصاً الفقراء، وليكن الغني والفقير عندك على السوية في حسن المعاملة»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك أمره بالقصد في المشي، ف«يكون متوسطاً»<sup>(٤)</sup>، و«القصد: ما بين الإسراع، والبطء؛ أي: لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطار، {وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أي انقص منه،

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٣٢١).

(٢) تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر، (٢/٥٠٥).

(٣) روح البيان، لإسماعيل حقي، (٧/٦٣).

(٤) معاني القرآن الكريم، للنحاس، (٥/٢٨٨).



أي: لا تتكلف رفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي، والمراد بذلك كله التواضع، وهذه الآية أدب من الله تعالى، بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الخلق الجاهلية بقوله: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} أي لو أن شيئاً يهاب لصوته لكان الحمار؛ فجعلهم في المثل سواء<sup>(١)</sup>.

وبعد عرض هذه الوصايا العظيمة، نلاحظ أنها تنبع من العقيدة الصافية، ولها أثر كبير على العلاقات الاجتماعية، فالشكر للوالدين اعتراف بفضل الله وإنعامه بهما على الأولاد، وهذا باعث للأولاد على تعظيم حقهما، مما يعود على العلاقة الأسرية بالألفة، والمحبة، والاحترام المتبادل، وكذلك التذكير بعظمة الله، وشمول إحاطته، وعلمه، مذكراً لتعظيمه، ومقوِّلاً لمراقبته سبحانه في جميع الأمور، ومن ذلك الحذر من انتهاك حقوق الآخرين، ثم إقامة الصلاة دلالة على صدق الاعتقاد القلبي، ودليل ظاهر على الإيمان الباطن، وإذا كانت ثمرة إقامتها كف المصلي عن الفحشاء، والمنكر، فلا بد أن يتعدى أثرها على المؤمن الذي أقام صلاته، إلى أمر غيره بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، مع ما يتحلى فيه من الصبر على ما أصابه من ذلك، ولا شك أن الصبر على الخلق في ذلك أكبر الأثر في قبولهم للأمر بالخير، والنهي عن ضده، كما أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر نابع من غيرة على الدين يملئها الإيمان بالله.

(١) تفسير القرطبي، (٧٠ / ١٤).





ثم تأتي الوصية بالصفات الخلقية، التي يجمع بينها التواضع للخلق، ومصدر ذلك كله التذلل للخالق سبحانه بالعبودية، وكل ذلك يدل على أنه متى كانت العبودية لله أكمل، كانت العلاقات الاجتماعية أكثر ترابطاً، وأفضل .

ومما سبق عرضه من النصوص يمكن تلخيص دلائلها على أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية فيما يلي:

إن جميع النصوص التي تربط العقيدة بالعلاقات الاجتماعية، تدل على صلة كبيرة بين الأعمال الظاهرة، و الباطنة، وأن الإيمان القلبي لا ينفك عن العمل الظاهر البتة، كما أن الأعمال الظاهرة التي لها أكبر الأثر الإيجابي على العلاقات الاجتماعية، ثمرة للإيمان ولا بد.

١. إن الله تعالى يريد أن يرفع علاقة الزواج، التي هي نواة العلاقات الاجتماعية، حتى يصلها به جل وعلا؛ ويربطها بمشيئته سبحانه في طهارة الأسرة، فإذا كان الزوجان مؤمنين فقد زالت العقبة؛ واجتمعت القلوب على توحيد الله؛ وتوثقت عرى الإيمان، وسلمت العلاقة الأسرية التي هي لبنة المجتمع المسلم.

٢. إن من لوازم تجريد التوحيد للخالق، القيام بحقوق الخلق بمختلف أشكالها، التي لها أكبر الأثر في تقوية روابط العلاقات الاجتماعية، إذ أن الموحد لربه يستجيب لجميع أمره، ونهيه الذي منه هذه الحقوق، وكلما حقق أفراد المجتمع التوحيد، قويت العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، وذلك يعود





على المجتمع، ومن ثم الأمة الإسلامية بالقوة، والثبات،  
والتمكين، ناهيك عما سيسود تلك العلاقات من تكافل،  
وروابط وشيجة، مليئة بالألفة، والمحبة التي تنبذ الفرقة  
والاختلاف، ولاغرو في ذلك، فلا شيء يؤلف بين القلوب  
ويوحدها ويجمعها كعقيدة التوحيد، والله أعلم.





## المبحث الثاني

أدلة السنة النبوية

على تأثير العقيدة على العلاقات الاجتماعية



كما هو معلوم عند أهل السنة والجماعة، أن العقيدة إيمان قلبي باطن، يتبعه عمل ظاهر، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إجماع أهل السنة: على أن الإيمان قول، وعمل، ونية، وإصابة السنة<sup>(١)</sup>»، ولا شك أن لكل عمل أثر، إما على العامل، وإما على من حوله، أو عليهما جميعاً، ويتنوع هذا الأثر الذي يتركه الإيمان بحسب نوع العلاقة الاجتماعية، وبحسب قوة إيمان الإنسان، واعتقاده، وكلما كان المرء أكمل إيمانا بربه، كان ذلك الإيمان أعظم أثراً على نفسه، وفي علاقاته بمن يشاركونه مجتمعه، وسبب ذلك: ما يثمره الإيمان، من آثار عظيمة، على العلاقات الاجتماعية، وهناك نماذج رائعة، ونصوص عظيمة من سنة المصطفى ﷺ تدل على أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولاً:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أوثق

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٧/ ٣٣١).





عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله<sup>(١)</sup> وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فالعبد المؤمن إذا أناب لربه، وعبده، ووافق، حتى صار يحب ما يحب ربه، ويكره ما يكره ربه، ويأمر بما يأمر به ربه، وينهى عما ينهى عنه ربه، ويرضى بما يرضى ربه، ويغضب لما يغضب له ربه، ويعطي من أعطاه ربه، ويمنع من منع ربه، فهو العبد الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه أبو داود من حديث القاسم عن أبي أمامة: ( مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ )، وصار هذا العبد دينه كله لله وأتى بما خلقه له من العبادة، فقد أتحدت أحكام هذه الصفات التي له، مع صفات الرب وأسبابها وهم في ذلك على درجات»<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان هذا هو الحب في الله، فلا بد أن يكون له ثمرات عظيمة على علاقة المؤمن الاجتماعية بإخوانه، فإن عقيدة الحب في الله هي التي تجعل المؤمن يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، فعن أنس بن مالك

(١) رواه أحمد بلفظ (أوسط عرى الإيمان.. الحديث) برقم (١٨٥٢٤)، والطبراني في معجمه، برقم (٤٤٧٩)، وقال الألباني عنه في تحقيق كتاب الإيمان لابن تيمية حديث صحيح، (١/١١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٦٨٣)، وقال محققه الألباني: حديث صحيح (٤/٣٥٤).

(٣) مجموع الفتاوى، (٢/٣٨٩، ٣٨٨).





رضي الله عنه، خادم رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)<sup>(١)</sup>.

و«معناه: لا يؤمن أحدكم بالإيمان التام، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، والمراد بهذا الحديث: كف الأذى والمكروه عن الناس، ويشبهه معناه قول بعض السلف: «كنت إذا كرهت شيئاً من غيري لم أفعل بأحد مثله»<sup>(٢)</sup>. وحديث أنس يدل على: «أن هذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر، من الغش، والغل، والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله، من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأثر العظيم لعقيدة المحبة، تجعل العلاقات الاجتماعية بين أهل عقيدة التوحيد علاقة يسودها الترابط، والتراحم، والتواد، والتآلف.

«ويستفاد من هذا، التحذير من أن يحب للمؤمنين ما لا يحب لنفسه، لأنه ينقص بذلك إيمانه حتى أن الرسول ﷺ نفى عنه الإيمان، مما يدل على أهمية محبة الإنسان لإخوانه ما يحب لنفسه، وأن من

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (٦/١)، برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، (١٧/١)، برقم (٤٥).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٦٥/١).

(٣) جامع العلوم والحكم، بتصرف يسير (١٢١/١).





اتصف به فإنه لا يمكن أن يعتدي على أحد من المؤمنين في ماله أو في عرضه أو أهله، لأنه لا يحب أن يعتدي أحد عليه بذلك، فلا يمكن أن يحب اعتدائه هو على أحد في ذلك، فالأمة الإسلامية يجب أن تكون يداً واحدة، وقلباً واحداً، وهذا مأخوذ من كون كمال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت الإيمان والحب قرينان، فإن إفشاء السلام مما يزيد في الحب بين المسلمين، بنص السنة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم، كما أن إفشاء السلام، «من موجبات الجنة»<sup>(٢)</sup>، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم)<sup>(٣)</sup>.

ولعل السبب في كونه يزيد المحبة بين الناس، «أن كل واحد من المتلاقين يدعو للآخر بالسلامة من الشرور، وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير، ويتبع ذلك من البشاشة وألفاظ التحية المناسبة ما يوجب التآلف والمحبة، ويزيل الوحشة والتقاطع»<sup>(٤)</sup>.

(١) الأربعون النووية بتعليقات الشيخ ابن عثيمين (١/٢٢).

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى، لابن رجب الحنبلي، (١١/١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، (١/٢٢)، برقم (٥٤).

(٤) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، للسعدي، (١/١١٣).





إن كل الآثار السالفة الذكر، من سلامة الصدر، من الغش، والغل، والحسد، وكون المؤمنين يد واحدة، وقلب واحد، يحب الواحد منهم لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، كل هذا الآثار وغيرها على العلاقات الاجتماعية، بين من تجمعهم عقيدة الإيمان، سببها المحبة، وسبب وجود هذه المحبة هو أخوة العقيدة، ونسب الدين، الذي هو فوق كل نسب.

وجميع ما سبق ذكره من أهمية نشر المحبة بين المسلمين، نابع من أصل عقدي مهم، وهو محبة الله جل جلاله، ومحبة الله سببها الإيمان به وتعظيمه والتدلل له سبحانه، وكلما زاد إيمان العبد زادت محبته، وقويت علاقاته الاجتماعية بإخوانه المؤمنين، والله أعلم.

ثانياً:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)<sup>(١)</sup>. ما أجمل وصف نبينا محمد ﷺ العلاقات الاجتماعية القائمة بين المؤمنين، وتشبيهه لها بالجسد الواحد، الذي إذا أصاب جزءاً منه مصيبة، أو بلاء لم يهنأ سائر الجسد بالراحة، أو العافية، أو النوم حتى يشفى!، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: «جعل المؤمن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٨/١١)، برقم (٦٠١١) ومسلم في كتاب الإيمان، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (١/١٧)، رقم (٢٥٨٦).





مع المؤمن بمنزلة العضو مع العضو، اللذين تجمعهما نفس واحدة، ولهذا سمي الله الأخ المؤمن نفساً لأخيه في غير موضع من الكتاب والسنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢) ﴿النجم: (٣٢)﴾ (١).

وهكذا المؤمنون مع بعضهم كنفس واحدة، وكلما كمل إيمانهم، عظم شعورهم بجراح إخوانهم، وآلامهم، وكان همهم تفريج كربتهم، وتخليصهم من محنتهم.

ثالثاً:

كما أن الشعور بالجسد الواحد يجعل علاقة المؤمن بأخيه، كعلاقته بالمرأة، التي يرى فيها نفسه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه) (٢).

«ومعلوم أن كونه مرآة أخيه يعني أنه: ينصح له، ويكون له مثل المرأة، فإن الإنسان إذا وقف أمام المرأة، عرف ما فيه من خلل، ومن عيب، ومن شيء يحب إزالته؛ لأنه رآه بنفسه، ومعلوم أن الإنسان لا يرى ما فيه مما هو ظاهر إلا إذا وقف أمام المرأة، لكن غيره إذا رآه يراه في كل وقت، وفي كل حين، فهو ينبهه على ما فيه من خلل وعلى

(١) مجموع الفتاوى، (٢/٣٨٩، ٣٨٨).

(٢) أبو داود (٤٩١٨). وقال الألباني: حسن (٣/٩٢٩). وقال الأرنؤوط في جامع

الأصول: حسن (٦/٥٦٣).





ما فيه من نقص، وينصحه، ويكون عوناً له على ما يعود عليه بالخير، وكيف عليه ضيعته، أي: يكون عوناً له على المحافظة على كل ما من شأنه المحافظة عليه، ويحوطه أي: ينصح له في حضوره وفي غيابه، وإذا كان وراءه فإنه يذب عنه وكيف عن عرضه ولا يلحقه ضرر منه»<sup>(١)</sup>.

رابعاً:

كما أن الشعور بالجسد الواحد يثمر الإيثار: والإيثار هو: «تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية، رغبة في الحظوظ الدنيوية»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «أن تؤثر الخلق على نفسك، فيما لا يخرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً ولا يفسد عليك وقتاً، مثل أن تطعمهم وتجوّع، وتكسوهم وتعري، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين»<sup>(٣)</sup>.

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم -أو يضيف- هذا؟، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني!

(١) شرح سنن أبي داود، للشيخ عبد المحسن العباد، (٢٨/٢٠٠).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٨/٢٦).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم، (٢/٢٩٨) بتصرف.





فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته فجعلاً يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ضحك الله الليلة - أو عجب من فعالكما - فأنزل الله: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) (الحشر: ٩) (١)).

وذلك يدل على أن الإيمان بالله يثمر الإيثار بالنفيس، وهو سبب للفلاح لأنه يقي الإنسان من الشح، كما أن الإيثار له آثار نفسية عجيبة على علاقة المؤمنين الاجتماعية بأفراد مجتمعهم، وهو مظهر بارز من مظاهر الرحمة، والمودة، وشعور الجسد الواحد.

ولا شك أنه إذا كان الباعث للإيثار الرغبة في الأجر الأخروي، فإنه سيكون في الأمور الدنيوية فحسب، مما لا يفوت على المؤثر حظ نفسه من القرب لربه، فإن الدنيا زهيدة عند أهل الإيمان، وما أهون أن يقدموها قربةً لربهم، الذي جعل علامة إيمانهم، وسبب فلاحهم إيثارهم لإخوانهم، الذين تربطهم به علاقات اجتماعية مختلفة، كالرحم، أو الجوار، أو الصحبة، وقبل كل ذلك علاقة الدين.

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله { وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }، (١٠/٦٣)، برقم (٣٧٩٨) واللفظ له، ومسلم في كتاب الأشربة باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، (٣٦/٣٢)، برقم (٥٣٥٩).





خامساً:

إن من علامات كمال الإيمان حسن الخلق مع الآخرين، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)<sup>(١)</sup>، وفي ذلك دلالة على عظيم منزلة حسن الخلق من الإيمان، وعلى ضرورة المحافظة عليه، وجعله نصب عيني كل مسلم معظم لتوحيده عز وجل، وفي هذا يقول ابن قَيِّم الجوزية: «الدِّينُ كُلُّهُ الْخُلُقُ؛ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية الأخلاق بأنها إيمانية فقال: «من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حبِّ الله، ورسوله، وخشيَةِ الله، والإنابةِ إليه، والتوكلِ عليه، والإخلاصِ له، وفي سلامةِ القلوبِ من الرياء، والكبر، والعجب، ونحو ذلك، والرحمة للخلق، والنصح لهم، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية»<sup>(٣)</sup>.

وقد أوضحت السنة النبوية الصلة الكبيرة بين كمال الإيمان، وكثير من الأخلاق الحسنة التي لا يخفى أثرها الإيجابي على العلاقات الاجتماعية.

سادساً:

إن كفا الأذى من كمال الإيمان ولا سيما الأذى باللسان، حيث

(١) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة: (١١٦٢)، وأحمد في مسنده (٧٤٠٢)، وأبو داود في السنن (٤٦٨٤)، وقال الألباني محقق سنن أبي داود: حسن صحيح.  
 (٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٣٠٧/٢).  
 (٣) مجموع الفتاوى، (٥٦٣/٧).



إن وقعه بالغ الضرر، وهو سبب لتفكك كثير من روابط العلاقات الاجتماعية، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفحاش، ولا البذيء)<sup>(١)</sup>.

و (الطعان): «الوقاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة، و(البذيء): أي الفاحش في منطقه، وإن كان الكلام صدقا»<sup>(٢)</sup>.  
 و(اللعان): اسم فاعل للمبالغة بزنة فعّال، أي: كثير اللعن، ومفهوم الزيادة غير مراد، فإن اللعن محرم قليله، وكثيره.

والحديث: إخبار بأنه ليس من صفات المؤمن الكامل الإيمان السب واللعن إلا أنه يستثني من ذلك لعن الكافر، وشارب الخمر، ومن لعنه الله ورسوله»<sup>(٣)</sup>.

والفحاش: «السيء الخلق»<sup>(٤)</sup>، وهو «المبالغ في الفحش في كلامه»<sup>(٥)</sup>، وقيل في تفسير الفحش والبذاءة: «التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ما يكون ذلك في ألفاظ الجماع، وما يتعلق به، فإن أهل الخير يتحاشون عن تلك العبارات ويكنون عنها»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (١٩٧٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال محققه الألباني:

صحيح، وأخرجه أحمد (٣٨٣٩)، وقال شاكر: إسناده صحيح (٥/٢٢٢).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، (٢/٦٢٤).

(٣) سبل السلام للصنعاني، (٤/١٩٤).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٧/٢٠٠).

(٥) كشف المشكل، لابن الجوزي، (١/١١٥٥).

(٦) مختصر منهاج القاصدين، للإمام أحمد بن قدامة المقدسي، ص (١٨٣، ١٨٢).





«وهذا يدل على أن هذه الأمور نقص في الإيمان، وأنها تسلب عن المؤمن حقيقة الإيمان، وكمال الإيمان ألا يكون طعانا، يطعن في الناس بأنسابهم، أو بأعراضهم، أو بشكلهم، وهيئاتهم، أو بأمالهم، ولا باللعان الذي ليس له هم إلا اللعنة، فالمؤمن ليس باللعان، ولا بالفاحش الذي يفحش في كلامه بصراخ أو نحو ذلك، ولا بالبذي الذي يعتدي على غيره، فالمؤمن مؤمن مسالم، ليس عنده فحش في قوله، ولا في فعله، ولا غير ذلك لأنه مؤمن»<sup>(١)</sup>.

وكف المسلم الأذى عن إخوانه، من الآثار الطيبة التي يتركها الإيمان في علاقات الاجتماعية مع غيره، حيث إن أذى اللسان يجرح المشاعر، ويشير العداوة، والبغضاء، وذلك ينافي مقاصد الإيمان في الحظ على التآلف في علاقات المسلمين الاجتماعية، ولذا فإن المرء مؤاخذ بما يتكلم به، ومجزى بما يتلفظ به.

سابعاً: ومن كمال الإيمان كف الأذى باليد:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه، ويده)<sup>(٢)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والمؤمن من أمنه الناس

(١) شرح رياض الصالحين، للشيخ العثيمين، (١/١٨٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (٤/٢) برقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أمره أفضل، (١/١٤)، برقم (١٦١)، وأخرجه بزيادة: (والمؤمن من أمنه الناس على دمانهم وأموالهم)، الترمذي (٢٦٢٧)، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي، (٤٩٩٥)، وقال الألباني: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (١٨٠)، وأحمد (٨٩٣١).





على دمائهم وأموالهم»<sup>(١)</sup>.

وذلك «بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، وذكر المسلم، والمؤمن بمعنى واحد تأكيداً وتقريراً»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: (المؤمن من أمنه) «يعني: جعلوه أميناً، وصاروا منه على أمن على دمائهم، وأموالهم لكمال أمانته وديانته وعدم خيانتته، وحاصل الفقرتين: إنما هو التنبيه على تصحيح اشتقاق الاسمين: (المسلم، والمؤمن)، فمن زعم أنه متصف به، ينبغي أن يطالب نفسه بما هو مشتق منه، فإن لم يوجد فيه، فهو كمن زعم أنه كريم ولا كرم له»<sup>(٣)</sup>.

والمراد بهذا الحديث: «الحث على ترك أذى المسلمين بكل ما يؤدي، وسر الأمر في ذلك حسن التخلق، كما قال الحسن البصري»<sup>(٤)</sup> في تفسير الأبرار: «هم الذين لا يؤذون الذر، ولا يرضون الشر»، والإيذاء باللسان، واليد أكثر من غيرهما، فاعتبر الغالب، وقدم اللسان على اليد لأن إيذاء اللسان أكثر وقوعاً، وأسهل، ولأنه أشد نكايَةً»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، (٢٦٢٧) وقال: حسن صحيح.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، (٣٨٨/٢).

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، (٣١٧/٧).

(٤) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام، شيخ الإسلام أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، كان من بحور العلم، كبير الشأن، عديم النظر، مليح التذكير، بليغ الموعدة، وكان عالماً مأموناً عابداً ناسكاً فصيحاً جميلاً. رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، مات سنة ١١٠ هـ. انظر: طبقات علماء الحديث ١/ ١٤٠ - ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣ - ٥٨٨.

(٥) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، (٣٥٣/١) بتصرف.





فالاتصاف بالإيمان والإسلام باعثٌ للوازمهما، من حفظ حقوق الآخرين، وعدم التعدي عليها بأذى معنوي باللسان، أو حسي باليد، وإذا كان الإنسان يعيش مع أناس يأمن معهم على نفسه، وماله، فلا بد أن تكون علاقاته الاجتماعية معهم متينة، متألّفة.

ثامناً:

ومن النصوص الدالة على ذلك أيضاً:

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا تحاسدوا<sup>(١)</sup> ولا تناجشوا<sup>(٢)</sup>، ولا تباغضوا، ولا تدابروا<sup>(٣)</sup>، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض<sup>(٤)</sup>، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه<sup>(٥)</sup>، ولا يخذله<sup>(٦)</sup>، ولا يحقره، التقوى هاهنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرّات)، بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه

(١) الحسد: أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه. النهاية في غريب الأثر، (١/٩٥٦).

(٢) النجش: إذا زاد في سلعة أكثر من ثمنها، وليس قصده أن يشتريها بل ليغز غيره فيوقعه فيه. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (٢/٥٩٤).

(٣) التدابر: دابرت فلاناً: عاديته. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢/٣٢٤).

(٤) معناه: أن يشتري شيئاً فيدعوه غيره إلى الفسخ لبيعه خيراً منه بأرخص. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، (١/٣٤٨).

(٥) لا يظلمه: هو خير بمعنى الأمر فإن ظلم المسلم للمسلم حرام. فتح الباري، لابن حجر، (٥/٩٧).

(٦) الخذلان: ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه، شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦/١٢٠).





المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه»<sup>(١)</sup>.  
 فقوله: «(وكونوا عباد الله إخوانا) أي تعاملوا وتعاشروا معاملة  
 الإخوة، ومعاشرتهم في المودة، والرفق، والشفقة، والملاطفة،  
 والتعاون في الخير، مع صفاء القلوب، والنصيحة بكل حال»<sup>(٢)</sup>.

و«هذه إخوة الإسلام، فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم  
 الأخوة، ويشترك في ذلك الحر والعبد، والبالغ والمميز»<sup>(٣)</sup> والمقصود  
 بذلك: «اكتسبوا ما تصيرون به كإخوان النسب في الشفقة، والرحمة،  
 والمحبة، والمواساة، والمعاونة، والنصيحة، فأنتم مستوون في كونكم  
 عبيد الله وملتكم واحدة، والتباغض وما معه، مناف لذلك، والواجب  
 أن تكونوا إخوانا متواصلين متآلفين»<sup>(٤)</sup>.

وقوي الإيمان لا يمكن أن يحقر أخاه في الدين، لأن المؤمن الحق  
 معظم لما عظمه ربه، والله تعالى قد عظم المسلم، وكرمه.

ومن لوازم كون المؤمنين أهل ملة واحدة، أن تكون علاقاتهم  
 الاجتماعية، أخوية، مليئة بحب الخير، وكف الشر عن الغير،  
 كأخوة النسب، بل هي أقوى!، لأن أخوة الدين هي الأصل لسائر  
 العلاقات الأخرى، إذ لولا الانتساب لهذا الدين العظيم لما

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله  
 واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (١٠/٤٥)، برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، والبخاري  
 في كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، (٢/٨٥) برقم (٦٧٢٤).

(٢) شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد، (١/٩٠).

(٣) فتح الباري، لابن حجر، (٥/٩٧).

(٤) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد الزرقاني، (٤/٣٣٢).





عرف، واعتنى العبد بعلاقاته الاجتماعية الأخرى كعلاقته بوالديه، وإخوانه، وجيرانه، ونحوها.  
تاسعاً:

من لوازم الإيمان اقتصار الكلام على الخير، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)<sup>(١)</sup>.  
ومعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن المصدق بالثواب والعقاب المترتبين على الكلام في الدار الآخر لا يخلو من: إما أن يتكلم بما يحصل له ثواباً أو خيراً فيغنم، أو يسكت عن شيء يجلب له عقاباً أو شراً فيسلم»<sup>(٢)</sup>.

إن من كمال الإيمان ألا يقول المؤمن إلا خيراً أو يسكت، فالكلام لا بد أن يكون أثر على المتكلم، وعلى سامعه، لأن المتكلم لا بد أن يتحدث إلى أحد يسمعه، وقد ينقل السامع حديثه إلى آخرين، وهكذا حتى يبلغ كلامه الآفاق بالنقل المتتابع، أو غير المتتابع.

ولأن للكلمة الأثر العظيم الإيجابي، أو السلبي، كان لإطلاق المرء، أو إمساكه لها هذه المنزلة البالغة من إيمانه، لاسيما في علاقاته الاجتماعية، سواء كانت علاقته الأسرية، أو الجوارية، أو في علاقته بأصحابه، أو مع سائر الناس، المسلمين وغير المسلمين، وذلك لأن

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (١١ / ٣٠٨) برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الضيف ولزوم الصمت إلا عن خير، وكون ذلك كله من الإيمان (١ / ١٩) برقم (١٧٣).

(٢) الكبائر، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، (١ / ٦٢).







القلوب هي مصدر الكلام في الغالب، وهي محل الإيمان أيضاً. وقد يتلفظ المؤمن بكلمة خير تصلح حياته، وحياة من تربطهم به علاقات مختلفة، والمقابل قد ينطق الإنسان كلمة سوء تكون سبباً في إفساد علاقاته مع من حوله، فإن الكلمة الطيبة قد تكون سبباً في جمع شمل زوج بزوجه، وأب بأولاده، أو أخ بإخوته، أو صديق بأصحابه بعد طول خصام وفرقة، وفي المقابل قد تكون كلمة السوء سبباً في فرقة هؤلاء جميعاً بعد طول إئتلاف.

ولهذا كله، فإن المؤمن كلما كان أكمل إيماناً، كان أكثر تروياً فيما يقول، وأكثر تحريماً للخير في كلامه، لمالهذا الكلام من آثار على إيمانه، وعلاقته بمن يعيش معهم في مجتمعه، والله أعلم.

عاشراً:

من كمال الإيمان حسن العشرة مع الأهل، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم)<sup>(١)</sup>.

وإذا كان التفاضل في كمال الإيمان المنصوص عليه في هذا الحديث الشريف، ميزانه حسن الخلق، فإن خيرة هؤلاء المؤمنين من كان حسن الخلق مع نسائه، وأما معنى قول المصطفى ﷺ (خيارهم)، أي:

(١) أخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة: (١١٦٢)، وأحمد في مسنده (٧٤٠٢) واللفظ له، وأبو داود في السنن (٤٦٨٤)، وقال الألباني محقق سنن أبي داود: حسن صحيح.





«خيارهم عند الله سبحانه وتعالى، خيارهم (لنساءهم) وذلك بالبشاشة وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى والصبر على إيدائها»<sup>(١)</sup>.

ولعل السبب في ذلك أن المؤمن الذي يتصف بحسن الخلق مع أهله، قد صبر نفسه على ما يصعب الصبر عليه من سوء خلق بعض النساء، لأن المرأة تحتاج إلى مزيد من الرفق، واللطف، يدفعه لذلك إيمانه بربه سبحانه، واقتداؤه بهدي نبيه ﷺ، ولذا أكد خبر النبي ﷺ على أن خيار المؤمنين خيارهم لنساءهم.

كما أن من لطف المؤمن مع نساءه وأهله، أن «يعاملهنّ بالصبر على أخلاقهنّ، ونقصان عقلهن، وكف الأذى، وبذل الندى، وحسن الخلق، وحفظهن عن مواقع الريب»<sup>(٢)</sup>.

وستعود تلك الأخلاق الإيمانية على العلاقات الأسرية الاجتماعية بالتألف والتراحم، والتواد، كما أن ذلك له أكبر الأثر الإيجابي على الناشئ في هذه الأسرة.

وتصريح النبي ﷺ في هذا الحديث بأن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، ثم تخصيصه بالخيرية بالخيرية مع الأهل يبين الأثر العظيم لقوة إيمان العبد على حسن خلقه مع أهله.

الحادي عشر:

في الصحيحين من حديث أبي شريح العدوي، قال: سَمِعْتُ أَدْنَايَ، وَأَبْصَرْتَ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد البكري الشافعي، (٥/٨٩).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، (١/٤١١).



بالله واليوم الآخر فليكرم جاره.. الحديث) (١).

إن من مبادئ هذا الدين الحنيف التي غرسها في قلوب المؤمنين إكرام الجار، وهذا الحديث يدل على أن من موجبات الإيمان العناية بحق الجار، وذلك لأن عدم إكرام الجار «يدل على قسوة قلبه، وكثرة شحه، وسقوط مروءته، ودناءة طبعه» (٢).

وفي صحيح البخاري، عن أبي شريح أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: (وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) (٣).

والبوائق: جمع بائقة، وهي «الداهية أو الأمر المهلك» (٤).

ونفي النبي ﷺ الإيمان عمن يتصف بذلك نفي لكماله، لا نفي لأصله.

ومعناه: «أنه لا يؤمن الإيمان الكامل، ولا يبلغ أعلى درجاته من كان بهذه الصفة، فينبغي لكل مؤمن أن يحذر أذى جاره ويرغب أن يكون في أعلى درجات الإيمان، وينتهي عما نهاه الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضىاه وحضا العباد عليه» (٥).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، (٣١/٧٨)، برقم (٦٠١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، (١٩/١) برقم (١٧٣).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، (٢/٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (٢٩/٧٨) برقم (٦٠١٦).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، (٢/٦٢٤).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطلان، (٩/٢٢١).





قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله:  
 «فإذا كان هذا بمُجرد الخَوْفِ من بوائقه : فكيف من فعل البَوَائِقِ  
 مع عدم أمن جاره مِنْهُ؟»<sup>(١)</sup>.  
 و «حفظ الجار من كمال الإيمان ..، وقد نفى صلى الله عليه وسلم  
 الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه، وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق  
 الجار وأن إضراره من الكبائر»<sup>(٢)</sup>.  
 ولا بد أن يعلم المؤمن أن الإحسان إلى الجار من علامات الأيمان،  
 وأن أذيته علامة على نفي كماله.

#### الثاني عشر:

في الصحيحين من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال:  
 سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم،  
 فقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن  
 بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ..) الحديث<sup>(٣)</sup>.  
 قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)، يعني: «من كان يؤمن  
 بالإيمان الكامل المنجني من عذاب الله الموصول إلى رضوان الله».

(١) الفتاوى (٢٠٨/٢١).

(٢) فتح الباري لابن حجر، (٤٤٢/١٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره،  
 (٣١/٧٨)، برقم (٦٠١٩) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على  
 إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان،  
 (١٩/١) برقم (١٧٣).





وفي هذا الحديث من الفقه أن يعتقد الإنسان أن إكرام الضيف عبادة، فينبغي أن يبادر بما فتح الله من غير كلفة»<sup>(١)</sup>.

وإكرام الضيف، من آداب الإسلام، وسنن المرسلين، ومن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام أول من ضيف الضيف، و«أفاد هذا الحديث: أن إكرام الضيف، من أخلاق المؤمنين، ومما لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عنها، لما يترتب عليها من الثواب في الآخرة، ولما يترتب عليها في الدنيا من إظهار العمل بمكارم الأخلاق، وحسن الأحدوثة الطيبة، وطيب الثناء، وحصول الراحة للضيف»<sup>(٢)</sup>.

ولأن إكرام الضيف يعود على العلاقات الاجتماعية بطيب العشرة، والألفة، كان القيام به من كمال الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلامة عليه، مع ما في ذلك من الثواب لمن أكرم ضيفه، «وذلك أن الذي يكرم ضيفه يشبه الله تعالى يوم القيامة، وربما أثابه يوم القيامة وفي الدنيا، فيشبهه الله في الدنيا بالخلف وفي الآخرة بالثواب»<sup>(٣)</sup>.

والحاصل مما سبق عرضه من النصوص النبوية الشريفة، دلالتها على أن قوة الإيمان بالله تعالى باعثة إلى التحلي بكل ما يندب إليه الشرع، مما يعود على علاقات المؤمن الاجتماعية على اختلافها، بالألفة، والمحبة، والوحدة، والترابط، والشعور بشعور الجسد الواحد، وذلك كله أصله التمسك بعقيدة التوحيد، فإن وحدة المسلمين هي أصل من أصول العقيدة، وهدف من أهدافها السامية، والله أعلم.

(١) شرح الأربعين، لابن دقيق العيد، (٤٧/١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، (١٠٧/١٦).

(٣) شرح رياض الصالحين، للعثيمين، (١/٧٧٥).



## المبحث الثالث

شواهد وتطبيقات من حياة الصحابة والسلف

على تأثير العقيدة على العلاقات الاجتماعية



لقد كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ أعداءً، وقلوبهم متنافرة، وتثور نائرة الحروب بينهم لأدنى سبب، فيأكل الغني الفقير، ويفتك القوي بالضعيف، «حتى إن بني الأب الواحد كانوا يتفرقون أحزابا، فتثور بينهم بالتحزب، والافتراق أحقاد الأعداء، وإحن العدا، وقد كانت الأنصار أشدهم تقاطعا وتعاديا، وكان بين الأوس والخزرج من الاختلاف، والتباين أكثر من غيرهم، إلى أن بعث الله النبي ﷺ رحمة للعالمين، فأسلموا، فذهبت إحنهم، وانقطعت عداوتهم، وصاروا بالإسلام إخوانا متواصلين، وبألفة الدين أعوانا متناصرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٣) آل عمران: ١٠٣. يعني أعداء في الجاهلية فألف بين قلوبكم بالإسلام»<sup>(١)</sup>.

وقد كانت عقيدة التوحيد سبب تأليف تلك القلوب المتنافرة،

(١) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، ص (٢٢٢).



واستحالتها إلى أرواح متحابه متأخية، بعد طول تفرق وتقاطع وعداء.

إن عقيدة الإسلام هي التي جمعت بين صهيب الرومي و سلمان الفارسي، وهي التي ألقت بينهم وبين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهم، العقيدة الصحيحة هي التي جمعت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها فصارت أمة واحدة، وهي التي تجمع الناس في كل زمان.

ولأن الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن بعدهم من سلف هذه الأمة، قد تلقوا الدين غضاً طرياً من لدن رسول الله ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة وخيرها، وكان أثر عقيدة التوحيد على علاقاتهم الاجتماعية واضحاً، جلياً، ومثمراً، فكانوا كالبنين المرصوص تراحمًا، وتناصرًا، وتعاونًا على البر والتقوى، وقد أثمر ذلك شجاعة، وإقداما على نشر عقيدة التوحيد والدعوة إليها في كل مكان.

وسيتم بإذن الله في هذا المبحث إيراد بعض الشواهد والتطبيقات من حياتهم -رضوان الله عليهم أجمعين- التي تبين تأثير عقيدة التوحيد على علاقاتهم الاجتماعية، وسأبدأ بذكر شواهد من مواقف الصحابة والسلف -رضوان الله عليهم-، ثم أنني بذكر شواهد من أقوالهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وقبل ذلك لابد من إيضاح بعض مفردات هذا المبحث إلى المراد بعنوان المبحث: (شواهد وتطبيقات من حياة الصحابة والسلف على تأثير العقيدة على العلاقات الاجتماعية):





١- المرادب (شواهد):

الشواهد جمع شاهد، وأصل الكلمة (شَهَدَ)، و«الشين والهاء والبدال، أصل يدل على حضور، وعِلْمٌ، وإِعْلَامٌ»<sup>(١)</sup>، و«الشاهد: اللسان، من قولهم: لفلان شاهدٌ حَسَنٌ: أي عبارة جميلة»<sup>(٢)</sup>.  
ومن هذه المعاني يتبين أن المراد بالشواهد: الإعلام بعبارات من مواقف الآخرين.

٢- المرادب (تطبيقات):

التطبيقات جمع تطبيق، و(التطبيق): «إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها»<sup>(٣)</sup>.

ويتضح بهذا أن المراد بالتطبيقات ذكر قضايا أو مواقف من حياة السلف، خاضعة، أو مبينة لقاعدة أثر العقيدة على العلاقات الاجتماعية، والشواهد والتطبيقات تكون بالأقوال، والأفعال.

٣- المراد بالصحابة:

عرف العلماء وأئمة الحديث الصحابي بتعريفات عدة، ولعل أرجح التعاريف وأجمعها ما اختاره الحافظ ابن حجر<sup>(٤)</sup> رحمه الله، إذ قال: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن: الصحابي من لقي النبي ﷺ

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣/ ١٧٢).

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري، (٢/ ٢٦٤).

(٣) المعجم الوسيط، (٢/ ٥٥٠).

(٤) هو: أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني، إمام الحفاظ في زمانه، مصنف فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الذي عم نفعه، وله من المصنفات: الدرر الكامنة، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢ هـ انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (١١٧)، وشذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٢٧٠.







مؤمناً به ومات على الإسلام.

فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو عنه، ومن غزامعه أو لم يغزمعه، ومن رآه ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»<sup>(١)</sup>.

٤- المراد بالسلف:

المراد بالسلف «التقدم، ولزيد سلفٌ كريم، أي: آباء متقدمون»<sup>(٢)</sup>.

وقد عرف السلف بأنهم «العلماء العدول الوارثون عن رسول الله الحقائق، والمعارف، والعقائد، ويمكن أن يقال هم السادة الأخيار إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة المباركة، وانتهى إليه تقريبا دور تدوين الحديث الشريف والكلام على رجاله، وأعني بأولئك السادة الأخيار كبار الأئمة الفقهاء، والمحدثين، والأصوليين، والمفسرين، وأمثالهم من علماء الإسلام، وتلامذتهم، وأتباعهم في عصرهم، وبعدهم، وعليه الكثير من العلماء، وأتباعهم إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وقيل أن: «كلمة السلف تعني السلف زمناً، والسلف معتقداً، فإن أريد بالسلف معتقداً صح أن نقول لمن هم موجودون الآن على مذهب السلف؛ نقول إن هؤلاء سلف، وإذا قلنا إن السلف هم السابقون زمناً

(١) الإصابة في تمييز الصحابة - رضي الله عنهم -، ابن حجر: ٧/١.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، (٤١٢).

(٣) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لبدر الدين بن جماعة، (٤٠).





فإنه يختص بالقرون الثلاثة المفضلة، الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، وكلا الأمرين قد استعمله أهل العلم<sup>(١)</sup>.  
 إذن فالسلف هم: «الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بالقرآن والسنة على فهم الصحابة رضي الله عنهم»<sup>(٢)</sup>.

أولاً: شواهد من مواقف الصحابة والسلف رضوان الله عليهم- على تأثير العقيدة على العلاقات الاجتماعية  
 ١. الموقف الأول:

قال الضحاك<sup>(٣)</sup>: «لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة - رضي الله عنها- من السماء، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين: والله لا نصل رجلاً منهم تكلم بشيء من شأن عائشة، ولا نفعه، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> النور: ٢٢، يقول: ولا يحلف»<sup>(٥)</sup>.

فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: «بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، فلاكونن ليتمي خير ما كنت له قط»<sup>(٥)</sup>.

- (١) كتاب الدرّة العثمينة بشرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية، (١٥٠).
- (٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن المحمود (٢٢/١).
- (٣) هو: أبو القاسم، الضحاك بن مزاحم الهلالي، الخراساني، المفسر، كان من أوعية العلم والحفظ، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وابن عمر، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤، وطبقات المفسرين للداوودي ٢١٦/١.
- (٤) تفسير الطبري، (١٣٧/١٩).
- (٥) انظر: تفسير الطبري (١٣٧/١٩)، وتفسير البغوي، (٢١/٦).





إن دافع العفو والصفح عند المقدرة، هو إيمان أبي بكر بأن ثواب الله تعالى خير من الثأر لنفسه، وثقته بوعده، والعفو في مثل هذه المواقف لا يستطيعه إلا أصحاب النفوس الكبيرة، والعقيدة الصافية، أمثال أبي بكر رضي الله عنه، فإن من أبلغ الأذى، وأشدّه إيلاًماً أن يؤذى الرجل الشريف العفيف في عرضه، وهو مع ذلك يعفو، ويصفح، مع قدرته على العقوبة، وذلك لما قر في قلبه من إيمان بما عند الله من الجزاء الذي هو خير وأبقى، ولذا استجاب لأمر ربه بقوله: «بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، فلاكوننّ ليتيمي خيراً ما كنت له قط» كما أن عفو الكريم عن المسيء، يُبقي في نفسه أثراً عميقاً، من الندم على فعله، والشعور بامتنانه له، وهو يدفعه لعدم العودة إلى الإساءة، كما يطبع في نفس المسيء حب هذه الخلة والاتصاف بها، وهذه الثمرات تبين أثر قوة إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه على علاقاته بقرابته من المسلمين، وهي إحدى أنماط العلاقات الاجتماعية.

## ٢. الموقف الثاني:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، «أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْعٍ<sup>(١)</sup> لَقِيَهُ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا،

(١) بفتح أوله وسكون ثانية ثم غين معجمة وفي رواية مهملة، وهي أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك. انظر: معجم البلدان ٥/٣٩.





فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَيَّ هَذَا الْوَبَاءَ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَيَّ هَذَا الْوَبَاءَ.

فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَيَّ ظَهْرٌ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ، نَفَرٌ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ <sup>(١)</sup> إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ <sup>(٢)</sup>، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ؟

قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنْ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا

(١) العدو: بضم العين وكسرهما هي: جانب الوادي. انظر: شرح النووي على مسلم، (٣٧٠/٧).

(٢) الجدبة: فتح الجيم وإسكان الدال المهملة، ضد الخصبة، وهي صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً، وقيل هي الأرض التي لا نبات بها. انظر: شرح النووي على مسلم، (٣٧٠/٧).



فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عَمْرُثُمَّ أَنْصَرَفَ»<sup>(١)</sup>.

هذا الموقف الذي حدث لعمر رضي الله عنه، يتضمن دلائل متعددة على أثر إيمان الإمام على علاقته بالمسلمين، منها: الأثر الطيب الذي سيبقى في نفوسهم حين استشارته - رضي الله عنه - لهم، ومنها ما ذكره النووي رحمه الله قائلاً: «خُرُوجُ الإِمَامِ بِنَفْسِهِ فِي وِلَايَتِهِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ لِشَاهِدِ أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ، وَيُزِيلُ ظَلَمَ المَظْلُومِ، وَيَكْشِفُ كَرْبَ المَكْرُوبِ، وَيَسُدُّ خَلَّةَ المُحْتَاجِ، وَيَقْمَعُ أَهْلَ الفَسَادِ، وَيَخَافُهُ أَهْلُ البَطَالَةِ والأَذَى والوَلَاةِ، وَيَحْذَرُوا تَجَسُّسَهُ عَلَيْهِمُ وَوُصُولَ قَبَائِحِهِمُ إِلَيْهِ، فَيَنْكُفُوا، وَيُقِيمُ فِي رَعِيَّتِهِ شَعَائِرَ الإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>.

كل هذه المنافع وغيرها سببها شعور عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعظم أمانة مسؤولية الرعية التي ولاه الله إياها، مما كان له أكبر الأثر في انتشار العدل بين المسلمين آنذاك.

ومن الدلائل المهمة في هذه الحادثة: التروي والتأني قبل البت في مثل هذه الأمور المصيرية، وقد ظهر ذلك في مشاورة عمر خيرة المسلمين، مع ما عنده من العلم والرأي الصائب، ومع ما في قلبه من إيمان بالقضاء والقدر، وسلامة تصرفه في عزمه على العودة، وكذلك إجابته لأبي عبيدة - رضي الله عنه - بضرب المثل، فيه إقناع له بصحة تصرفه، وتطبيب لخاطره في رد رأيه، حتى جاء الحديث الذي رواه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (٣٠/٧٦) برقم

(٥٧٢٩)، ومسلم في (٢٩/٧) برقم (٢٢١٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (٣٧٠/٧).



عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - مؤيداً، ومسدداً لهذا المنهج القويم، والتصرف السليم، وكانت هذه الحادثة معززة لعلاقة خليفة المسلمين برعيته، تاركة الأثر العظيم في نفوسهم، وفي تعاملهم لاحقاً مع مثل هذه النازلة.

٣. الموقف الثالث:

هو عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً، فقد «أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبث ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها. فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل.

وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلبث في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال:

يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا، فأطلعت امرأة معاذ، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرق إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسرّ بذلك عمر وقال: إنهم إخوة! بعضهم من بعض»<sup>(١)</sup>.

(١) كتاب الزهد، لأحمد بن حنبل، (٢٧٤/١)، وقد حسن هذا الأثر الشيخ الألباني - رحمه الله - في صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٥١) رقم (٩٢٦)، وانظر جامع الأحاديث للسيوطي، (٦٤/٢٦)، والمعجم الكبير للطبراني، (٣٣/٢٠).



هذا التصرف من أبي عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما نابع من منطلق الأخوة الإيمانية وهو ظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهما، فإن أخوة الإيمان تجعل المال الذي تحبه النفس في يد المؤمن زهيدا، في مقابل ما يحبه المؤمن لأخيه، فيجعله المؤمن ثمنا لشراء مودة إخوانه، الذين تربطه بهم علاقة الإيمان، وهي عندهم أغلى من المال وأبقى.

#### ٤. الموقف الرابع:

عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاها لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا: شاة وكفنها.

فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قرصك<sup>(١)</sup>.

إن إيثار أم المؤمنين رضي الله عنها بطعامها لذلك المسكين ثقة منها، وإيماناً بالخلف منه سبحانه، ولقد ظهر أثر إيمانها بإنفاقها على ذلك المسكين ورحمتها به، مع حاجتها لذلك الطعام، كما أن ما أخلف الله عليها بما هو خير مما أنفقت، له أعمق الأثر في نفس مولاتها، في التصديق بالخلف والإيمان بما أن عند الله خير وأبقى.

(١) موطأ الإمام مالك، (٥/١٤٥١)، ومعنى «شاة وكفنها» يأتون إلى الشاة أو الخروف إذا سلخوه غطوه كله بعجين البر وكفنوه به ثم علقوه في التنور، فلا يخرج من ودكه شيء إلا في ذلك الكفن، والودك: الدسم. ذكر ذلك القرطبي في الجامع (٢٦/١٨).





## ٥. الموقف الخامس:

قَدِمَ عبد الرحمن بنُ عوف رضي الله عنه المدينة، فأخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاريّ امرأتان، فعرض عليه أن يُناصفه أهله وماله، فقال له: (بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلوني على السُّوق.....)<sup>(١)</sup> الحديث.

إن هذا الموقف من هذا الصحابي الجليل ليثير العجب، ويدعو إلى مزيد تأمل، إذ كيف بلغ الإيمان في قلب سعد رضي الله عنه أن يفوق حبه لأخيه، حب أعجب الأشياء للنفس وهو المال والزوجة!، ومما يزيل ذلك العجب اتضاح مفهوم كمال الإيمان عند الصحابة، وامثالهم لقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)<sup>(٢)</sup>. حيث إن أخوة العقيدة تفوق أخوة النسب، فلهذا!، ما أعظم الأثر الذي سيبقى في نفس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو يسمع ذلك من سعد رضي الله عنه، لاسيما أن عبد الرحمن جاء مهاجرا غريبا، وهو محتاج إلى هذه المواساة.

## ٦. الموقف السادس :

«على حسب التّأليف على الدّين، تكون العداوة فيه، إذا اختلف أهله، فإنّ الإنسان قد يقطع في الدّين من كان به بارًا، وعليه مشفقا.

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين و الأنصار (٦٣/٣) برقم (٣٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (٦/١)، برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، (١٧/١)، برقم (٤٥).





هذا أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه، وقد كانت له المنزلة العالية في الفضل، والأثر المشهور في الإسلام، قتل أباه يوم بدر<sup>(١)</sup> طاعة لله - عز وجل - ولرسوله صلى الله عليه وسلم، حين بقي على ضلاله، وانهمك في طغيانه، فلم تعطفه عليه رحمة، ولا كفه عنه شفقة، وهو من أبرّ الأبناء، تغليبا للدين على النسب، ولطاعة الله تعالى على طاعة الأب<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الموقف يتضح أن الإيمان الحقيقي عندما يخالط شغاف قلب صاحبه، فإنه يصنع الأعاجيب، حيث يجعله يرخص الغالي والنفيس لأجل دينه، وإذا تمكنت عقيدة التوحيد من صاحبها فإنه يبغض كل عدو لدينه، وإن كان قبل ذلك من أحب الناس إليه، وأبرهم به، وأقربهم رحما، وأعلاهم منزلة.

إن هذا هو الولاء الحقيقي للدين، والبراءة من الشرك وأهله، فلما كان والد أبي عبيدة كافرا معاديا مقاتلاً للمسلمين، لم تصرف أبا عبيدة عن جهاده رحم ولا قرابة، والحق أن العلاقة الاجتماعية المقدمة بالبر هي علاقة الدين وقرابته، وهذا الموقف من هذا الصحابي الجليل يؤكد أنه كلما قوي الإيمان عند العبد كلما اشتد بغضه

(١) وفي أبي عبيدة رضي الله عنه نزلت: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ... الآية، المجادلة (٢٢)، انظر: تفسير الثعلبي (٩/٢٦٤)، وتفسير ابن كثير (٨/٥٤)، وتفسير الخازن (٧/٥٤)، وتفسير السمعاني (٥/٣٩٣)، وتفسير القرطبي (١٧/٣٠٧)، وأضواء البيان (١١/١٦).

(٢) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، ص (٢٢٢).





وبراءته من كل مبغض لدينه، عاص لربه، صاد عن سبيله، أيا كانت قرابته الاجتماعية، وفي المقابل يزداد حبه وولاؤه لكل موالٍ لعقيدته، وإن كان أبعد الأبعاد، وذلك كله يجعل علاقة المسلمين بإخوانهم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً، والله أعلم.

#### ٧. الموقف السابع:

موقف لأم سليم يرويه أنس بن مالك<sup>(١)</sup> رضي الله عنهما: «أن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سليم، فقالت: يا أبا طلحة: ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد خشبة نبتت من الأرض نَجَرَهَا حبشيُّ بني فلان؟!، إن أنتَ أسلمتَ لم أرد منك من الصداقِ غيره.

قال: حتى انظر في أمري.

فذهب، ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله، قالت: يا أنس، زوج أبا طلحة»<sup>(٢)</sup>.

في هذا الموقف من أم سليم رضي الله عنها يتضح أثر الولاء لعقيدة التوحيد، حيث جعلت أم سليم مهرها إسلام زوجها، كما أن هذا التصرف الحكيم له دلائل كثيرة، منها قوة إيمان أم سليم واعتزازها بدينها، وكذلك إثارتها أن يكون صداقها إنقاذ زوجها من النار، على أن يكون صداقها مالاً يزول، ناهيك عما كان من الأثر في نفس زوجها الذي اقترن بزوجة مؤمنة، وكانت سبباً لذوقه حلاوة الإيمان، ودخوله

(١) هي أم أنس بن مالك رضي الله عنهما. انظر: سير أعلام النبلاء، (٢/٣٠٤).

(٢) المستدرک على الصحيحين: (٢/١٩٥) ح (٢٧٣٥)، قال محقق المستدرک: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط الشيخين،



في الإسلام، وذلك سيعود على شعوره بفضلها الكبير عليه، وامتنانه لها، مما سيكون له أطيب الأثر في علاقتهم الزوجية الأسرية.

٨. الموقف الثامن:

وهو موقف مشرف أيضا لأم سليم رضي الله عنها، يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ابنُ لأبي طلحةَ يشتكي، فخرج أبو طلحةَ، فقبضَ الصَّبِيَّ فلما رجَعَ أبو طلحةَ قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكنُ ما كان، فقربت إليه العشاء، فتعشى، ثم أصابَ مِنهَا، فلما فرغ، قالت: وآروا الصَّبِيَّ، فلما أصبح أبو طلحةَ، أتى رسولَ الله ﷺ، فأخبره، فقال: (أعرستم الليلة؟ قال: نعم، قال: اللهم بارك لهما فولدت غلامًا...) (١) الحديث.

إن صبر هذه المرأة الصالحة، وإيمانها بالقضاء والقدر، كان له هذا الأثر العظيم في طمأنينة نفسها، حيث أثمر ذلك حسن استقبالها لزوجها، والقيام بحقوقه، مع أنها أم مكلومة، فقدت للتو فلذة كبدها، ومهجة فؤادها، ومع ذلك ثبتها الله تعالى بإيمانها عند الصدمة الأولى، ولم تستغرق في المصيبة، وتنس القيام بواجبها، وحسن تبعها لزوجها، مما يكون له الأثر الإيجابي على العلاقة الأسرية، كما أن زوجها يرى أن زوجته لا تغفل عن حقوقه مهما كانت الظروف، فلن يألو جهدا في معاملتها بالمثل، ناهيك عن الأجر العظيم الذي ستناله تلك

(١) أخرجه البخاري في كتاب العقيدة، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه (١/٧١) برقم (٥٤٧٠)، ومسلم في كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه (٥/٢٧) برقم (٥٦١٣).





المرأة وأمثالها، الذي منه أن يعطف الله قلب زوجها عليها، وذلك من الثواب المعجل لها، ومما يعود على العلاقة الزوجية الاجتماعية بالمودة والمحبة.

#### ٩. الموقف التاسع:

في صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله، تسعة، أو ثمانية، أو سبعة، فقال: (ألا تبايعون رسول الله؟) - وكنا حديثي عهد ببيعة - فقلنا قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا، وقلنا قد بايعناك يا رسول الله!، فعلام نبايعك؟ فقال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا الله، - وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً)، قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث الشريف: تطبيق الصحابة رضوان الله عليهم لوصية النبي ﷺ، بأن لا يسألوا الناس شيئاً، وهو من كمال التوحيد، ولما له من الأثر في علاقة المؤمن بربه، وعلاقاته الاجتماعية بخلقه، فإن الخلق مهما بلغوا من كرم الخلق يمجّون من يسألهم، لأنهم محاويج لربهم مثل سائلهم، والناس يحبون من يستغني عنهم.

قال ابن القيم: «فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمته عليه، ورضي عنك، وأحبك، والمخلوق كلما سألته هنت عليه، وأبغضك، ومقتك، وقلاك...»

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة مسألة الناس، (٣٦/١٢) رقم (٢٤٠٣).



وقبيح بالعبد المرید: أن يتعرض لسؤال العبيد وهو يجد عند مولاه كل ما يريد»<sup>(١)</sup>.

#### ١٠. الموقف العاشر:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: إن أخي فلانا وغياله أحوج إلى هذا منا).

فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول)<sup>(٢)</sup>.

هذا الشاهد الجميل يبين شعور الجسد الواحد بين هذا الصحابي الجليل وإخوانه، ويبين كذلك حب كل واحد منهم لأخيه ما يحب لنفسه، بل إن ما يتمتعون به من إيثار على أنفسهم فاق ذلك كله، وهذه المشاعر كلها لا يذكيها إلا الإيمان بالله تعالى، وما يتبع ذلك من التأخي على هذا الدين، والتآلف عليه، مما كان له هذا الأثر البالغ في علاقاتهم مع بعضهم فكان كل واحد منهم يرى أن أخاه أحوج منه، حتى عادت الهدية للأول!، فما أطيب ذلك الشعور الذي سيبقى في أنفسهم، ناهيك عن الأول عندما يرى تلك الهدية عادت إليه.

#### ١١. الموقف الحادي عشر:

عن أبي جهم بن حذيفة العدوي رضي الله عنه، قال: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي. ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به

(١) مدارج السالكين، (٢/ ١٣٢).

(٢) الدر المشثور، للسيوطي (٨/ ١٠٧).





رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم. فإذا رجل يقول: آه. فأشار ابن عمّي إليّ: أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر، فقال: آه. فأشار هشام: انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّي فإذا هو قد مات<sup>(١)</sup>.

رحم الله هذه القلوب المؤمنة، التي بقي معها الإيمان حتى آخر رمق لها في الحياة، وهذا من أعاجيب أثر العقيدة في النفوس، التي تجعل المؤمن يؤثر أخاه بقطرة ماء وهو في أمس الحاجة إليها، والآخر كذلك، حتى يموت الجميع ولم يظفر بها أحداً!، ولا شك أن مثل هذا المواقف من سلفنا الصالح لتبين أثر العقيدة في علاقات المؤمنين ببعضهم، وكيف توثق عراها، وتجمع شملها، وتبقى أطيب الأثر في علاقات من يتأملها.

## ١٢. الموقف الثاني عشر:

موقف محمد بن واسع الأزدي<sup>(٢)</sup> حيث «كان يبيع حماراً له فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه<sup>(٣)</sup>».

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بإسناد صحيح، (٣/٢٦٠)، ورواه القرطبي في تفسيره، (١٨/٢٨)، وانظر: الزهد لابن المبارك، (١/١٨٥).

(٢) هو: محمد بن واسع بن جابر بن الأحنس أبو بكر الأزدي البصري، أحد التابعين، قال الذهبي: «الإمام الرباني أحد الأعلام»، وقال ابن حجر عن ابن حبان أنه قال: «كان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردين للعبادة» وكان قد خرج إلى خراسان غازياً وفضائله ومناقبه كثيرة جداً، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١١٩/٦، وتهذيب التهذيب ٤٤١/٩.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بإسناد صحيح، (٥٢٩٦).



«وهذه إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه، وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين التي هي من جملة الدين»<sup>(١)</sup>.  
ويقصد محمد بن واسع رحمه الله أنه لو رضىه لنفسه، لرضيه لهذا الرجل، وهذا تطبيق لعلامة الإيمان الذي يقتضي أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه.

### ١٣. الموقف الثالث عشر:

وهو لناصر السنة وقامع البدعة، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقد امتحن بالبلاء العظيم، والأذى المهول، وضرب بالسياط الضرب المبرح، حتى كان يغمى عليه من شدة ما يجد، ويوطأ بالنعال، ويهان على الملأ، كل ذلك من أجل أن يتراجع عن نصرته للحق وقوله الحق في عقيدة أهل السنة والجماعة: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق»، ثم إنه سجن وأوذي ومنع من التحديث، ومع ذلك ثبت ثبات الجبال، ونصر الله به السنة.

ومع كل ما أصابه من أذى، إلا أنه جعل من تعرض له من المسلمين في حل<sup>(٢)</sup>.

قال صالح بن أحمد بن حنبل رحمه الله: «قال أبي: فجعلت الميت في حل من ضربه إياي ثم جعل يقول: وما على رجل ألا يعذب الله بسببه أحدا»، وجاء إليه رجل في مرض موته فقال لابنه صالح: «تلطف لي بالأذن عليه، فإني قد حضرت ضربه يوم الدار، وأريد أن أستحله».

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٢١).

(٢) انظر: (سيرة الإمام أحمد بن حنبل)، لأبي الفضل صالح أحمد بن حنبل، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد (١/٦٥).



قال صالح: فقلت له، فأمسك، فلم أزل به حتى قال: أدخله فأدخلته، فقام بين يديه، وجعل يبكي، وقال: يا أبا عبد الله، أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار، وقد أتيتك، فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك، وأن رأيت أن تحلني فعلت، فقال: على أن لا تعود لمثل ذلك، قال: نعم، قال: إني جعلتك في حل.

فخرج يبكي وبكى من حضر من الناس»<sup>(١)</sup>.

إن رجلاً نصر الله به العقيدة الصحيحة كالإمام أحمد رحمه الله، وثبته الله - بإيمانه به - في تلك المحنة العظيمة، لتحقيق به أن يعفو عن كل من آذاه من المسلمين، كما أن الأثر الكبير الذي تركه في علاقاته الاجتماعية معهم، لا سيما حبهم له لما عفا عنهم، وصبره وتحمله لما أصابه لأجل نصره العقيدة، هو دافع كبير لهم للإقتداء بهذا الإمام، وانتهاج سيرته، وعقيدته، وجعلها نبراساً يستضيئون به، وهذا هو ما نراه في الواقع، فما زالت سيرة الإمام أحمد عطرة حيه، وكأنه بين أظهرنا.

١٤. الموقف الرابع عشر:

حكى ابن عقيل الحنبلي<sup>(٢)</sup> عن نفسه قال: «حججت، فالتقطت

(١) المرجع السابق، (١٢٦/١).

(٢) هو علي بن عقيل بن محمد بن أحمد البغدادي أبو الوفاء، الفقيه الحنبلي، كان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير، تفقه على مذهب الإمام أحمد، جالس المعتزلة مدة من الزمن، لكنه أعلن توبته وكتبها بخطه، وألف في الرد عليهم، توفي رحمه الله عام ٥١٣ هـ انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٧)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/١٥٧).





عقد لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبدل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير، فامتنعت، وخرجت إلى الشام، وزرت القدس، وقصدت بغداد، فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدموني، فصليت بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر، ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنت، فزوجت بها، فأقمت معها سنة، وأولدتها ولدا ذكرا، فمرضت في نفاسها، فتأملتها يوما فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة، وحكيت لها، فبكت، وقالت: أنت هو والله، لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي رد العقد علي، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العقد والميراث، وعدت إلى بغداد<sup>(١)</sup>.

هذا الموقف يبين أثر أمانة ابن عقيل النابعة من قوة إيمانه، فقد رد الأمانة إلى أصحابها مع شدة فاقته، ولم يقبل على ذلك أجراً أو مكافأة فعوضه الله تعالى بخير من ذلك، فعاد له العقد وميراث صاحبة العقد.

#### ١٥: الموقف الخامس عشر:

وهو لشيخ الإسلام ابن تيمية مع خصومه، فقد قال تلميذه ابن القيم عنه رحمهما الله: «كان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيت يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم

(١) انظر: مرآة الزمان: (٨ / ٥٢، ٥٣) وقد رواها الذهبي رحمه الله بتصرف. سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٩).



عداوة وأذى له، فنهري، وتنكري، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله، فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ونحو هذا من الكلام، فسروا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه»<sup>(١)</sup>.

وقد قال قبل ذكر هذا الموقف في مقابلة الإساءة بالإحسان: «ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلي نظر إلى سيرة النبي ﷺ مع الناس يجدها هذه بعينها ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه ثم للورثة منه بحسب سهامهم من التركة، وما رأيت أحدا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه»<sup>(٢)</sup>.

فالذي أوصل شيخ الإسلام لهذه الدرجة من العفو والصفح هو قوة إيمانه واتباعه لهدي النبي ﷺ، فكلما كان الإنسان أكثر إيماناً كان أكثر اتباعاً للنبي ﷺ في معاملته وعلاقاته الاجتماعية المختلفة.

فهذا الشاهد قد ظهر فيه أثر إيمان شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بمقابلة الإساءة بالإحسان والدفع بالتي أحسن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) فصلت: ٣٤ - ٣٥.

(١) مدارج السالكين (٢/٣٤٥).

(٢) المرجع السابق.



١٦. الموقف السادس عشر:

كان الإمام المفسر محمد الأمين الشنقيطي<sup>(١)</sup> رحمه الله، مثلاً رائعاً في التقوى وخشية الله تعالى، ومن ذلك: تعظيمه لحرمان الله، وعدم سماحه لأحد أن يقع في أعراض الناس في مجلسه، مهما كان المتكلم.

«قال ابنه عبدالله عنه: أنه قال في معرض التحذير من أعراض الناس: (قتل الأولاد، وأخذ الأموال، أهون من أخذ الحسنات لشايب كبير) وهو تحذير من الغيبة»<sup>(٢)</sup>.

ويقصد أنه لو قتل أولاده وأخذ ماله، أهون من أن يؤخذ من حسناته وهو في حاجتها.

وقال ابنه أيضاً: «إن رجلاً كبيراً اغتاب أحداً عنده، فنهاه، فقال المغتاب: أنا المتكلم لا أنت.

(١) هو: العلامة الفقيه المفسر الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، من بلد شنقيط في مورتانيا، وإليها نسب، له جهود عظيمة في الدعوة ونشر العلم، وقد قدم من بلده إلى المملكة العربية السعودية في خروجه للحج عام ١٣٦٧هـ، واشتغل بالتدريس ونشر العلم، في رحلة الحج، ثم في المسجد النبوي، ونفع الله به خلق كثير، وتخرج على يديه علماء، له مصنفات أشهرها تفسير (أضواء البيان)، توفي رحمه الله سنة ١٣٩٣هـ، انظر: المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، تأليف: والدي إبراهيم السيف - رحمه الله رحمة واسعة (٥/ ٣٤٥) دار العاصمة للنشر، وانظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: الشيخ عبدالله بن بسام، (٦/ ٣٧١).

(٢) المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، تأليف: والدي إبراهيم السيف - رحمه الله رحمة واسعة، (٥/ ٤٠٠).



فرد عليه الشيخ بقوله: أنا شايب بين جنبي سورة البقرة، تسكُ بأدب، أو تخرج»<sup>(١)</sup>.  
 وهذا الإمام دفعه إيمانه إلى إنكار المنكر في مجلسه مهما كان صاحبه، ولا شك أن ذلك يعود على من أنكر عليه، وحضر مجلسه، باحترام شعائر الله، كما أن من كان لا تأخذه في دين الله لومة لائم، فإن علاقاته الاجتماعية تكون مهيبة لهيئة الله تعالى، فيتقى الله بسببه، ولا يعصى الله بحضرتة.

#### ١٧. الموقف السابع عشر:

في حياة الإمام عبد العزيز ابن باز<sup>(٢)</sup> رحمه الله، ففي هذا الإمام، ما يجعل الإنسان يعجب مما وهبه الله تعالى من أخلاق أهل الإيمان التي تذكر المرء بسيرة السلف الصالح المتقدمين، فقد كان مثلاً في صفاء السريرة، والتواضع للصغير والكبير، وقضاء حوائج الناس، وتحملهم على اختلاف طبقاتهم، وقد كان بيته مفتوحاً للضيوف في

(١) المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، (٥/٤٠٠).

(٢) هو: العلامة السلفي، إمام عصرنا سماحة الشيخ العالم الجليل عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، رئيس رابطة العالم الإسلامي، ورئيس المجمع الفقهي الإسلامي، تخرج على يديه العديد من العلماء، بعد صيته وتناهي فضله، وعرف بالتواضع، وحسن الخلق، والزهد في الدنيا، كما عرف ببذل ماله وجاهه في نفع المسلمين، والشفاعة لهم، له مؤلفات أهمها: الفوائد الجليلة في المباحث الفرضية، ومجموع فتاواه، توفي في محرم ١٤٢٠ هـ انظر: المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، تأليف: والدي إبراهيم السيف - رحمه الله رحمة واسعة، ٣/٥-٣٩٩، وجوانب من سيرة ابن باز، تأليف: محمد الحمد، ص ١.



أي بلد يحل فيه، يقصده طلاب العلم، والسائلون عن أمور دينهم، وأصحاب الحاجات.

ومن رعايته للسنة أنه لم يكن يرد من دعاه، حتى كان يستجيب لدعوات القبائل القاطنين في تخوم الجبال، برغم بعد المكان ووعورة الطريق، وبرغم كثرة مسؤولياته<sup>(١)</sup>.

إن كل من عرف هذا الإمام الجليل ليشهد له بذلك أو أكثر، ويعلم من باب أولى عظم الأثر الذي تركته هذه الصفات الإيمانية في نفوس محبي هذا العالم، ممن تربطه بهم علاقات اجتماعية مختلفة، كما أن هذا الأثر الذي تركه الشيخ في قلوب القاصي والداني، مع حبهم له، ليجعل المرء يعيد النظر في علاقاته الاجتماعية، ويحاول أن يقتدي بهذا الإمام، الذي كان قدوته نبينا محمد ﷺ، والذي كان إيمانه بربه، وعقيدته الصافية تملئ عليه الاتصاف بذلك.

(١) انظر: المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر، (٣/٥-٤٠٠)، وجوانب من سيرة ابن باز، تأليف: محمد الحمد.





ثانياً: شواهد من أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم:

١. (قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يوماً بعد ما نظر إلى الكعبة: (ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمنون عند الله أعظم حرمة منك) (١).

إن هذا التعظيم لحرمة المسلم في قلب ابن عمر رضي الله عنهما، منبعا للإيمان بالله حيث إنه تعظيم لما عظم الله تعالى، ومعلوم أن المؤمن حقاً راع لحرمة أخيه، معظم لها، وذلك يعود على علاقاته به بالاحترام والتوقير.

٢. عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوماً أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهناً حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنتم عليهم) (٢).

الشاهد من هذا الحديث: ما وجدته المهاجرون في أنفسهم من غبطة للأنصار لما قاموا به مواساة لهم، لعلمهم أنهم ما فعلوا

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له، برقم: (٢٠٣٢)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني، (٣٧٨/٤)، وأخرجه البيهقي في الشعب، (٤٠١٤)، وابن حبان في صحيحه: (٥٧٦٣)، وابن ماجه في سننه، (٣٩٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٧) وقال: حسن صحيح، واللفظ له، قال الشيخ الألباني: صحيح، ورواه أبو داود في سننه، (٤٨١٤)، والبيهقي في سننه، (١٢٣٩٣).



ذلك إلا ابتغاء وجه الله، ولخوفهم أن يذهبوا بالأجر كله، ولأن مقتضى إيمانهم بأن نفع إخوانهم هو من أعظم الأعمال الصالحة التي يتقربون بها إلى الله، فقد أثمر ذلك التنافس على هذه الأعمال الصالحة، وسؤالهم النبي ﷺ دليل على سابق علمهم بعظم أجر مواساة المؤمنين، وخوفهم أن يفوق ذلك أجر الهجرة مع النبي ﷺ.

ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من السلف الصالح يؤمنون بذلك، فقد حرصوا أيما حرص على العمل الصالح المتعدي نفعه، وتنافسوا في بذل الكثير مما يستطيعون لإيصال الخير للغير، مما كان له أطيب الأثر في علاقاتهم الاجتماعية، حتى ساد التكافل الاجتماعي في تلك العصور المشرقة.

٣. قال مالك ابن دينار<sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى -: «المؤمن كريم في كل حاله، لا يحب أن يؤذي جاره، ولا يفتقر أحد من أقربائه» ثم يبكي مالك وهو يقول: «وهو مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شيئاً، إن أزلته عن دينه لم يزل، وإن خدعته عن ماله انخدع، لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً، ولا يرى البخل من

(١) هو: أبو يحيى مالك بن دينار البصري، كان عالماً زاهداً كثير الورع، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك، فمن بعده، وحدث عنه، وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن. قال علي بن المديني: له نحو من أربعين حديثاً، توفي سنة ١٢٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٦٢، وفيات الأعيان لابن خلكان، ٤/١٣٩.





الجود حظًا، منكسر القلب ذو هموم قد تفرّد بها، مكتئب حزين ليس له في فرح الدنيا نصيب، إن أتاه منها شيء فرّقه وإن زوي عنه كل شيء فيها لم يطلبه» ويبكي ويقول: «هذا والله الكرم، هذا والله الكرم»<sup>(١)</sup>.

إن من وصف المؤمن بهذه الصفات هو أولى الناس بالاتصاف بها، وهذا الظن به رحمه الله، كما أن هذه الصفات من رعاية حق الجار والقريب، والكرم الذي يجعله يفرق ما يأتيه من الدنيا على من حوله، هي صفات يملئها عليه الإيمان الذي اتصف به، وهي ذات أثر جميل على علاقاته الاجتماعية، يملؤها ترابطاً وتآلفاً.

٤. قال الحسن البصري - رحمه الله - : « ابن آدم كيف تكون مؤمنا ولا يأمنك جارك، ابن آدم يكف تكون مسلما ولا يسلم الناس منك، ابن آدم لن تصيب حقيقة الإيمان في قلبك حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، حتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب، فإذا فعلت لم تصلح عيبا إلا وجدت آخر، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة بدنك، وخير عباد الله من كان كذلك»<sup>(٢)</sup>.

إن من لوازم تحقيق الإيمان أمن المؤمن من جانب أخيه المؤمن، كما أن من الإيمان اشتغال المؤمن بالرقي في درجاته، ولن يكون له ذلك إلا بالاطلاع على عيوبه، ثم

(١) رواه ابن أبي الدنيا، في مكارم الأخلاق، وإسناده حسن، (٥٤).

(٢) رواه البيهقي في الشعب، وإسناده ضعيف جدا، لكن معناه صحيح. (٦٧٦٢).





الاشتغال بإصلاحها، وإذا اشتغل المؤمن بإصلاح نفسه، أبصر الخلل فيها، وترفع عن أن يعيب غيره بعيب هو فيه، وهذا من سمو الأخلاق الذي سببه كمال الإيمان وحقيقته، وكم لذلك من الأثر الطيب على علاقة المؤمن بإخوانه.

٥. قال الفضيل بن عياض<sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى -: «أصل الإيمان عندنا وفرعه بعد الشهادة والتوحيد، وبعد الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض: صدق الحديث، وحفظ الأمانة وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين والرحمة للناس عامة»<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الصفات التي صرح الفضيل أنها من علامات الإيمان، لتدل على تأثير العقيدة على العلاقات الاجتماعية، حيث أنه كلما ازداد إيمان العبد، ازداد اتصافه بهذه الصفات التي تشيع التراحم، والتواصل، والأمن في علاقات المؤمنين فيما بينهم، وتكون سبباً في جمع شمل هذه العلاقات، والمحافظة عليها قوية راسخة.

ولا ريب إن اجتماع سلفنا الصالح من الصحابة الأطهار ومن

(١) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي أبو علي الزاهد الخراساني، الإمام القدوة الثبت، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث، وللفضيل رحمه الله مواعظ، وقدم في التقوى راسخ، قدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة ١٨٧ هـ، انظر: تهذيب التهذيب، ٢٦٥ / ٨، وسير أعلام النبلاء، ٨ / ٤٢١ - ٤٤١.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (٢ / ٣٧٦) رقم (٨١٧).



بعدهم على عقيدة التوحيد، كان سبباً رئيساً في جمع علاقاتهم الاجتماعية من بعد فرقة وشتات، حيث إن الإيمان عندما يخالط القلوب، يلينها من بعد قسوة، ويربط بينها وبين من يسامها من إخوة الدين برباط وثيق، رقيق، فيحصل بين المؤمنين التعارف، والتعاطف، والولاء، والتناصر، والإيثار، والسماحة، وينزع الغل من الصدور فيذوق إخوة العقيدة شيئاً من نعيم الجنة الذي قال الله تعالى فيه:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ ﴾  
الأعراف: ٤٣.

وهذا النعيم قد ذاقه سلفنا الصالح كما ظهر لنا من تلك الشواهد والأمثلة الأنفة الذكر، وكانت علاقاتهم الاجتماعية يسودها المحبة الإيمانية، وألفة الدين التي لا يعدلها شيء وهي النعمة الكبرى التي من الله بها على عباده المؤمنين بعد فرقة الشرك وعداوة الجاهلية.

﴿ قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾  
آل عمران: ١٠٣

ومتى ما تمسك المسلمون من بعد السلف بحبل الله المتين، واعتصموا به، فسيصبحون بنعمة الله إخواناً، وسيذوقون نعيم ترابط وتآلف علاقاتهم في الدنيا قبل دخول الجنة، والله أعلم.

## الفصل الثاني

آثار أصول العقيدة الإسلامية على المجتمع



وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: أثر الإيمان بالله على أفراد المجتمع.  
المبحث الثاني: أثر الإيمان بالملائكة على أفراد المجتمع.  
المبحث الثالث: أثر الإيمان بالرسل والكتب على أفراد المجتمع.  
المبحث الرابع: أثر الإيمان باليوم الآخر على أفراد المجتمع.  
المبحث الخامس: أثر الإيمان بالقدر خيره وشره على أفراد المجتمع.







## المبحث الأول

آثار الإيمان بالله على أفراد المجتمع



لما كان الإيمان بالله تعالى هو أساس أركان الإيمان الستة، فلا شك أن أثره على حياة أفراد المجتمع بالغاً، ولكن لا بد قبل بيان هذا من تعريف الإيمان، ثم بيان المراد بالإيمان بالله تعالى.

١. المعنى اللغوي للإيمان.

أ. المعنى اللغوي عند علماء اللغة:

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن.

واتفق جمع من اللغويين أن «الإيمان» معناه: التصديق.

واستدلوا بقول الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧) يوسف: ١٧ وقالوا: لم يختلف أهل التفسير أن معناه: وما أنت بمصدق لنا<sup>(١)</sup>.

ب. المعنى اللغوي عند علماء السلف:

أما علماء السلف فلهم في دلالة الإيمان وجهان:

منهم من يقول:

١. أن أصل الإيمان في اللغة: التصديق، ثم يقول: والتصديق يكون

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (١/١٣٨) وتهذيب اللغة للأزهري (٥/٢٢٥)، والمعجم الوسيط، (١/٢٨)، ولسان العرب، (١٣/٢١).





باللسان، ويكون بالجوارح، والقول يسمى تصديقاً، والعمل يسمى تصديقاً.

٢. ومنهم من يقول بل الإيمان هو: الإقرار، وليس هو مرادفاً للتصديق، فإن التصديق يقال على كل خبر عن شهادة، أو غيب، وأما الإيمان فهو أخص منه<sup>(١)</sup>.

وكلا الفريقين لا يقصرون دلالة الإيمان بالتصديق القلبي، فأهل الرأي الأول يرون أن التصديق يشمل عمل القلب والجوارح، وأهل الرأي الثاني يرون التصديق لا يكفي، بل لابد من الإقرار، وهو عمل الجوارح.

وقد اعترض علماء الشريعة على علماء اللغة بحصرهم معنى الإيمان بالتصديق بأمرين:

الأول: أن الإيمان وإن كان أصله تصديق القلب، فلا بد أن يوجب حالا في القلب و عملا له، كالتألم والتنعم عند الإحساس بالمؤلم و المنعم، فإذا لم تحصل هذه الحال، لم ينفع التصديق، وإنما يمتنع حصوله إذا عارضه معارض، ومتى حصل المعارض كان وجود ذلك التصديق كعدمه، فينقلع الإيمان من القلب.

الثاني: أن الإيمان ليس مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار و الطمأنينة، لأن كلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، وأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، بل يستوجب الانقياد، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، (١٨١).



في القلب، وهو الطمأنينة و الإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو الإقرار و الطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق و الانقياد<sup>(١)</sup>.

كما أن التصديق ضد التكذيب، فإذا صدّق الشخص، ولم يكن مكذباً، فلا يكفي ذلك لكي يكون مؤمناً، بل لابد أن يكون منقاداً. قال شيخ الإسلام: «وهذا هو بعينه كفر إبليس فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، و لكن لم ينقد للأمر، و لم يخضع له، و استكبر عن الطاعة، فصار كافراً»<sup>(٢)</sup>.

وبما أن الكفر-وهو ضد الإيمان- ليس مجرد التكذيب، فذلك الإيمان ليس مجرد التصديق، بل هو تصديقٌ وانقيادٌ، وإنما «الكفر أعم من التكذيب، يكون تكذيباً وجهلاً، و يكون استكباراً و ظلماً، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر و الاستكبار دون التكذيب»<sup>(٣)</sup>.

٢. المعنى الشرعي للإيمان:

قال بعض السلف: «الإيمان قول، و عمل»<sup>(٤)</sup>.

وزاد بعضهم على ذلك: «يزيد و ينقص، يزيد بالطاعة، و ينقص بالمعصية»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية، (١/٥١٩).

(٢) المرجع السابق، (١/٥١٩).

(٣) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية، (١/٥١٩).

(٤) كتاب الإيمان الأوسط، لابن تيمية، (١٢٦).

(٥) مجموع الفتاوى، (٧/٥٠٥).





وقال آخرون: «الإيمان قول، وعمل، ونية»<sup>(١)</sup>، وزاد بعضهم: «وإصابة السنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال آخرون: «قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة»<sup>(٣)</sup>. وكل هذه المعاني للإيمان صحيحة، وأما هذا التنوع في عبارات السلف في تعريف الإيمان، فسببه أن بعضهم أراد زيادة الإيضاح عن غيره.

قال شيخ الإسلام موضحاً ذلك:

«والمقصود هنا أن من قال من السلف: (الإيمان قول وعمل): أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح؛ ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه، إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد (الاعتقاد بالقلب) ومن قال: (قول وعمل ونية) قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد: (اتباع السنة) فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة»<sup>(٤)</sup>.

إلى أن قال رحمه الله: «وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق والعمل المطلق؛ في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين وهذا لا يسمى قولاً إلا بالتقييد، قوله

(١) كتاب الإيمان الأوسط، (٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٣٣٢).

(٣) المرجع السابق (٧/٣٣٠).

(٤) المرجع السابق (٧/١٧١).





تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَتَلَّوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا<sup>ط</sup> قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ<sup>ع</sup> يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ<sup>ق</sup> وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ آل عمران:

١٦٧، كذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من

أعمال المنافقين ؛ التي لا يتقبلها الله . فقول السلف: يتضمّن القول والعمل الباطن والظاهر»<sup>(١)</sup>.

ونخلص من ذلك إلى أن المعنى الشرعي للإيمان هو: قول باللسان، وعمل بالقلب والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

واعتقاد القلب داخل ضمن عمل القلب، ولعل هذا أجمع تعريف وأخصره.

### ٣. تعريف الإيمان بالله:

الإيمان بالله هو: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، وأنه مستحق لصفات الكمال المنزه عن صفات النقص والعيب، وأنه وحده المستحق لأن يفرد بالعبادة والخضوع والطاعة، فهو سبحانه متفرد بالربوبية والإلوهية وصفات الكمال فلا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يوحد الله في الربوبية والإلوهية وفي الأسماء والصفات<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٠٦).

(٢) انظر: تطهير الاعتقاد للصنعاني، ص (٣)، وتيسير العزيز الحميد، لآل الشيخ (١٧)، وموارد الظمان للسلمان ص ١١، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، للخميس (١١)، مجلة الجامعة الإسلامية (٢٥/٤٧٩)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان، (١/١١)، والقول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد لعبد الرزاق البدر (١٦).





ومن هذا التعريف يتبين أن الإيمان بالله يتضمن:  
الإيمان بالربوبية، والإيمان بالالوهية، والإيمان بالأسماء  
والصفات.

وإذا كان الإيمان بالله تعالى بهذه المنزلة من الدين، بل هو الدين  
كله، فلا بد أن يكون له تأثير على حياة المؤمن، ولا بد أن يظهر هذا  
الأثر على سلوكه، وخلقته، وتعامله مع الخالق والخلق.  
والآن سأعرض آثار الإيمان بالله على أفراد المجتمع.  
أولاً: فعل الخير بأنواعه:

إن جميع أفعال الخير مرتبطة بالإيمان بالله تعالى، وكثير من الآيات  
الواردة في تقرير الإيمان بالله تتناول فعل الخير في المجتمع، لاسيما  
القيام بالحقوق والواجبات والأخلاق والآداب، على اختلاف أفعال  
الخير في المجتمع بين واجب ونفل، وهذا يدل على أنها من الآثار  
العظيمة للإيمان بالله تعالى على أفراد المجتمع.  
وقد ذكرت مجتمعة ومتفرقة في نصوص شتى من الكتاب والسنة،  
ومن هذه النصوص،

قول الله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ۗ وَاَنْفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَحْلِفِيْنَ  
فِيْهِ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَاَنْفَقُوْا لَهُمْ اَجْرٌ كَبِيْرٌ ۝۷ ﴾ الحديد: ٧.

وقال تعالى مثنياً على من آمن به سبحانه من الأعراب: ﴿ وَمِنْ  
اَلْاَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبٰنًا  
عِنْدَ اللّٰهِ وَصَلٰوٰتِ الرّٰسُوْلِ اَلَا اِنَّهَا قُرْبٰنٌ لَّهُمْ سَيَدْخُلُوهُمْ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهٖ اِنَّ  
اللّٰهَ غَفُوْرٌ رّٰحِيْمٌ ۝۹۹ ﴾ التوبة: ٩٩.



وقد جعل سبحانه من أسباب الشقاء في الآخرة لمن حرم الإيمان بالله، أنه لم يكن يحضُّ على طعام المسكين:  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣٣) وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ  
 ﴿ ٣٤ ﴾ الحاقة: ٣٣ - ٣٤.

ومن أجمع هذه النصوص هذه الآية الكريمة: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١٧٧) البقرة: ١٧٧.  
 و«البر: اسم جامع لأنواع الخير والطاعات المقربة إلى الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام العثيمين رحمه الله: «ويستفاد من هذه الآية الكريمة: أن البر حقيقة هو الإيمان بالله»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان حقيقة البر هو الإيمان بالله، فإن جميع أفعال الخير الواردة في هذه الآية، أثر من آثار الإيمان بالله تبارك وتعالى، التي من أهمها الإيثار بالمال، وإنفاقه في أوجه البر التي يحبها الله تعالى، فإن التبرع بالمال مع ما جبلت عليه النفس من حبه، دليل على الإيمان بالله والتصديق بوعدته بالثواب والخلف، حيث إن العبودية لله سبحانه تحرر النفس

(١) تفسير الألوسي (٢/١٠٤).

(٢) تفسير العثيمين (٤/٢٢٣).





من رِقِّ عبودية المال، لاسيما إن كان إنفاقه في وجوه الخير المتنوعة، التي لو تأملناها لو وجدنا أنها تعود على أفراد المجتمع بأثار طيبة. ففي صلة الرحم بالمال، تقوية لوشائج القرابة الأسرية، والأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وبترايط أفراد كل أسرة يتقارب أفراد المجتمع.

وفي إنفاق المال لليتامى الذين فقدوا عائلهم، رحمةٌ بهم، وتعويضٌ لهم عن الرعاية التي فقدوها، وحماية لهم من الفساد في المجتمع الذي قد يلجئهم إليه الشعور بالحرمان.

وأما سدّ عوز الفقراء والمساكين والسائلين وابن السبيل المسافرين المنقطع، ففيه التكافل الاجتماعي الذي يصون كرامة المحتاج عن المسألة، ويخفف عن المسافر ألم الغربة، ويشعره بمعنى الأخوة في غير بلده.

وفي الرقاب إعتاق للعبد من رق البشر الذي يذله لغير الله. وأما إقامة الصلاة فهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر الذي يُخرب المجتمع، ويتسبب في هدمه إذا فقد قيمه، وفي إيتاء الزكاة انفاق الحق الواجب في مال الأغنياء، ولا يغني عنه التطوع في أوجه الإنفاق السالفة الذكر.

وأما (الموفون بعهدهم) «إذا عاهدوا فيما بينهم وبين الناس إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا أوفوا، وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدّوا»<sup>(١)</sup>. وقد خصهم الله بالذكر، لأن الوفاء بالعهد آية على الإيمان

(١) تفسير الثعلبي الكشف والبيان (١/١٧٤).



بالله، كما أن نقض العهد من علامات النفاق، و الوفاء بالعهد ينمي الثقة في العلاقات الاجتماعية المختلفة، ويجعل الفرد يطمئن لمن عاهده مادام أنه مؤمن.

وأما الصبر في البأساء والضراء وحين البأس، فسببه الإيمان بالله الذي يزرع الرجاء لثوابه والرضا بقضائه، فهو الذي يجعل المؤمن ثابتاً متماسكاً أمام الشدائد والفتن، وذلك يعود عليه بالثبات، والاستغناء بالله على المجتمع بأكمله.

وهؤلاء الذين اتفقت فيهم هذه الصفات الكريمة التي لها الأثر البالغ بين أفراد المجتمع، هم الذين صدقوا بالإيمان بربهم، وهم الذين حققوا التقوى.

وقد جمعت هذه الآية الكريمة بين حق الله تعالى بالإيمان والعبادة، وبين أفعال الخير المتنوعة لجميع أفراد المجتمع، فهي تقرر أن الإيمان بالله الصادق هو الذي يعود على أفراد المجتمع بهذا الخير العظيم.

ومن نصوص السنة الدالة على أثر الإيمان بالله على أفراد المجتمع، ما جاء في الصحيحين من حديث أبي شريح العدوي، قال: سَمِعْتُ أذْنَايَ، وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: ( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ... ) الحديث (١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، (٣١/٧٨)، برقم (٦٠١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، (١٩/١) برقم (١٧٣).





وقد سبق بيان أثر أعمال الخير الواردة في هذا النص في المبحث الثاني من الفصل السابق .

ثانياً: الثبات

إن من رسخ في قلبه الإيمان بربه، فإن الله تعالى يمدّه بعنايته، ويحيطه برعايته، فلا يتركه يواجه فتن الشبهات والشهوات حتى يمدّه بالثبات، فيثبت الله قلب المؤمن بما معه من الإيمان والعمل الصالح، وهذا من عناية الله بأوليائه المؤمنين، أهل الطاعة والانقياد الدائم لربهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) إبراهيم: ٢٧.

«وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فأهل الإيمان أهدى الناس قلوباً، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وأما القول الثابت فهو «كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم:

«يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت، فأصل هؤلاء بعدله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضلهم لإيمانهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير السعدي (١/٨٦٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٦/٥٨٩)، وتفسير السمعاني (٣/١١٥)، وانظر زاد المسير

لابن الجوزي (٤/٣٦١).

(٣) التفسير القيم لابن القيم (٢/٤).



إن أفراد المجتمع أحوج ما يكونون إلى الثبات على الحق في زمن الفتن، واختلاط الحق بالباطل، فهم اليوم يمتحنون بأعداء تنوعت مصادرهم، ويواجهون عداوة أنفسهم، مع عداوة الشيطان، ناهيك عن عداوة المعادين في الدين، ولا يمكن لهم أن يتغلبوا عليهم إلا بتثبيت الله لهم، وقد جعل الله تعالى لذلك الثبات سبباً نصَّ عليه في الآية السابقة، وذكر سبحانه أنه يثبت الذين آمنوا بربهم، في دنياهم وآخرتهم «الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها»<sup>(١)</sup>.

وهذا الثبات يكون في كل حال، «فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: «الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبي»<sup>(٢)</sup>.

ومن عناية الله لعباده المؤمنين تثبيتهم عند ورود المصائب في الحياة الدنيا، لأنها لا تخلو من عوارض مكدره، فإذا كان العبد قوي الإيمان بربه في حال الرخاء، فإن الله تعالى يثبته وينزل عليه الصبر عند الشدة، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١ ﴾ التغابن: ١١.

(١) تفسير السعدي (١/٤٢٥، ٤٢٦)، وانظر: روح المعاني للألوسي (١٣/٢٣٢).

(٢) تفسير السعدي (١/٤٢٥، ٤٢٦).





«فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر»<sup>(١)</sup>.  
وكذلك يثبت الله المؤمنين «في مواقف القيامة فلا يتلعثمون ولا يضطربون إذا سئلوا عن معتقدهم ولا تدهشهم الأهوال»<sup>(٢)</sup>.  
ومع أن الإيمان سبب للثبات الذي لا يستغني عنه المؤمن، إلا أن الله تعالى هو المثبت له برحمته، ولولا فضل الله على عبده ورحمته به لخلعه من إيمانه، وزاغ قلبه - عياداً بالله-، وزلت قدمه عن الثبات، ولذا فإن النبي ﷺ لا غنى له عن تثبيت ربه وهو أشرف الخلق، وأقواهم إيماناً.

قال ابن القيم رحمه الله:

«إن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدِ كُنْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) الإسراء: ٧٤»<sup>(٣)</sup>.

وكلما قوي إيمان أفراد المجتمع بربهم، زاد تثبيت الله لهم أمام الشهوات المهلكة والشبهات المحرقة، وما أشد حاجة أفراد المجتمع إلى الثبات في زمن الانفتاح العالمي على الشهوات التي يتفنن أصحابها

(١) المصدر السابق (٨٦٧).

(٢) تفسير المراغي (١٣/١٥٠)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣/١٥٣).

(٣) التفسير القيم لابن القيم (٢/٤).





في جذب الناس لها، والشبهات التي تعمي وتصم ضعيف الإيمان، وتصده عن الحق، كما أن في تثبيت الله لهم عند المصائب سرعة في عودتهم إلى ممارسة حياتهم الطبيعية، وعدم تعطيل لمصالحهم ومصالح المجتمع العامة.

إن ثبات المجتمع منوط بثبات أفراده على دينهم، فإنهم إن ثبتوا فقد أخذوا بمجتمعهم إلى طريق النجاة من المهلكات، وإذا سلم المجتمع فقد سلم أفراده من الانحراف والضلال، لأن الانحراف عن طريق الهدى، والانغماس في وحل الشهوات والشبهات سبب للضعف العام للمجتمع، وقد يكون أفراده لقمة سائغة للأعداء على اختلاف مصادرهم وتنوعها، وقبل كل ذلك وأعظم منه حلول العقوبات الكونية من جرّاء بُعد أفراد ذلك المجتمع عن ربهم، وميلهم عن سبيل الحق، ولو أنهم سعوا لتقوية إيمانهم، وأحسنوا علاقتهم بخالقهم، لبثتهم أمام طوفان الفتن، ولسعدوا جميعاً، وبقي المجتمع قوياً باعتصامه بربه، يهابه أعداؤه، كما كانت قوة المجتمعات الإسلامية في القرون المفضلة بسبب ثباتها على الحق، الذي كان أثراً من آثار قوة الإيمان بالله تعالى.

ثالثاً: عناية أفراد المجتمع بحق المرأة والحذر من ظلمها:

إن الله تعالى جعل القوامة والولاية للرجل على المرأة بما فضله الله عليها بكمال العقل والحكمة وإنفاق المال غالباً، مما يخولها للعناية بها وحماية حقوقها، حيث إنها جبلت على الضعف والعاطفة التي تجعلها تحتاج للرجل العاقل الحكيم الرحيم، ولكن مع ذلك





فقد حذر سبحانه الرجال من ظلم النساء، وذكرهم بما يدينون الله تعالى به من الإيمان بالله واليوم الآخر الذي يقتضي عدم الجور في حقوقهن.

ومن ذلك حق الزوجة على زوجها، فقد جعل الله تعالى الكفارة المغلظة لمن ظاهر من زوجته وحرمها حقها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿المجادلة: ٣ - ٤﴾ فقول الله تعالى: (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) بعد ذكر كفارة الظهار، معناه: «أي ذلك الذي وصفنا من التغليب في الكفارة (لتؤمنوا) لتصدقوا أن الله أمر به، وقد استدل بعض العلماء على أن هذه الكفارة إيمان بالله سبحانه وتعالى»<sup>(١)</sup>، وإيجاب الله تعالى لهذه الكفارة على الزوج المظاهر من زوجته، وربطها بالإيمان به سبحانه دليل على أن التصديق بها من آثار الإيمان بالله تعالى الذي يستلزم عدم هضم أو جح حقوق الزوجة على زوجها، كما أن تذكير الأزواج بالإيمان بربهم، «ليكونوا مطيعين لله تعالى، ولا يعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور»<sup>(٢)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (٢٨٧/١٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (٢٨٧/١٧)، والظهار هو: قول الرجل

لامرأته: أنت علي كظهر أمي فيحرم ما أحل الله. انظر: تفسير ابن أبي زمنين.

(٢/٢٣٠).





إن الظهار حرمان للزوجة لأوجب حقوقها، و ظلم يتنافى مع الإيمان بالله واليوم الآخر، كما أنه سبب في ضياع المرأة وأطفالها، وهي أحد عمودي الأسرة التي هي نواة المجتمع وأساسه. ومن حفظ حقوق المرأة أن الله تعالى قد حمى المرأة من الظلم بالعضل، ووعظ الرجال وحذرهم من ذلك، وجعل من يمثل لتحذيره تعالى مؤمناً بالله واليوم الآخر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

البقرة: ٢٣٢.

و«أصل العضل المنع والتضييق»<sup>(١)</sup>، والمقصود التضييق على المطلقة الطلاق الرجعي، ومنعها في العودة إلى زوجها بعد انقضاء العدة، وقد ذكر الله تعالى « أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإيمانه يمنعه من العضل»<sup>(٢)</sup>، و«إنما خصهم لأن الوعظ إنما يؤثر في المؤمنين»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى ما ذكر في هذه الآية:

«هذا الذي نهيتكم عنه من عضلن عن النكاح، عظة مني من كان منكم أيها الناس يؤمن بالله واليوم الآخر يعني يصدق بالله، فيوحده،

(١) تفسير الخازن، (١/٢٣٣).

(٢) تفسير السعدي، (١٠٣).

(٣) تفسير السمعاني، (١/٢٣٦).



ويقر بربوبيته، ...، ومن يؤمن باليوم الآخر، فيصدق بالبعث للجزاء والثواب والعقاب، ليتقي الله في نفسه، فلا يظلمها بضرار وليته ومنعها من نكاح من رضيته لنفسها، ممن أذنت لها في نكاحه»<sup>(١)</sup>.

ومن العناية بالمرأة المطلقة أن جعل لها أحكاماً بالإمساك والفراق، ونُهي عن المضارة فيهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ الطلاق: ٢.

ثم ذكر سبحانه أن الامتثال بذلك أثر من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا صدق إيمانهم فسيتعظون.

كما أن من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر مراقبة الله تعالى في حقوق المطلقة من النفقة، والمتعة وغيرها من الأحكام، حيث إن الرجل إذا طلق زوجته فلن يدفعه لرعاية حقوقها الباقية إلا الإيمان بالله، لأن الطلاق لا يحدث غالباً إلا بعد نزاع بين الزوجين، أو عدم توافق قلبي، فلم يبق في قلب الزوج دافع للقيام بما أمر به تجاهها سوى الإيمان بربه.

إن المطلقة فرد من أفراد المجتمع فقدت شريكها في بناء أسرتها، وقد يكون لها أطفال فيعظم مصابها بفراقها لزوجها، ولذا أفرد الله تعالى لحقوقها سورة كاملة تتناول جميع أحوالها وجعل أداءها أثراً من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر، والتصديق بوعد

(١) تفسير الطبري، (٥/٢٧).



ووعيده سبحانه، لما لذلك من الأثر البالغ على المجتمع، فقد تكون المطلقة إما معول هدم له أو بناء فيه، وكل ذلك يعود لمدى العناية بها وبأطفالها، وكذلك عندما تعضل وتمنع من نكاح زوجها فقد يدفعها ذلك إن كانت عاقلة إلى شكوى وليها للقاضي فيتزعر حقها منه، فيقع في نفسه عليها شيء قد يتسبب بالقطيعة، وإما أن يضعف إيمانها فتزل قدمها في طريق الانحراف فتكون معول هدم للفضيلة في المجتمع.

رابعاً: وحدة المرجعية إلى شرع الله التي تحقق الأمن في المجتمع:

إن وحدة المرجعية بين أفراد المجتمع سبب لسرعة فضّ الخلاف والنزاع الحادث بين أفراد المجتمع، وإذا كان المرجع حكماً عادلاً فسيأخذ بالمجتمع أجمع إلى جادة الصواب، ولا أعدل وأصلح من حكم الله تعالى ورسوله ﷺ، فإن الله تعالى هو الذي خلق البشر وهو الأعلم بما يصلحهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

والرد إلى حكم الله ورسوله ﷺ من آيات الإيمان به سبحانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩).

«لأن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: {إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل





النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها.. فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم»<sup>(١)</sup>.

كما أن التحاكم إلى غير الله ورسوله ﷺ من آيات النفاق، وقد وصف الله تعالى هؤلاء الذين يأبون التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ بإدعاء الإيمان، ثم وصفهم بالنفاق قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

النساء: ٦٠ - ٦١.

إن التحاكم إلى الكتاب والسنة هو الذي يحصل به نشر العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، كما أنه يضمن للضعيف حقه بنزعه ممن ظلمه ويخلصه من الغبن والظلم، ويقطع أطماع المفسدين في البغي على العباد، فإذا علموا أن شرع الله تعالى سيقام فيهم أقصروا عن البغي والعتو، كما أن التحاكم إلى شرع الله تعالى يخفف الجرائم، ويحد منها فيعيش أفراد المجتمع آمنين مطمئنين مادام الحكم فيهم هو حكم الله ورسوله ﷺ.

(١) تفسير السعدي (١٨٣).



خامساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو سفينة نجاة المجتمع:

إذا استقر الإيمان بالله في القلوب، فإن من أظهر آثاره على المؤمنين الغيرة على دين الله، التي تظهر في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات الإيمان بالله تعالى ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وإن بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإيمان بالله تعالى تلازماً وثيقاً، ويدل على ذلك وصف الله المؤمنين والمؤمنات بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

ويدل على ذلك أيضاً أن الله جعل نقض هذه الشعيرة من صفات المنافقين فقال سبحانه:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧).

كما أن مما يدل على ذلك أن التهاون والتقصير في تغيير المنكرات دليل على ضعف الإيمان في القلب، كما جاء في حديث أبي سعيد





الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان )<sup>(١)</sup>.

فمن ذلك نعلم أنه بحسب قوة إيمان العبد بالله تعالى يكون حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث إن المؤمن لا يرضى أن تنتهك حرمة الله، وهو مكتوف اليدين لا يحرك ساكناً، لأنه محب لربه معظم لدينه، كما أن هذه الشعيرة سفينة النجاة في المجتمع، ولأن في إقامتها أخذاً على يد الظالم، ونصرةً للمظلوم، وحفظاً للدين والأعراض والأموال والأنفس والعقول من الضياع، فهي تؤمن أفراد المجتمع، وتدفع ضرر المعتدين، وتجعلهم يقصرون عن شرهم، وإذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جنوا على أنفسهم، وصاروا مستحقين للعقوبة العامة.

وهناك آثار أخرى للإيمان عموماً على أفراد المجتمع دلت عليها النصوص، ولعلي أوردتها لأن الإيمان بالله تعالى هو أصل أركان الإيمان الستة، فمن هذه الآثار:

#### ١. حفظ الأمانة:

إن الإيمان والأمانة مشتقان من مصدر واحد وهو ال (أمن)، بمعنى: الطمأنينة، فالإيمان مشتق من الفعل: (أمن)، والأمانة مشتقة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (١/٢٠) برقم (٤٩).





من الفعل (أَمِنَ)، فيقال: أَمِنَ أمانةً، بمعنى: اطمأن ولم يخف، والأمانة هي الوفاء بالوعدة<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما تقترن الأمانة بالإيمان، وقد بُوبَ في صحيح الإمام مسلم<sup>(٢)</sup>: (باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب)<sup>(٣)</sup>، وأبلغ من ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في الخطبة:

(لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)<sup>(٤)</sup>.

وهذا الحديث واضح الدلالة على العلاقة الوثيقة بين الإيمان والأمانة، حيث إن الأمانة ثمرة عظيمة من ثمرات الإيمان بالله، وهي مرتبطة به قوة وضعفاً، فكلما كان إيمان العبد قوياً، كان أوثق أمانةً، فالأمانة من علامات الإيمان وآثاره، وحسبنا أن نعرف قوة الإيمان عند الشخص حين ننظر لأمانته، وقد امتدح الله تعالى المؤمنين برعايتهم

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٣٨)، والأمانة ضدُّ الخيانة (لسان العرب (١٣/٢١)، والمعجم الوسيط (١/٢٨).

(٢) هو مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسن النيسابوري الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، طلب العلم منذ الصغر، ثم رحل إلى عدة أقطار، من أشهر مؤلفاته كتاب الصحيح المشهور بصحيح مسلم، وهو من أجل الكتب وأصحها بعد صحيح البخاري، توفي -رحمه الله- سنة (٢٦١هـ). انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٥٠/٢، سير أعلام النبلاء ١٢/٥٥٧-٥٨٠ والوفيات ٩١/٢.

(٣) صحيح مسلم، (١/١٢٦).

(٤) رواه أحمد (١٢٥٦٧)، وعبد بن حميد (١١٩٨)، وأبو يعلى (٢٤٥٨)، وابن حبان (١٩٤)، والبزار (٧١٩٦)، والطبراني في الكبير (١٠٤٠١)، والبيهقي في السنن (١٣٠٦٥)، والضياء للمقدسي، (٢٦٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن في الشواهد.





للأمانة وذكر أن ذلك من صفاتهم فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> وذكر من صفاتهم رعاية الأمانة، فقال جل وعلا:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾<sup>(٨)</sup> المؤمنون: ١ - ٨.  
ومما يدل على أن الأمانة من آثار الإيمان وعلاماته، أن الخيانة أو ضعف الأمانة من صفات المنافقين: كما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عنه النبي ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)<sup>(١)</sup>.

والأمانة تكون في العهود التي على العبد، كأنواع التكليف التي كلف بها، من الفرائض التي هي حق الله على العبيد، وحقوق العباد التي التزم العبد بها، وتكون في حفظ النعم التي يتقلب فيها المؤمن، كنعمة الجوارح وغيرها من النعم.

وكلما كان العبد مؤمناً كان راعياً لهذه الأمانات، لأنه بإيمانه يعلم أنه مسئول عنها، محاسب عليها، فيشعر بثقل الأمانة وعظم المسؤولية، فلا يفرط فيها ولا يتوان عن ذلك، ولذا أصبح الناس يزنون إيمان العبد بمدى أمانته، وإذا وثقوا بدينه وثقوا بأمانته، فتجدهم يؤثرون الأتقياء ممن تظهر عليهم سمة الصلاح من تاجر، أو طيب، وكل من يتعاملون معهم في أمور دنياهم، على غيرهم، لأنهم ياتمنونهم على منافعهم، حيث إن الأصل في أن المؤمن أمين على ما أستأمن عليه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (٢/٢٤) برقم (٣٣) و مسلم كتاب الإيمان، باب خصال المنافق (١/٢٥) برقم (١٠٧).



وأما نفي الإيمان في قوله ﷺ (لا إيمان لمن لا أمانة له) فلا يعني نفي أصله وإنما «أراد نفي الكمال لا الحقيقة»<sup>(١)</sup>.

وأما العهد في قوله ﷺ (ولا دين لمن لا عهد له) فهو: «العهد الذي وضعه الله بينه وبين عباده يوم إقرارهم بالربوبية، في حمل أعباء الوفاء في جميع جوارحه، فمن استكمل الدين استوفى الجزاء»<sup>(٢)</sup>.

ولعل السبب في هذا الارتباط الوثيق بين الإيمان والأمانة أن «الأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمن الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه، فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍ للأمانة التي ائتمن الله عليها وهو منافق»<sup>(٣)</sup>.

وقد أمر الله تعالى ورسوله ﷺ المؤمنين بأداء الأمانة لأنها من لوازم الإيمان وآثاره، ولذلك فإن من وجد في نفسه تقصيراً في حفظ الأمانة ورعايتها، فليتهم إيمانه ويراجعه وليتفقده، ثم ليحرص على تجديده من الخلق، حتى يجد في نفسه اهتماماً وسعيًا لحفظ الأمانات.

وليعلم أن حذره من خيانة الأمانة هو حذر من النفاق العملي، الذي قد يتحول إلى النفاق الاعتقادي - عيادا بالله - لو اجتمعت مع خيانة الأمانة صفات النفاق الأخرى، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: (أَرَبُّعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٩٤٢).

(٢) فيض القدير (٦/٤٩٤).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٥/٢٢٥).



فيه خصلةٌ منهنَّ، كانت فيه خصلةٌ من النِّفاق حتَّى يدَعَهَا، إذا أوْتَمَنَ خان، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ<sup>(١)</sup>.

كما أن المولى جل وعلا لما ذكر عرض الأمانة وحمل الإنسان لها في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) الأحزاب: ٧٢ - ٧٣.

قال سبحانه بعدها: ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٧٣) الأحزاب: ٧٢ - ٧٣. مما يدل على أن خيانة الأمانة من النفاق، كما أن حفظها من الإيمان.

إن الأمانة قيمة عالية من قيم الإيمان، التي إذا رعاها أفراد المجتمع فقد نالوا كل خير، وقام المجتمع على أساس قوي، وكانت مخرجاته ثمرة ناجحة، بمعنى أنه: إن كان الوالدان يراقبان الله تعالى في القيام بأمانة الأولاد والأسرة، والمعلم يؤدي عمله في التعليم بإتقان وإخلاص، وكل عامل من أفراد المجتمع يحذر الغش والخيانة، ويذكره إيمانه أن الله سائله عن الأمانة التي بين يديه، فسينعم جميع أفراد المجتمع برضا الله تعالى عنهم، ثم بتربط العلاقات الاجتماعية، والتقدم الحضاري المثمر، والقوة في الجانب الاقتصادي، والمالي، والإداري.

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، (٢/٢٤) برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، (١/٢٥) برقم (١٠٦).



كما أن الخيانة، وتضييع الأمانة له أثره البالغ في المجتمع، فهو يؤدي إلى الفساد الأخلاقي بين أفرادها، وتفكك العلاقات الاجتماعية، وانتشار التخلف والفوضى في كل جوانب الحياة في المجتمع، والله أعلم.

## ٢. الحياء:

الحياء خلق المؤمن الذي يميزه عن غيره، وهو أثر ظاهر من آثار الإيمان بالله تعالى، وكلما زاد إيمان العبد زاد حياؤه، وكلما زاد حياؤه زاد إيمانه، كما أن قلة الحياء تدل على ضعف الإيمان.

وقد دلت النصوص أن الحياء من الإيمان، وأن بين الإيمان والحياء ترابطاً وتلازماً، فعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دَعَهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ)<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، (١٦/٢) برقم (٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٣) وقال الشيخ الألباني: صحيح (٤٤٥/١)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٩٧/٤)، والحاكم (٧٣/١)، رقم (٥٨) وقال: صحيح على شرطهما . والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٠/٦)، رقم (٧٧٢٧) . وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة (١٦٥/٦)، رقم (٣٠٣٧٢) موقوفاً . قال المناوي (٤٢٦/٣): قال الحافظ العراقي: صحيح غريب إلا أنه قد اختلف على جرير بن حازم في رفعه ووقفه، وقال الألباني: موقوف على ابن عمر وسنده صحيح .





أي: «مجموعهما في جبل أو قرن، والقرن ضفيرة الشعر، والجمع قرون يعني هما كشيء واحد، ومحصول الخبر أن عدم الحياء يدل على عدم الإيمان، وقلته تدل على ضعفه، وكثرته على قوته»<sup>(١)</sup>.

ولكن ليس كل ما سمي حياء من آثار الإيمان، وإنما الحياء الممدوح هو المضبوط بالشرع، فليس كل ما عرف عند الناس بالحياء كان محمودا، أو مقصودا بأنه أثر للإيمان.

فالحياء المحمود هو: «خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»<sup>(٢)</sup> وبهذا الحد يتبين أن الحياء الذي يبعث على ترك الحسن، والتفريط في أداء الحقوق ليس بحياء وإن سماه الناس حياءً، بل هو عجز أو ضعف كما سماه أهل العلم، وليس من الإيمان في شيء.

وقد عد النبي ﷺ الحياء من خصال الإيمان، ونص عليه لأهميته ومكانته من الإيمان، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)<sup>(٣)</sup>.

(١) فيض القدير للمناوي (٤١٣/٢).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود العظيم آبادي (٢٨٣/١٢)، وانظر: شرح النووي على مسلم، (١١٢/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٢/٢)، برقم (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان (١٣/١)، برقم (٥٧).



«وَيُرَادُ بِالشُّعْبَةِ فِي الْحَدِيثِ: الخَصْلَةُ، وَيَعْنِي: أَنَّ الْإِيمَانَ ذُو خِصَالٍ مَعْدُودَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الحياء يزيد وينقص بزيادة الإيمان أو نقصانه، حيث إنه من شعب الإيمان، وكلما زاد إيمان أفراد المجتمع زاد حيائهم، فإن الحياء الحقيقي باعث لكل فعلٍ حسن، صاد عن كل فعلٍ قبيح.

ومن هذا يتبين أنه وإن كان المرء من طبعه الحياء وهو غريزة فيه، فإنه لا بد له من معرفة للأمور التي يكون فيها الحياء من الإيمان، ويحمد فيها ويؤجر، حتى لا يكون حياؤه حاجزاً عن الخير، موجباً للملامة على التقصير في أداء حق الله وحق خلقه.

إن بواعث هذا الإيمان المستلزم أداء الطاعات، وترك المنهيات، هو الحياء من الله جل شأنه، ولعل ذلك هو السبب في أفراد الحياء بالذكر عن كثير من خصال الإيمان في حديث شعب الإيمان، حيث إن الحياء داع إلى باقي شعب الإيمان<sup>(٢)</sup>.

إن الحياء يكون مؤثراً في أفراد المجتمع من جهة أنه يدعوهم إلى الحياء من الله تعالى، وهو الحياء حقاً، ومصداق ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما

(١) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم للقرطبي، (١/١٣٣).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود - العظيم آبادي (١٢/٢٨٣).



حوى، و ليذكر الموت و البلى، و من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء<sup>(١)</sup>.

وما ذكره النبي ﷺ هو من ثمرات الحياء من الله سبحانه، وهو من أقوى ما يدفع أفراد المجتمع لطاعته سبحانه، ونيل مرضاته، وحفظ حرمانه، وعدم التعدي على حرمان خلقه، حيث إن المؤمن يستحي من ربه أن يعصيه، وإذا خانت نفسه لحظة، فانتهك شيئاً من حدود الله، أو حرمان خلقه، فسرعان ما يدفعه حياؤه من ربه، إلى التوبة والأوبة.

أما إذا ضعف الحياء في أفراد المجتمع، فلا عجب أن يتجرؤوا على معصية ربهم، والتقصير في حقه و حقوق خلقه.

وقد يصل القبح بمن نُزِع منه الحياء منهم، بالمجاهرة في المعصية في المجتمع، ثم يكون قدوة لغيره، وسبباً لتهوينها في نفوسهم، وقد تكون المعصية ظاهرةً في المجتمع، فيهلك أهله بسخط الله عليهم.

وإذا كان قدوة المجتمع المسلم نبينهم ﷺ، الذي كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وتذكروا أن اتصافهم بالحياء، هو من آثار الإيمان بصفة الحياء التي هي من صفات الله جل شأنه، فإن الله

(١) أخرجه أحمد (٣٦٧١)، والترمذي (٢٤٥٨) وقال: غريب . والطبراني (١٠٢٩٠)، والحاكم (٧٩١٥) وقال: صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٧٧٣٠). وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة (٣٤٣٢٠)، والبخاري (٢٠٢٥)، وأبو يعلى (٥٠٤٧)، والطبراني في الصغير (٤٩٤) وقال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: (٩٣٥) في صحيح الجامع .





تعالى: (حيي ستير، يحب الحياء والستر)<sup>(١)</sup>، فقد سلم المجتمع وسلم أفراده من مغبة ضعف الحياء أو نزعه، فإن الحياء يرتقي بالمجتمع إلى المكرمات، ويكون سبباً لنشر الفضيلة، ومجانبة الرذيلة، التي تقوض ببيان المجتمع، أو تضعف قواعده فيكون آيلاً للانهيار في أي وقت.

### ٣. الحذر و الفطنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:  
(لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)<sup>(٢)</sup>.

فقوله: (لا يلدغ) «روي برفع الغين نفي»، معناه: المؤمن المتيقظ الحازم لا يؤتى من قبل الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى، وبكسرهما نهي، أي ليكن فطنا كيّسا لئلا يقع في مكروه بعد وقوعه فيه مرة قبلها، وذا من جوامع كلمه ﷺ التي لم يسبق إليها، أراد به تنبيه المؤمن على عدم عوده لمحل حصول مضرة سبقت له فيه، وكما أن هذا مطلوب في أمر الدنيا فكذا في أمور الآخرة، فالمؤمن إذا أذنب ينبغي أن يتألم قلبه كاللديغ ويضطرب»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧٩٩٩)، وأبو داود رقم (٤٠١٢)، والنسائي رقم (٤٠٦). وأخرجه أيضاً: البيهقي رقم (٩٠٨). قال الألباني: صحيح. سنن أبي داود بتحقيق الألباني (٧٠/٤).

(٢) أخرجه البخاري في: كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (٨٣/٧٨)، برقم (٦١٣٣)، ومسلم في كتاب الزهد، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (١٣/٥٣)، برقم (٧٤٩٨).

(٣) فيض القدير للمناوي، (٥٨٨/٦).





وقد خص النبي ﷺ المؤمن بالحذر والفتنة، يقصد به المؤمن الذي كمل إيمانه، ولذا فقد قيل أن: «المراد بالمؤمن في هذا الحديث الكامل الذي قد أوقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذر مما سيقع، وأما المؤمن المغفل فقد يلدغ مرارا»<sup>(١)</sup>.

فالإيمان بالله تعالى يقذف في القلب البصيرة والفتنة، فإن المؤمن الذي كمل إيمانه ليس بالمغفل وإن كان يتغافل، فهو وإن لدغ مرة فقد انزجر وارتدع، ولعل كمال إيمانه سببه أنه لما عرف طريق المعاصي، وعاقبتها الوخيمة في دنياه وآخرتة، انزجر عنها، وفارقها، وإن ضعف إيمانه مرة ووقع في ذنب، فإنه سرعان ما يتوب ويؤوب بعد أن يذوق مرارة المعصية، وهو كذلك ديدنه في التعامل مع اللدغ في أمور الدنيا، فإنه إن عرف مصدر الضرر والأذى حذره ولم يغفل عنه.

وقد قيل في معنى الحديث: «أن المؤمن الممدوح، هو الكيس الحازم، الذي لا يؤتى من ناحية الغفلة مرة بعد أخرى، وهو لا يشعر»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عاشور «إن الإيمان يزيد الفتنة، لأن أصول اعتقاده مبنية على نبذ كل ما من شأنه تضليل الرأي، وطمس البصيرة»<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري ابن حجر (١٠ / ٥٣٠).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٣ / ٨٨).

(٣) لتحرير والتنوير، ابن عاشور (١ / ٢٧٥).



وأما حديث أبي هريرة، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: (المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم)<sup>(١)</sup>. فإن الغرَّ: الذي لم يجرب الأمور، وإنما جعل المؤمن غرا نسبة له إلى سلامة الصدر، وحسن الباطن، والظن في الناس، فكأنه لم يجرب بواطن الأمور، ولم يطلع على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة، لا يتعدى إليهم منه شر، بل لا يكون فيه شر فيتعدى.

والخبُّ: الخداع، المكار، الخبيث، ولذلك قابل به «الغرَّ» لأن الناس يتأذون به، لما يصلهم من شره<sup>(٢)</sup>.

ومعناه: أن المؤمن موصوف بالوصفين، أعني الاغترار بكرمه، والمسامحة في حظوظ الدنيا لا لجهله، وأما الفاجر فهو بخيلٌ، لجوجٌ، سيءُ الخلق، وفي كل منهما، الوصف الثاني سبب للأول وهو نتيجة الثاني، فالمؤمن ليس بذي مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه، وليس ذلك منه جهلا ولكنه كرم، وحسن خلق<sup>(٣)</sup>.

ولا تعارض بين هذا الحديث والحديث السابق، فإن مراد هذا

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤) وقال: غريب . والحاكم (١٢٨)، والبيهقي (٢٠٥٩٨). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (٤١٨)، وأبو يعلى (٦٠٠٧)، والقضاعي (١٣٣)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٨٤)، قال حسين سليم أسد محقق مسند أبي يعلى: إسناده حسن (٤٠٣/١٠)، وقال الشيخ الألباني: حسن، انظر: سنن الترمذي بتحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين (٣٤٤/٤).

(٢) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (٧٠١/١١).

(٣) . انظر تحفة الأحوذى: (٨٤/٦) ..





الحديث: أن المؤمن ليس بداهٍ يخرج الطرق والسبل قبل وقوع الأمر عليه، ومراد الثاني: أنه يتعظ بما يقع عليه ولا يعود إلى ما صدر عنه<sup>(١)</sup>.

فالمؤمنون مع كرمهم وسلامة صدورهم، قد حلاهم إيمانهم، وترك فيهم أثر الفطنة والكياسة، كي لا يلدغوا من الجحر نفسه مرات عدّة، وإذا كان المؤمنون حذرين فطنين، وكانوا كرماء متسامحين، فإن لذلك آثاراً إيجابية على أفراد المجتمع، منها أن الحذر والفطنة تقي أفراد المجتمع من الشرور التي تصيبهم من جراء غفلتهم من مصادر الأخطار التي تحيط بهم من كل جانب، كما أن يقظة أفراد المجتمع المؤمنين تضعف طمع الفساق والفجار في إيقاعهم في الكمائن التي ينصبونها لهم، وتردُّ كيدهم في نحورهم، ولا ينالون خيراً.



(١) انظر: العرف الشذي شرح سنن الترمذي، للكشميري، ت: محمود أحمد شاكر (٣/٣٠٠).



## المبحث الثاني

أثار الإيمان بالملائكة على أفراد المجتمع



الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، الذي لا بد من الإقرار به كي يصح إيمان العبد،

قال عز من قائل: ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥ .

وقد «جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣﴾ النساء: ١٣٦»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ عن الإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر)<sup>(٢)</sup>

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في باب قوله: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ }، برقم (٤٧٧٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه (١/١) برقم (١).





وجميع هذه النصوص وغيرها تدل على أن الإيمان بالملائكة، أصل من أصول الإيمان التي افترضها الله تعالى على عباده. ولأن الإيمان بالملائكة بهذه المكانة، فلا بد أن يكون له أثر على أفراد المجتمع، وهذا ما سيتضح - إن شاء الله تعالى - من خلال استنباطها من نصوص الكتاب والسنة، وقبل ذلك سأعرف بالملائكة، وأبين المراد بالإيمان بهم .

تعريف الملائكة:

الملائكة جمع، و واحدها (مَلَكٌ)، وأصله: مَأْلَكٌ، من الألوكة، وهي الرسالة، و هو تَخْفِيفُ الْمَلَأَكِ<sup>(١)</sup>، والمراد بـ«المَلَكِ»: جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

«لفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا تنزل إلا بأمره، ولا تفعل شيئاً إلا من بعد إذنه، فهم عباد له مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا من له

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (١٢٣٢)، المعجم الوسيط (١/٢٤)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (٣٥٤/٢٧).

(٢) التعريفات - الجرجاني، ص (٢٨٧).





مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلامهم الذين عنده سبحانه، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون»<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: «الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات»<sup>(٢)</sup>.

المراد بالإيمان بالملائكة: الإقرار الجازم بوجودهم، وإنزالهم منازلهم، وأنهم عباد مكرمون، مربوبون، والإيمان بأصنافهم، وأوصافهم، وأعمالهم حسبما ورد في الكتاب والسنة، والإيمان بفضلهم ومكانتهم عند الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

والإيمان بالملائكة يتضمن أموراً لا بد منها:

١- الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله، وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك .

٢- الإيمان بهم إجمالاً وبأنهم خلق كثير، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، كما دلت على ذلك النصوص، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الَّذِينَ آمَنُوا إيماناً﴾ إلى أن قال سبحانه:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ (٣١) المدثر: ٣١.

(١) إغاثة اللهفان - لابن قيم الجوزية، (٢/١٢٧).

(٢) فتح الباري (٦/٣٠٦).

(٣) انظر أقوال أهل العلم في ذلك في: شعب الإيمان، للبيهقي (١/١٦٣)، أعلام السنة المنشورة، لحافظ الحكمي (٩٤)، مختصر الأجوبة الأصولية للسلمان (٩)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان (١٥٦).





٣- الإيمان المفصل بمن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعetid، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكرام الكاتيين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

٤- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم، وكرمهم عليه، وشرفهم عنده، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٧ .

٥- اعتقاد تفاضلهم، وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله، على ما دلت على ذلك النصوص قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ الحج: ٧٥، وقال عز وجل: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ النساء: ١٧٢، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتح به صلاة الليل فيقول: ( اللهم





رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض  
عالم الغيب والشهادة ..<sup>(١)</sup>.

٦- الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله، وجند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له، فلا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، قال عز من قائل: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠) آل عمران: ٨٠ .

٧- موالاتهم والحذر من عداوتهم، لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم، فوجبت موالاتهم الملائكة لموالاتهم للمؤمنين، ونصرهم، وتأيدهم، واستغفارهم لهم، وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) البقرة: ٩٨، فمن عاداهم فقد عادى ربه<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٦ / ١٥٦، والنسائي في السنن: ٣ / ١٧٣، برقم (١٦٢٥)، ونحوهما مسلم في الصحيح، برقم (٧٧٠)، وابن ماجه، برقم (١٣٥٧).

(٢) انظر: أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (١١٦)، أعلام السنة المنشورة (٨٦)، و مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٣ / ١٦٠). أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء (١٤١، ١٣٣)، ط وزارة الشؤون الإسلامية، مختصر الأجوبة الأصولية للمسلمان (٩)، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، للشيخ عبدالرحمن الدوسري (٢٠)، نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف (١٨٥).



### علاقة الملائكة بالإنسان:

إن علاقة الملائكة بالإنسان وثيقة دائمة، فالملائكة معه منذ النفخ في روحه حتى يلقي ربه، بل حتى يصير إلى الجنة أو النار، يقول ابن القيم \_رحمه الله\_ في إغاثة اللهفان: « والملائكة الموكِّلون بتخليقه، ونقله من طور إلى طور، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله وأجله وشقاوته، وسعادته وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكِّلون بعذابه ونعيمه في البرزخ، وبعد البعث، وهم الموكِّلون بعمل آلات النعيم والعذاب. وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره، وما يحبه ليقوى قلبه، ويزداد شكرا . وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه.

فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته، ويوم بعثه .

وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته»<sup>(١)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم، (٢/ ١٢٥)، وانظر: عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر، ص (٤١) وما بعدها.



وإذا كان الله تعالى قد سخر الملائكة الكرام للإنسان، و وكلهم بكل هذه الأعمال التي لها صلة مباشرة بحياة الإنسان، فلا بد أن يكون للإيمان بذلك، آثار عظيمة على أفراد المجتمع الذي هو مجموعة من الناس. آثار الإيمان بالملائكة على أفراد المجتمع:

إن المؤمن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة الواردة في ذكر صفات الملائكة أو أعمالهم الموكلين بها، يرى أن لذلك آثاراً إيجابية على أفراد المجتمع، ومن هذه الآثار:

#### ١. تعظيم أفراد المجتمع لربهم جل وعلا:

وذلك حين يتأمل المرء عظمة خَلْقِ الملائكة الذين هم خلق من خلق الله، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ)<sup>(١)</sup>. وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وله ستمائة جناح)<sup>(٢)</sup>.

فإذا عرف المؤمن عظمة خلق الملائكة التي لا يكاد يتصورها

(١) أخرجه أبو داود (٤/٢٣٢، رقم ٤٧٢٧)، وابن عساكر (٤٣/٦٠). وأخرجه أيضاً: ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/٤١٥)، قال ابن كثير: هذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات. وأبو الشيخ (٣/٩٤٨، رقم ٤٧٦). قال الحافظ في الفتح (٨/٦٦٥): إسناده على شرط الصحيح، وصححه الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود (٤/٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في: (٧/٥٩) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معنى باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى)، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، (١/٧٦)، برقم (٤٣٢).





ذهن الإنسان، فإن هذا يزيد في تعظيمه لربه سبحانه وتعالى، فإذا كان هذا وصف خلقٍ من خلق الله، وهم الملائكة، فكيف بخالقهم سبحانه وتعالى؟!!

ثم إنه إذا زاد تعظيم العبد لربه تبارك وتعالى، قوي إيمانه وعظم حرّمات الله وشعائره، وأمره ونهيه، ولا ريب أن مجتمعاً يعظم أفراد ربه، ويعظمون أمر الله تعالى ونهيه، فسيكون أفراد هذا المجتمع صالحين، يظهر عليهم تعظيم حق ربه، وبالتالي يراعون حقوق بعضهم، ويسود فيما بينهم العدل لمراقبتهم الله في الحذر من التفريط في هذه الحقوق، وكلما كانوا أقوى إيماناً كانوا أرحمى لهذه الحقوق، وأكثر عناية بها، كما أن تعظيم الله تعالى إذا شاع بين أفراد المجتمع فسيعظمون شعائره، وترداد غيرتهم على دينهم، ثم يكون أفراد المجتمع متعاونين على البر والتقوى، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو أبرز سمات التعظيم لله تعالى، وكفى بالمجتمع خيراً وبركة، حينما يتناهى أهله عن المنكرات، ويتأمرون بالمعروف.

٢. زيادة الخوف من الله التي تجلب الأمن للمجتمع:

فالملائكة على عظمة خلقتهم، والقدرات التي منحهم الله تعالى، مشفقون من خشية ربه، ترتعد فرائضهم فرقاً وخوفاً منه سبحانه، وإذا رأى المؤمن حالهم هذه، فإنه يزداد خشية لربه، ويشاهد تقصيره وغفلته عن موجبات الخوف منه سبحانه.

فهذا جبريل ذو الستمائة جناح، بين يدي الله تعالى كأنه كساء رقيق،



فَرَقًا وَخَشِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى، كما قال النبي ﷺ: (مررت ليلة أسرى بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس<sup>(١)</sup> البالي من خشية الله تعالى)<sup>(٢)</sup>.  
وقال تعالى عن خوف الملائكة: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢٣) ﴿سبأ: ٢٣﴾.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا {فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا} لِلَّذِي قَالَ {الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} )<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤثر في حياة أفراد المجتمع، ويزيد في خوفهم، إيمانهم بأن الملك الموكل بالنفخ في الصور قد التقم القرن، ينتظر أن يؤذن له بالنفخ بالصور، فيدركون أن الحياة الدنيا قصيرة، ويحسنون الاستعداد لذلك اليوم، ولا يغترون بالدنيا.

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنأ جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر بالنفخ، فينفخ؟ فكأن ذلك ثقل على أصحاب

(١) الحلس: كساء رقيق، انظر: الصحاح للجوهري (٦١٩/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر (٥/٦٤، رقم ٤٦٧٩) وقال الهيثمي (١/٧٨): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضا: ابن أبي عاصم (١/٢٧٦، رقم ٦٢١) وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ .....)، (٦٥/٣٤)، برقم (٤٨٠٠).





النبي ﷺ فقال لهم: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا<sup>(١)</sup>.  
إن المؤمن حين يقرأ نصوص خوف الملائكة، وشدة خشيتهم  
لربهم، ليعلم أن ذلك كان منهم لعلمهم بالله تعالى، وقربهم منه سبحانه،  
فلما كانوا أعلم بالله كانوا منه أخوف .

ولذلك فإن هذه النصوص تقوي جانب الخوف من الله تعالى،  
ويعظم في القلوب استشعار مراقبة الله تعالى، ويخافه أفراد المجتمع  
بالسر كما يخافونه بالعلانية، وإذا ازداد خوفهم منه سبحانه، فقد  
فشا فيهم كل خير، وفارقهم كل شر، لأن الخوف منه سبحانه يدفع  
العباد إلى التقوى، ويجعلهم حذرين من عقوبة الأمن من مكر الله،  
حتى يأمنوا حين يلقوه سبحانه، ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر، كما أن  
الفرد إذا كان يعيش بين من يخافون ربهم، فإنه يأمنهم على نفسه، وما  
يملك، ويعيش أفراد المجتمع آمنين جميعاً من بعضهم على بعض، فإن  
مجتمعاً أفراده يخافون ربهم لمجتمع آمن.

٣. ذهاب الغرور والكبر من نفوس المؤمنين:

إن عبادة الملائكة المنقطعة النظير، تُشعر المؤمن بتقصيره في  
عبادة ربه، وتجعله لا يرى عمله شيئاً مهماً فعل، وبالتالي تذهب  
الغرور والعجب والكبر، ومن ذلك عبادة زوار البيت المعمور الذي

(١) أخرجه أحمد (٣/٧٣، رقم ١١٧١٤)،، وعبد بن حميد (ص ٢٧٩، رقم ٨٨٦)، وأبو  
يعلى (٢/٣٣٩، رقم ١٠٨٤)، والترمذي (٤/٦٢٠، رقم ٢٤٣١) وقال: حديث  
حسن وقال الشيخ الألباني: صحيح (٥/٣٧٢)، وابن حبان (٣/١٠٥، رقم ٨٢٣)،  
والحاكم (٤/٦٠٣، رقم ٨٦٧٨). وأخرجه أيضاً: الحميدي (٢/٣٣٢، رقم ٧٥٤)،  
وأبو نعيم (٥/١٠٥) وقال: غريب .



أقسم الله تعالى به في كتابه: ﴿ وَاللَّيْلِ الْمَعْمُورِ ﴾ (٤) الطور: ٤ .  
وقد ثبت في الصحيحين في أحاديث المعراج: أنه ﷺ رُفِعَ له البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة، بمنزلة الكعبة في الأرض، وهو بحيال الكعبة، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ (١) .  
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّتْ (٢) السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ مَا فِيهَا قَدْرُ مَوْضِعِ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكَ وَاضِعَ جَبْهَتَهُ لِلَّهِ سَاجِدًا، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ (٣) تَجَارُونَ (٤) إِلَى اللَّهِ) (٥) .  
فحين يتأمل المؤمن سعة السماوات، وهي مع ذلك مليئة بالملائكة العباد وتنط من كثرتهم، فإن ذلك كفيل به أن يستحي من تقصيره، ويتواضع

(١) أصل هذا الحديث الذي رواه البخاري واللفظ له، من حديث أنس بن مالك، في كتاب بدء الخلق (٦ / ٣٠٢) رقم، (٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان (١ / ١٤٩)، رقم (١٦٤) .

(٢) أطت: الأظيط صوت الأقتاب، وأظيط الإبل: أصواتها وحنيئها . أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل وإيدان بكثرة الملائكة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٢٩) .

(٣) الصُّعَدَاتِ: بضمين أي الطرق وهي جمع صُعد. انظر: تحفة الأحوزي (٦ / ٤٩٥) .

(٤) تجارون إلى الله: أي تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء. تحفة الأحوزي (٦ / ٤٩٥) .

(٥) أخرجه أحمد (٥ / ١٧٣، رقم ٢١٥٥٥) والترمذي (٤ / ٥٥٦ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب . وابن ماجه (٢ / ١٤٠٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم (٢ / ٥٥٤، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد .





لربه، ومن ثم يتواضع لخلقه، وي طرح عنه الشعور بتزكية نفسه.  
وإذا كان أفراد المجتمع متواضعين لبعضهم، فقد نعموا بالراحة  
من الكبر الذي يغير النفوس ويفسدها، بل ويفسد العمل، حيث إن  
التخلص من العجب والكبر محمودة، إذا فشت بين أفراد المجتمع  
فإن نفعها يتعدى إليهم جميعاً.

٤. طلب أسباب النجاة من حقوق الآخرين:

وذلك يكمن في مطالعة أعمال الملائكة الحفظة، والتأمل في  
لوازمها، فإن من رحمة الله تعالى تسخير ملائكة حفظة لبني آدم،  
قال تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾** الأنعام: ٦١، وحفظ  
الملائكة للعبد على نوعين:

الأول: حفظهم للعبد في ذاته.

فمنذ أن يخلق الله العبد في رحم أمه، فإن الله تعالى يوكل الملائكة  
بالنفخ في روحه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « حدثنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إِنَّ أَحَدَكُمْ  
يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطنِ أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم  
يكون مضغةً مثل ذلك ثم يبعثُ اللهُ ملكاً، فيؤمرُ بأربعِ كلمات،  
ويقالُ له: اكتبْ عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخُ فيه  
الروحُ... ) الحديث<sup>(١)</sup>.

ثم حفظهم للعبد في حله وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله  
عليهم، (٦/٥٩) برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي  
في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (١/٤٦) برقم (٢٦٤٣).





حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ  
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) لَهُ، مُعَقِّبَتٌ  
مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى  
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ  
وَالٍ ﴿١١﴾ الرعد: ١٠ - ١١

أي: «الله تعالى (معقبات) ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا  
صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار، وإذا صعدت ملائكة  
النهار أعقبتها ملائكة الليل... قال ابن عباس: ملائكة يحفظونه من  
أمر الله من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء القدر خلوا عنه» (١)، وقال  
تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) الطارق: ٤. أي: «كل نفس عليها  
من الله حافظ يحرسها من الآفات» (٢).

الثاني: حفظهم لعمل العبد من خير أو شر.

وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم قوله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ  
أَنَّا لَسَمْعُ سِرِّهِمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠) الزخرف: ٨٠،  
وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ  
إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ق: ١٧ - ١٨ .

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُرُونَ مَا  
تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ الانفطار: ١٠ - ١٢ .

إن إيمان أفراد المجتمع بأن معهم كراماً كاتبين، يعلمون ما

(١) تفسير الثعلبي، الكشف والبيان، (٥/٢٧٤).

(٢) تفسير ابن كثير، (٨/٣٧٥).





يفعلون، وأن الله تعالى يحصي عليهم مثاقيل الذر، والصغير والكبير، وأن كل قول أو عمل، من خير أو شر، محفوظ محصى، إن ذلك يجعلهم يتحفظون ويتحرزون من كل عمل شريلاقون مغبته الوخيمة، ويحرصون على كل عمل خير يقطفون ثمرته في الدنيا قبل الآخرة، كما أنهم آمنون على هذه الأعمال من الضياع لأن المولى جل وعلا ما كان ليضيع أعمالهم، بل قد وكل بها كراما كاتبين، وهذا الإيمان بدوره ينشر بين أفراد المجتمع المراقبة الذاتية لأنفسهم، فلا يتعدى أحدهم على حق أحد، ولا يظلم بعضهم بعضا، ولأن المؤمن الذي يعلم أنه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَبِّهِ عَيْنٌ ۝١٨﴾ يحذر أن يتلفظ بكلمة ينتهك فيها حقوق المخلوقين، ويكون أشد حذرا من الإقدام على أذية أحد من أفراد مجتمعة لإيمانه بأن معه: (كِرَامًا كَاتِبِينَ).

كما أن ذلك الإيمان يعين أفراد المجتمع على القيام بحقوق بعضهم، ويجنبهم التفريط فيها، ويسهل عليهم مراقبة أنفسهم في ذلك، ومن ثم النجاة من تبعات التقصير في هذه الحقوق، التي من أهمها عموم البلاء على جميع أفراد المجتمع.

ه. مبادرة الناس إلى التوبة:

إن رحمة الله بعباده بلغت إمهالهم، إذا هموا بالسيئة، بأن يأمر الملائكة الكرام الكاتبين ألا يكتبوها حتى يعملوها لعلهم يتراجعون عنها، ومن كرمه سبحانه أن يحولها إلى حسنة إذا تركها العبد لوجه ربه.

ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله



ﷺ: ( قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها، وقال رسول الله ﷺ: قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو تعالى أبصرُ به - فقال: ( ارقبوه فإن عملها فكتبوها له بمثلها وإن تركها فكتبوها له حسنة إنما تركها من جرّاي) <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضاً حديث الست ساعات، الذي يدفع المؤمنين للتوبة من الذنب والاستفادة من هذه المهلة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ( إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ <sup>(٢)</sup> لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كَتَبَتْ وَاحِدَةً) <sup>(٣)</sup>.

وكذلك عندما يعلم المؤمن أن الملائكة يستغفرون للذين تابوا، فإنه يسارع للتوبة ونيل هذا الشرف، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ غافر: ٧.

قال ابن عاشور: (والاستغفار لمن في الأرض: طلب المغفرة لهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (٥٨/١) برقم (١٢٩).

(٢) صاحب الشمال: وهو كاتب السيئات، انظر: فيض القدير للمناوي: (٥٧٩/٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٧٧٦٥) وأبو نعيم في الحلية (١٢٤/٦)، وحسنة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٠٩).





بحصول أسبابها، لأن الملائكة يعلمون مراتب المغفرة وأسبابها، وهم لكونهم من عالم الخير والهدى يحرصون على حصول الخير للمخلوقات وعلى اهتدائهم إلى الإيمان بالله والطاعات ويناجون نفوس الناس بدواعي الخير، وهي الخواطر المملكية<sup>(١)</sup>.

إن أفراد المجتمع عندما يكونون مبادرين للإجابة والتوبة، فإن ذلك يدفعهم للتخلص من حقوق بعضهم إذا زلوا وانتكوها، كي يستفيدوا من كرم الله تعالى بإمهاله لهم لعلهم يتوبوا، وهذا من أسباب إطلاع الله تعالى لنا هذا الغيب من أمره الملائكة بالإمساك عن كتابة السيئات مدة معلومة، ثم كرمه سبحانه بإبدال السيئة حسنة إذا تركها العبد لله، وذلك مما يدفع الذي هم بالسرقة من مال أخيه أن يتراجع عنها لله، وذلك الذي فعل معصية أخرى متعدية الضرر بسرعة التوبة منها، وإعادة الحق الذي سلبه، أو التحلل من صاحب الحق، قبل أن تمضي الست ساعات كي لا يكتبها الملك عليه، وكي ينال شرف استغفار ودعاء الملائكة البررة له، ثم بعد ذلك سينعم أفراد المجتمع بأن حقوقهم ستعود إليهم ولن تضيع مادام أفرادهم مؤمنين.

٦. حث أفراد المجتمع على أعمالٍ صالحةٍ تشهد بها الملائكة وتصلي

على أصحابها:

فقد أخبرنا الله تبارك وتعالى أن الملائكة تصلي على المؤمنين: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣) الأحزاب: ٤٣ «إن ذكر الله لنا في الملأ الأعلى، ودعاء الملائكة للمؤمنين واستغفارهم لهم، له تأثير

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٤/٢٥).



في هدايتنا وتخليصنا من ظلمات الكفر والشرك والذنوب والمعاصي إلى النور الذي يعني وضوح المنهج والسبيل، بالتعرف على طريق الحق الذي هو الإسلام، وتعريفنا بمراد الله منا، وإعطائنا النور الذي يدلنا على الحق: في الأفعال والأقوال والأشخاص»<sup>(١)</sup>.

وتصلي الملائكة على من يعمل أعمالاً خاصة، ومن هذه الأعمال ما هو سبب في نفع أفراد المجتمع عامة، ويعود عليهم بالأثر الإيجابي في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم، ومنها:

١. صلاة الملائكة على معلّم الناس الخير، وشهودهم مجالس العلم: فعن أبي أمامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الثَّمَلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)<sup>(٣)</sup>.

«والصلاة من الله بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار..، ولا رتبة فوق رتبة من تشغل الملائكة وجميع المخلوقات بالاستغفار والدعاء له إلى القيامة، ولهذا كان ثوابه لا ينقطع بموته، وأنه لِيَتَنَافَسُ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ بِدَعَاءِ

(١) انظر: عالم الملائكة الأبرار للشيخ عمر بن سليمان الأشقر (٤٤، ٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: برقم (٢٦٨٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والطبراني في الكبير برقم: (٧٩١٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢١٥٩).





الملا الأعلى؟!». (١).

والخير هنا: «علم الدين وما به نجاة الرجل، ولم يطلق المعلم، ليُعلم أن استحقاق الدعاء لأجل تعليم علم موصل إلى الخير» (٢).

وهذا الفضل لمعلم الناس الخير لكون نفعه متعدٍ إلى غيره من أفراد المجتمع، ولذا فإن المؤمن عندما يرى هذا الشرف والمكانة، التي من أعظمها اشتغال الملا الأعلى وجميع الخلق بالدعاء له، فإن هذا حافظاً له أن يبذل نفسه بإنفاق ما آتاه الله من العلم في إيصال الخير لأفراد مجتمعه، وما يتبع ذلك من انتشار الخير في المجتمع وانتشاله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

وكذلك شهودهم مجالس العلم وحلق الذكر وحفهم أهلها بأجنحتهم:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم ما يقول عبادي قالوا: يقولون، يُسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك قال: فيقول هل رأوني قال: فيقولون، لا والله ما رأوك قال: فيقول وكيف لو رأوني قال: يقولون، لو رأوك كانوا أشد لك عبادةً، وأشد لك تمجيذاً، وأكثر لك تسبيحاً قال:

(١) فيض القدير، للمناوي (٤/٥٦٩).

(٢) تحفة الأحوذى (٧/٣٨٠).



يقول فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ وَهَل رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ، لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا، كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمَمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ: يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ وَهَل رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: يَقُولُ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ، لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ<sup>(١)</sup>.

فإن شهود الملائكة لها، مما يحث أفراد المجتمع على الاجتماع في مجالس الذكر، ونيل بركتها، وتلمسها كما تتلمسها الملائكة، والحرص على الانتظام في حلقات القرآن، ومدارسته والاجتماع على مائدة العلم، كي ينالوا فضل هذا الاجتماع، من شهود الملائكة الأبرار، ونزول السكينة التي هي: «شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة»<sup>(٢)</sup>.

فالسكينة تطمئن لها النفوس، وغشيان رحمة الله التي لا غنى للعباد عنها، وأعظم من ذلك كله مغفرة الله لهم، ولمن حضر هذا الاجتماع المبارك، ولو لم يكن لأهل هذه المجالس إلا مغفرة الله

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، (٦٦/٨٠)، برقم (٦٤٠٨)، ورواه مسلم: في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر (٨/٤٨)، برقم (٢٦٨٩). واللفظ للبخاري.

(٢) شرح سنن أبي داود، للعيني (٣٦٨/٥).





تعالى لكل من حضرها، - ولولم يكن من أهلها- لكان ذلك حافظاً كافياً لحضورها، كيف وخير الدنيا والآخرة قد اجتمع فيها، من إخراجهم من ظلمة الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان، ومن الطمأنينة والسكينة والرحمة والمغفرة، ناهيك عن التألف والتراحم الناشئ بينهم من جراء اجتماع قلوبهم وأرواحهم على طاعة الله قبل أجسادهم .

وكفى بهم غبطةً وشرفاً حين يعلمون أن الله تعالى يذكرهم، ويسأل عنهم الملائكة - وهو أعلم سبحانه بهم- .  
وكلما حرص أفراد المجتمع على هذه المجالس، عمتهم بركتها وخيرها، واندفعت عن المجتمع شرور كثيرة ما كانت تندفع لولا بركتها.

## ٢. صلاتهم على أهل الجمعة والجماعة:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه . ما لم يحدث، وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه)<sup>(١)</sup>.

و«هو المكان الذي يصلي فيه في المسجد»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الذين يصلون في الصف الأول: فقد ورد أن النبي صلى

(١) رواه البخاري، في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، (٣٠ / ١٠) برقم (٦٤٧)، ورواه مسلم في كتاب المساجد، باب فضل الصلاة المكتوبة جماعة، وفضل انتظار الصلاة، وكثرة الخطا إلى المساجد وفضل المشي إليها، (٤٩ / ٥)، برقم (١٥٠٨)، واللفظ لمسلم

(٢) انظر تفصيل ذلك في: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعيني (٣٤ / ٧).





الله عليه وسلم قال: (إن الله وملائكته يصلون على الصنف الأول ..) الحديث<sup>(١)</sup>.

فهذه النصوص التي تبين شيئاً من فضل صلاة الجماعة وأهمية العناية بها، ومن ذلك صلاة الملائكة ودعاؤهم لمن ينتظرها، ولمن يحرص على المسابقة للصنف الأول، مما يرغب أفراد المجتمع على المواظبة عليها، وعدم التخلف عنها لأدنى سبب، والتبكير لها، لينالوا هذا الفضل العظيم، مع ما يعود عليهم من منافع لاجتماعهم في اليوم واللييلة خمس مرات في المساجد، التي من أبرزها التعارف، والألفة بين جماعة المسجد، وشهادتهم لبعضهم بالخير والصلاح، نتيجة مواظبتهم على هذه الشعيرة، كما أن دين الرجل يعرف بمدى حرصه على شهود الجماعة، إلى غير ذلك من المنافع التي منها التعرف على جيران المسجد، ومنها السؤال عن غاب عن الجماعة لعارض، والاطمئنان على صحته مما يسبب زيادة تأليف القلوب بين الأفراد الذي هو مقصد عظيم من مقاصد هذا الدين القويم.

ومن ذلك أيضاً تسجيل الملائكة الذين يحضرون الجمعة:

فالملائكة الكرام يسجلون بعض أعمال العباد، فيسجلون الذين يؤمّون الجُمع الأول فالأول . ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم الجمعة وقفت

(١) أخرجه أحمد عن أبي أمامة: (٥/ ٢٦٢، رقم ٢٢٣١٧) قال المنذري (١/ ١٨٧):  
إسناده لا بأس به، وقال الهيثمي (٢/ ٩١): رجاله موثقون . والطبراني (٨/ ١٧٤،  
رقم ٧٧٢٧) .





الملائكة على أبواب المسجد يكتبون الأول فالأول... الحديث<sup>(١)</sup>. إن الإيمان بهذه النصوص التي ذكر فيها تسجيل الملائكة لأسماء الأول فالأول، ممن يبكرون من المؤمنين إلى الجمعة، لهو أكبر دافع للموفقين من أفراد المجتمع على المسابقة على حضور الجمعة، والتنافس على ذلك، ونيل أجر التبكير الصلاة إليها، وغير خاف الأثر القويم، والنفع العظيم الذي تتركه المواظبة، والمسابقة على الجمعة والجماعات، التي من أهمها إظهار أعظم شعائر الإسلام، ناهيك عن الخير والبركة التي ينالها أهل الجمعة، من الاجتماع مع أهل الأحياء الأخرى المجاورة، الذين ما كانوا ليرونهم لولا حضورهم للجمعة، مع ما يحصل بعد ذلك من التواد، والتعارف، والترابط بين أفراد المجتمع، حين يرى بعضهم البعض، ويجتمعون للاستماع للخطبة، والانتفاع بها سوياً.

٣. تأمين الملائكة على دعاء المؤمنين لإخوانهم، وتأمين الملائكة على دعاء المسلمين لبعضهم: فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك، كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل )<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، (٣١/١١) برقم (٩٢٩) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، (٢/٧) برقم (١٩٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٣/٤٨) برقم (٦٩٢٩).



إن استحضار المؤمن تأمين الملائكة على دعائه لإخوانه بظهر الغيب، والخير الذي يناله من دعائه لأخيه سبب في اجتهاده بكثرة الدعاء لهم، حيث إن تأمين الملائكة يجعل الدعاء أقرب إلى الإجابة، وإذا أكثر المؤمنون من الدعاء غيباً لإخوانهم، كان ذلك علاجاً لذهاب الغل والحسد من القلوب، وسبباً لنشر المحبة في نفوس الداعين، والمدعِيِّ لهم حين يعلمون بذلك، وكل ذلك سببه إيمانهم بأن الملائكة تؤمِّن على دعائهم، وتقول: و لك بمثل. وإذا كان هذا الفضل لمن يدعو لواحد، فكيف لمن يدعوا لجميع المسلمين؟!

وهذا كفيل بنشر الخير بين أفراد المجتمع، الذي من أعظمه أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

٤. تبشير الملائكة للمتزاورين المتحابين في الله:

ففي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته<sup>(١)</sup> ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها<sup>(٢)</sup>؟ قال: لا، غير أني أحبته في الله عزَّ

(١) أرصد: أي وكله بحفظ المدرجة وهي الطريق وجعله رَصداً: أي حافظاً مُعَدّاً. انظر: النهاية في غريب الأثر (٢/٥٤٩).

والمدرجة: بفتح الميم والراء هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون، انظر: شرح النووي على مسلم، (١٦/١٢٤).

(٢) تربها أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسببها، انظر: شرح السيوطي على مسلم (٥/٥١٠).





وجلّ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه<sup>(١)</sup>. إن هذا البشري من المَلَك للمتحابين المتزاورين في الله، بأن الله قد أحبهم، لهي أعظم بشري تفرح قلوبهم، ومن أقوى الدوافع لإحياء هذا العمل الصالح الذي يحب الله أهله، وقد شرفهم بتبشير الملائكة بحبه لهم، ناهيك عن الآثار الطيبة التي يتركها التزاور والتحاب في الله على أفراد المجتمع، فما أعظم فرح المؤمن بأخيه حينما يزوره لا لدنيا يريدتها، وإنما لأنه يحبه في الله، وما أقوى الأثر الذي يبقى في نفوس المؤمنين من جراء ذلك، ويكفيهم شرفاً وفرحاً ببشري الملائكة بمحبة الله لهم.

٥. استغفارهم للذين يعودون المرضى:

روى أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (ما من رجل يعود مريضاً ممسياً، إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف<sup>(٢)</sup> في الجنة، ومن أتاه مصباحاً خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب في فضل الحب في الله، (١٢/٤٥)، برقم (٦٥٤٩).

(٢) خريف الجنة: الخريف الثمر الذي يخترق، أي: يجنى ويقطف، انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٣١/٩).

(٣) صحيح سنن أبي داود، برقم: (٣١٠٠)، وصرح أبو داود بتصحيحه مرفوعاً، وأورد رواية صحيحة عن علي موقوفاً عليه، وقال الألباني: صحيح موقوف (١٥٢/٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرک برقم (١٢٦٤) وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لأن جماعة من الرواة أوقفوه.



ولفضل عيادة المرضى، وأثرها على ترابط المجتمع، فقد جعل الله لأهلها سبعون ألف ملك يستغفرون لهم، وذلك لمسيس حاجة المريض لمواساة إخوانه وزيارتهم، ولما لذلك من الأثر العميق الذي يبقى في نفوس المرضى الذين يتعاهدهم إخوانهم بالعيادة والاطمئنان على صحتهم، مما يدخل السرور عليهم، ويخفف عنهم ما أصابهم، وهذا بدوره يعود على هذه الشريحة من أفراد المجتمع بالإيجابية، والشعور بمشاعر الجسد الواحد.

٦. ترغيب أفراد المجتمع بالاستقامة، ونيل بركاتها:

إذ أن العناية بأهل الاستقامة من أعمال الملائكة الموكلين بها، لأنهم مع الذين استقاموا لا يفارقونهم، فهم الذين يثبتونهم في حياتهم في أحلك الظروف عند مواجهة الأعداء، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ الأنفال: ١٢، وهم الذين يتنزلون عليهم عند وفاتهم، ويطمئنونهم عند مفارقتهم للدنيا، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت: ٣٠، فيهدئون روعهم بأن لا يخافوا مما يستقبلهم، ولا يحزنوا على ما فاتهم، ثم يبشرونهم بتحقيق وعد الله لهم بدخول الجنة وما أعظمها من بشرى.

وفي يوم القيامة: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ الأنبياء: ١٠٣.





والملائكة لا يدعون أهل الاستقامة - جعلنا الله منهم - حتى يدخلوا الجنة، فيهنئونهم بسلامة الوصول قائلين: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) الرعد: ٢٤ .

إن المؤمن عندما يتلو ويتدبر هذه النصوص ونحوها، ليحس ذلك على السعي في طلب أسباب الاستقامة على الإيمان، فيسأل ربه أن يوفقه إلى الاستقامة على دينه، ثم يسأله الثبات عليها حتى يفارق الدنيا كي تشمله عناية الله تعالى بأهل الاستقامة من عباده المؤمنين، ويبحث عن أسباب الثبات على الاستقامة، وإذا سعى أفراد المجتمع لتحقيق الاستقامة التي تتمثل في مراعاة حقوق الله وحقوق خلقه، فقد صلح المجتمع وعاش أفراده حياة هائلة في ظل الاستقامة بحسبها، وبحسب من يمثل من أفراد المجتمع، وسلم أفرادهم وأمنوا على أنفسهم، واطمأنوا على دينهم، ونالوا بركات الثبات على تقوى الله وتنعموا بها وكانوا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦) الأعراف: ٩٦ .

٧. الحذر من خطر انحراف أفراد المجتمع:

مما يحذر المؤمن من خطورة انحراف أفرادهم عن دين الله، وسلوك طريق الضلال والغواية، والخسارة الفادحة التي لا توازيها خسارة، أن يقوا أنفسهم وأهلهم النار التي توقد من الناس والحجارة، بإيمانهم بأن النار عليها ملائكة غلاظ شداد على أهلها، أعادنا الله جميعاً



منها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ التحريم: ٦ .

ولذا ذكر الله تعالى الملائكة الزبانية خزنة جهنم، ومقدمهم مالك عليهم السلام،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِثُونَ ﴿٧٧﴾ الزخرف: ٧٧،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ العلق: ١٧-١٨ .  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُعْثِي وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوْ آحَاةٌ لِلْبَشْرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ المدثر: ٢٧ - ٣٠

وقد جعل الله تعالى أصحاب النار ملائكة، ووصفهم بما يشاء سبحانه، ليتذكر عبادة مصير من عصاه، وانحرف عن هداه، فقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ ﴿٣١﴾ المدثر: ٣١ .

فجعل الله تعالى ذلك ذكراً للموفقين من عباده ليراقبوه، ويقوا أنفسهم وأهليهم هذه النار التي لا يطيقونها، ولا يصبرون عليها، وإذا كان أفراد المجتمع يجتهدون في طلب أسباب وقاية أنفسهم وأهليهم من النار التي عليها ملائكة غلاظ شداد، فإن المجتمع بحسب ذلك





سيسلم من ظواهر الانحراف عن طريق الهدى، ويرتاح أفراده من تبعات هذا الانحراف، ومن ثم يسعد أفراده سعادة لا يشقى بعدها أبداً، نسأل الله من فضله.







## المبحث الثالث

أثر الإيمان بالرسول والكتب على أفراد المجتمع



من المعلوم أن الإيمان بالرسول عليه صلوات الله وسلامه، هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة، والإيمان بالكتب هو الركن الرابع، ودليل هذين الركنين قول الله تعالى:

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءِ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥ .

ومن السنة، حديث جبريل في تقرير أركان الإيمان، وفيه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ فقال: (فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت...) الحديث<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الله تعالى من لم يؤمن بهذين الركنين أو أحدهما كافراً ضالاً، فقال جل من قائل:

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، (١ / ١)، رقم (٨).





﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١٣٦) النساء: ١٣٦، ولارتباط هذين الركنين ببعضهما، سيكون الحديث في هذا المبحث عن آثارهما جميعاً، لكن سأبدأ ببيان الإيمان بالرسول ثم الإيمان بالكتب.

١. معنى (الرسول) في اللغة:

جمع رسول، «والراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على الانبعاث والامتداد»<sup>(١)</sup>، «والرسول: بَعَثَهُ اللهُ بِرِسَالَةٍ، وَعَلَيْهِ سُلْطَةٌ»<sup>(٢)</sup>، «وَسُمِّيَ الرَّسُولُ رَسُولًا، لِأَنَّهُ ذُو رِسَالَةٍ»<sup>(٣)</sup> والمراد بالإيمان بالرسول:

هو التصديق الجازم «بكل نبي أرسله الله»<sup>(٤)</sup> و بما سمي الله في كتابه من رسله»<sup>(٥)</sup> و «بأن الله سواهم رسلاً، وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم»<sup>(٦)</sup> و «أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقليين من الإنس، والجن»<sup>(٧)</sup>. وهذا أخصر وأشمل تعريف للإيمان بالرسول.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٣٩٢).

(٢) انظر المعجم الوسيط (١/٣٤٤).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٤/٢٧٣)، وتاج العروس من جواهر القاموس (٢٩/٧٤).

(٤) الجواب الصحيح (١/١٣٢). وانظر: مجموع الفتاوى (١٢/١١).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/٣١٣).

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق (١١/١٧٠).



ومن عقيدة أهل السنة والجماعة، «أنهم مؤمنون بذلك كله، لا يفرقون بين أحد من رسله، ويصدقونهم كلهم على ما جاءوا به، فهم لا ينقصون أحداً من الأنبياء والرسل عن مقام النبوة والرسالة، بل يؤمنون بهم على ما ذكره الله إما مجملاً وإما مفصلاً»<sup>(١)</sup>.

كما أن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دين واحد وإن تنوعت شرائعهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ الْمُؤْمِنُونَ: ٥١ - ٥٢.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات)<sup>(٢)</sup>، أمهاتهم شتى ودينهم واحد<sup>(٣)</sup>.

ودين الأنبياء هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله:

قال تعالى عن نوح: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾  
يونس: ٧٢.

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٣٠).

(٢) العلات: بفتح العين المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى. انظر: فتح الباري (٦/٤٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، (٤٨/٦٠) رقم (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٣/٤٠)، رقم (٢٣٦٥).



وقال عن إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ البقرة: ١٣١ ﴾

وقال عن موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ

كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ يونس: ٨٤ ﴾

وقال عن عيسى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي

قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ المائدة: ١١١ ﴾

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فدين الأنبياء واحد وهو دين الإسلام لأن بعض الشرائع تنوع

فقد يشرع في وقت أمر الحكمة ثم يشرع في وقت آخر أمر آخر لحكمة

كما شرع في أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ثم نسخ ذلك وأمر

بالصلاة إلى الكعبة فتنوعت الشريعة والدين واحد.

ومن ترك شرع الأنبياء وابتدع شرعاً فشرعه باطل لا يجوز إتباعه

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ

بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ أَفْضَلَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴾ ﴿ الشورى: ٢١ ﴾<sup>(١)</sup>.

والله تعالى يشرع لكل أمة ما يناسب حالها ووقتها ويكون كفيلاً

بإصلاحها متضمناً لمصالحها، ثم ينسخ الله ما يشاء من تلك الشرائع

لانتهاه أجلها، إلى أن بعث نبيه محمداً خاتم النبيين إلى جميع الناس،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

الأعراف: ١٥٨

(١) جامع رسائل ابن تيمية (٢٨٤).



٢. معنى (الكتب) في اللغة:

جمع كتاب، و«الكتاب مصدرٌ يقال: كتب يكتب كتاباً وكتابة.»<sup>(١)</sup>،  
«والكتاب مشتق من الكُتِب، وهو الجمع والضم»<sup>(٢)</sup>.

فالكتاب إذن هو ما يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

المراد بالإيمان بالكتب:

التصديق الجازم «بكل كتاب أنزل الله»<sup>(٣)</sup>، «بما سمي الله من كتبه في كتابه»<sup>(٤)</sup>، «وأن الله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها، وعددها إلا الذي أنزلها»<sup>(٥)</sup>، ويتضمن «الإيمان بالقرآن العظيم، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن، والتوراة، والإنجيل، وغير ذلك من كلامه»<sup>(٦)</sup> ويتميز القرآن عن سائر كتب الله بالنسبة لهذه الأمة بوجوب إتباعه<sup>(٧)</sup>.

وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾  
المائدة: ٤٨ .

وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

(١) النهاية في غريب الأثر (٤/٢٥٣).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة، لابن فارس (٣١٢).

(٣) الجواب الصحيح (١/٦٣٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/٣١٢).

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق (١٢/٣٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (٧/٣١٣).





آثار الإيمان بالكتب والرسل على أفراد المجتمع:

أولاً: آثار الإيمان بجميع الكتب والرسل على أفراد المجتمع:  
حين نتأمل الحكم الجليلة من إرسال الرُّسل، وإنزال الكتب نتعرف على كثير من آثار الإيمان بهذين الركنين العظيمين على المجتمع وأفراده. وأهم هذه الآثار:

١. اجتماع أفراد المجتمع على عقيدة واحدة، وانسراح صدورهم بعقيدة التوحيد:

إن أعظم الثمار التي يجنيها المؤمنون من إيمانهم بالرسل الكرام وبكتبهم، إتباع الهدى الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيتحقق لهم ولمجتمعهم الخير، والهدى، والفلاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، وأساس هدى الأنبياء عبادة الله وحده لا شريك الله، فتوحيده سبحانه وتعالى هو الهدى الذي يشرح الصدور، ويوحد قلوب أفراد المجتمع، ويجمعها على الحق، ويلمّ شملها بعد طول التفرق، ويجعل سعيها واحداً، لأن هدف عتد سيكون واحداً.

وقد أرسل الله الرسل لتعريف الناس بربهم وخالقهم، ولدعوتهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ النحل: ٣٦.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥.



فإن الحكمة الربانية لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، إقامة المجتمع على عقيدة التوحيد، واجتماعها عليه، والنهي عن التفرق فيه، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣ .

وذلك لأن النكوص عن عقيدة التوحيد التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، هو أساس التفرق الذي يسبب شتات المجتمع وتمزقه، وضياع أفرادها، مما ينتج تكوين الأحزاب، والفرق الضالة المضلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الروم: ٣١ - ٣٢

ولذا فقد حذرنا الله تعالى من الشرك الذي هو سبب التفرق، وبين لنا أن سبب هلاك الأمم وتمزيقهم، تكذيبهم للرسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ٤٤ .

ومن رحمته سبحانه وتعالى بعباده أن أنزل الكتب لتلخيص الناس من الفرقة والاختلاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤ .

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢ .





أي: «أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته»<sup>(١)</sup>.

فلا مقارنة بين شرح الله صدره لتوحيده، وبين من قسا قلبه للبعد عن إتباع ذكره، فإن

اتباع عقيدة التوحيد التي دعت لها جميع الرسل الكرام، وأنزلت من أجلها الكتب، يجنب المجتمع التفرق والتمزق الذي يسبب الضلال والشقاء لهم في الدنيا والآخرة.

## ٢. محاربة الفساد والانحراف في المجتمع:

وهذا ما اتفقت عليه الرسالات؛ سواء كان الفساد عقدياً أو خلقياً، أو انحرافاً عن الفطرة، أو عدواناً على البشر، أو تظيفاً في الكيل والميزان، أو غير ذلك.

و الشرك بالله أعظم فساد عقدي يحاربه الرسل عليهم السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْأَنْعَامُ: ١٥١ .

ثم الابتداء في الدين ما ليس منه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيََّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقًّا رِعَايَتَهَا فَتَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾

الحديد: ٢٧.

(١) تفسير الطبري، (٢١/٢٧٧).





وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ الشورى: ٢١.

والإيمان بالرسول وبأن رسالتهم تحارب هذا الانحراف العقدي، يجعل المجتمع يستجيب لهذا الإصلاح العظيم الذي يأخذ بأفراد المجتمع إلى جادة النجاة من مغبة الشرك بالله تعالى.

وأما مكافحتهم للفساد الخلقي الذي يزلزل قواعد المجتمع، ويقوض بنيانه، فكما كان لوط عليه السلام ينهى قومه مُنكراً عليهم انحراف فطرتهم، وفسادهم قائلاً: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦.

فقد كانوا يضرُّون بأنفسهم ومجتمعهم بهذا الفعل المشين، ويقطعون طريق سنة الله تعالى في خلقه للتناسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ العنكبوت: ٢٩.

فإن إيمان أفراد المجتمع بما أصاب قوم لوط من العقوبة، كما جاء في كتاب الله: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ العنكبوت: ٣٤ - ٣٥.

فيه نذير وتحذير من عملهم المشين، وهذا من العبر التي يأخذها





الناس من الإيمان بقصص الأنبياء مع أقوامهم، فإنه لو فعل أفراد المجتمع فعلهم لأصابهم ما أصابهم، كما قال تعالى بعدما ذكر عقوبة قوم لوط عليه السلام: ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ (٨٣) هود: ٨٣.

ومن الفساد الذي حاربه الأنبياء في المجتمع ظلم أفرادهم، بهضم حقوقهم وبخسها، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) وزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْوَاقِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١٨٣) الشعراء: ١٨١ - ١٨٣.

فإن الإيمان بذلك، يجنب أفراد المجتمع التعدي على حقوق بعضهم، فيرتاحون من الغبن الذي يعود بالوبال عليهم جميعاً، ويعرضهم للعقوبة العامة، قال تعالى مبيناً ما أصاب قوم شعيب من جراء تكذيبهم له: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩٠) الشعراء: ١٨٩ - ١٩٠.

٣. صلاح أفراد المجتمع باقتدائهم بالأنبياء والرسل:

لقد اصطفى الله تعالى الأنبياء والرسل وجعلهم قدوة لأمتهم، فرباهم وأدبهم وكرمهم بالرسالة، فهم أكمل البشر خلقاً وخلقاً وأفضلهم علماً وأصدقهم قولاً وأعطرهم سيرة ولقد قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَابِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠) الأنبياء: ٩٠.



ولما كان الأنبياء والرسل بهذه المنزلة العالية، أمرنا الله بالاعتداء بهم فقال سبحانه:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الأنعام: ٩٠ .

فإن الاعتداء بهم من الحكم العظيمة التي ذكر الله تعالى لأجلها قصص الأنبياء، وامتدح سبحانه أوصافهم في القرآن الكريم ومن ذلك: إخلاصهم العقيدة لله، ويظهر ذلك في صدق توحيد إمام الحنيفية، إبراهيم عليه السلام، الذي ضرب لكل مؤمن أروع الأمثلة التي تجعله يقف طويلاً، متأملاً في عقيدته الخالصة، وهذه الاستجابة السريعة لأصعب شيء على النفس، وهو التضحية بالولد فلذة الكبد، قال تعالى حاكياً عنه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَّبِعِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ الصافات: ١٠١ - ١٠٢ .

والله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه إسماعيل ليظهر ما في قلبه من عظيم المحبة لربه، وهو أعلم بمقدارها سبحانه، ولكن ليعلم الناس جميعاً أنه لا بد من تقديم محبة الله على محبة الولد\_ التي هي أقوى المحاب في نفس الوالد، وأن محبة الله تعالى\_ التي تقتضي الاستجابة لأمره\_ لا تساويها محبة أحد في قلب الموحد أبداً، فامتحن الله إبراهيم عليه السلام بأعظم امتحان له، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ الصافات: ١٠٦ .





ولكن هذا الابتلاء لإظهار حقيقة التوحيد لله تعالى .

كما يظهر في استجابة إسماعيل عليه السلام، صدق عبوديته لربه حيث لم يتردد في إجابة أبيه لطلبه في أن يذبحه!، قائلاً: ﴿يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٤) الصافات: ١٠٢ .

إن هذا الموقف المؤثر يربي كل فرد من أفراد المجتمع على عقيدة التوحيد الخالصة، التي لا

تؤثر فيها محبة الولد أو غيره، وذلك يؤثر في قلوبهم ولا بد، ويجعلهم يقدمون رضا الله تعالى والاستجابة لأمره على كل شيء، كما يجعل الألسن تلهج لربها بالدعاء أن يرزقها ذرية سالحة تستجيب لمراد الله تعالى، لتحصل على النجاة التي فيها حياة المجتمع جميعاً ونجاته.

كما أن جميع الكتب، دعت إلى مكارم الأخلاق، كالعفو عن المسيء، وكالصبر على الأذى، وكالقول الحسن، وبر الوالدين، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، والتواضع، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق، التي تعود على أفراد المجتمع بالألفة والتكافل الاجتماعي.

ومن أمثلة ذلك:

عفو يوسف عليه السلام عن إخوته بعد ما فعلوا به ما فعلوا، وبعد أن أقدره الله تعالى عليهم وآثره عليهم، فقد قال جل وعلا على لسانه: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٢) يوسف: ٩٢ .



ولم يذكرهم بماضيهم، وما اقترفوا في حقه، بل عفا عنهم ودعا الله لهم بالمغفرة، وهذا يجعل المؤمن يستصغر ما يصيبه من إخوانه مهما بلغ، عندما يتأمل عفو النبي الكريم يوسف عليه السلام عن إخوته، وصبره على أذاهم، مما يعود على أفراد المجتمع بالتسامح، والصبر على هفوات بعضهم وزلاتهم.

ومن ذلك: ما امتدح الله تعالى يحيى عليه السلام ببره بوالديه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبِيحُنِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۗ ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ ﴿١٤﴾ مريم: ١٢ - ١٤.

وعيسى عليه السلام ببره بوالدته، فقال سبحانه على لسانه عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۗ ﴿٣٢﴾ مريم: ٣٢ وفي إكرام الضيف ما ذكره تعالى عن إبراهيم: ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۗ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۗ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۗ ﴿٢٦﴾ الذاريات: ٢٤ - ٢٦ وفي التحلي بالصبر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ۗ ﴿٨٥﴾ الأنبياء: ٨٥.

ويخبرنا الله جل وعلا عن إبراهيم - عليه السلام - أنه حليم؛ أي: «ذو خلق حسن، وسعة صدر، وعدم غضب عند جهل الجاهلين»<sup>(١)</sup>.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ۗ ﴿٧٥﴾ هود: ٧٥.

(١) انظر: تفسير القرطبي ٩/ ٧٢-٧٣، وروح المعاني ١٢/ ١٠٤.





فخلق الحلم وسعة الصدر من أخلاق الأنبياء الحميدة، التي لو سعى أفراد المجتمع للاتصاف بها، لكان ذلك عائداً عليهم جميعاً بزوال شرور كثيرة وعداوات عامة للمجتمع، حيث أن الحلم الذي ينتج عنه الرفق واللين سبب لجلب الخير للمجتمع، لا سيما إذا كان من يتصف به الدعاة والمربون الذين يتولون قيادة المجتمع فهم أولى الناس بالاعتداء بالأنبياء في الحلم والرفق.

ومن صفات الأنبياء عليهم السلام:

قوة تعلقهم بالله وعدم النظر لما في أيدي الناس، حيث كان منهم من يأكل من عمل يده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فعن المقدام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكَلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (١). «وخص داود لكون اقتصاره في أكله على عمل يده لم يكن لحاجة، لأنه كان خليفة في الأرض بل أراد الأفضل» (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) الأنبياء: ٨٠

وقد أخبرنا النبي ﷺ أيضاً أن زكريا عليه السلام كان نجاراً (٣).

فالأكل من عمل اليد فيه عز وشرف للعبد باستغنائه عن الناس، وفيه نفع عام للمجتمع حيث يصبح أفراده عاملين منتجين، وهذا يرتقي باقتصاد المجتمع المسلم ويغنيه عن غيره.

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، (١٥/٣٤) رقم (٢٠٧٢).

(٢) فيض القدير للمناوي (٥/٥٤٣).

(٣) أصل الحديث رواه مسلم (٤/١٨٤٧)، رقم (٢٣٧٩).



ومن الفوائد التي تعود على أفراد المجتمع منه: «إيصال النفع لآخذ الأجرة إن كان العمل لغيره، وإيصال النفع إلى الناس بتهيئة أسبابهم، من نحو زرع، وغرس، وخياطة وغير ذلك، ومنها أن يشتغل الكاسب به، فيسلم عن البطالة واللهو، ومنها كسر النفس به، فيقل طغيانها ومرحها، ومنها التعفف عن ذل السؤال والاحتياج إلى الغير»<sup>(١)</sup>.  
كما أن مما يحمل أفراد المجتمع على التواضع، معرفتهم أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه،

وهم أشرف الخلق كانوا يرعون الغنم، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة)<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه، والتصريح بمرتبة عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء»<sup>(٣)</sup>.

ومن نظر في تواضع أشرف الناس وهم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لربهم ولخلقه، مع فضلهم الكبير على الخلق، ومنتهم عليهم، ومكانتهم العظيمة عند الله، علم أنه ليس من حق

(١) فيض القدير للمناوي (٥/٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب السلم، باب رَغِيِ الْغَنَمِ عَلَى قَرَارِيْطَ (٢/٧٨٩)، رقم (٢١٤٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤/٤٤١).





أحد دون الأنبياء أن يترفع أو يتكبر على الناس، مهما بلغ من المكانة والقدرة، إذ لو كان ذلك شرفاً لأحد، لكان الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه أولى الناس بذلك من غيرهم.

إن كل ما يذكره الله تعالى في كتابه من مكارم الأخلاق التي يتحلى بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، هي دعوة للاقتداء بهم، والاتصاف بها، وذلك يجعل المجتمع المسلم يتميز بالتكافل الاجتماعي ويتحلى أفراداً بمكارم الأخلاق، وبهذه الصفات العظيمة التي تعود عليهم بكل خير.

٤. التواصي بالعبادات التي تزكي أفراد المجتمع وتحقق لهم الاستخلاف:

إن كثيراً من العبادات التي نقوم بها كانت معروفة عند الرسل وفي الكتب السابقة وأتباعهم، كالصلاة، والزكاة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٧٣) ﴿الأنبياء: ٧٣﴾.

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) ﴿مريم: ٣١﴾.

وقال جل وعلا عن إسماعيل عليه السلام: ﴿قَالَ تَعَالَى: وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٥٥) ﴿مريم: ٥٥﴾.

فإذا تأمل المؤمنون برسول الله وكتبه هذه الآيات ونحوها، فإن





ذلك يحثهم على التواصي بهذه العبادات العظيمة، التي تزكي أنفسهم، وتطهر مجتمعهم من دنس الذنوب، وتثير لهم دنياهم التي سودتها ظلمات البعد عن الله تعالى.

ومما جاء في الكتب السابقة أن الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفوس بالطاعة لله، والعبودية له.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨  
صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝١٩﴾ الأعلیٰ: ١٤ - ١٩ .

كما أن الكتب السماوية تقرر قواعد عامة في الحياة، التي منها أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۝٣٧ أَلَا نَزَرُ وَأَزْرَهُ ۖ وَزَرَ آخَرَى ۝٣٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۝٤١﴾ النجم: ٣٦ - ٤١ .

وهذا بدوره يدفع المؤمنين لطلب نجات أنفسهم بالمسارعة لعمل الخيرات، التي منها المتعدية النفع لإخوانهم كالصدقات، ونفع الناس بشتى أصناف الإحسان، كما أنه إذا كان أفراد المجتمع يسعون للنجاة بعمل الصالحات، فإن ذلك منج لجميع المجتمع من عواقب الذنوب، حيث إن الحسنات يذهبن السيئات.

ومن تلك القواعد التي تقررها الكتب السابقة وعلى لسان رسلها ما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم، أن الذي يستحق وراثته الأرض



هم عباد الله الصالحون؛ فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي  
الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾  
الأنبياء: ١٠٥.

وقد بلغنا الله تعالى بذلك، كي نجد في العبادة فنكون ممن من الله  
عليهم بوراثه الأرض<sup>(١)</sup>، ولذا قال سبحانه في الآية التي تليها: قَالَ  
تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الأنبياء: ١٠٦.  
فحقيق بأفراد المجتمع أن يجتهدوا في السعي لنيل هذه لفضائل  
العظيمة، التي أهمها وراثه الأرض.  
٥. نشر العدل والقسط في المجتمع:

لقد حمل جميع الرسل عليهم السلام ميزان العدل والقسط،  
وكذلك الكتب أنزلت بالحق والعدل، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا  
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾  
الحديد: ٢٥.

وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ  
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ الشورى: ١٧

(١) من المفسرين من ذكر أن المقصود ب(الأرض) أرض الجنة، انظر مثلاً: تفسير  
سفيان الثوري (٢٠٧)، وابن كثير (١٢٣/٧)، ومنهم من قال بالأول وأضاف إليه:  
الاستخلاف في الأرض، وأن الصالحين يمكن الله لهم في الأرض، وأن أراضي  
الكفار يفتحها المسلمون، وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين،  
كقوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي  
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } الآية. انظر: تفسير الخازن (٤/٣٢٥)،  
وتفسير السمعاني (٣/٤١٣)، وتفسير السعدي (٥٣١).



إن العدل بين الناس من أسباب بقاء المجتمعات واستمرارها، بل هو الذي قامت عليه السماوات والأرض، ولذا فقد جاءت به الرسل، وأنزلت به الكتب.

والمقصود بـ«الميزان»: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معاشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي»<sup>(١)</sup>.

فالميزان إذاً «آلة العدل»<sup>(٢)</sup>، وإذا تأمل المؤمنون بالرسول والكتب أنها جاءت بالعدل، علموا أن الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لمصلحتهم جميعاً، وأدركوا أهمية القسط والعدل لقيام المجتمعات، واعتنوا بتحقيق العدل فيما بينهم، وراعوا المصلحة العامة في نشره بين أفراد المجتمع، حيث إن النفوس تأبى الغبن وتبغض الظلم، وتدافعه، كما أن الظلم وهضم الحقوق يعين الشيطان على الإيقاع بين الناس، ويثير الإحن والعداوة بين أفراد المجتمع.

ثانياً: آثار الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن الكريم:

أود أن أنبه إلى أنني لم أفصل هذه الآثار عن التي قبلها للتفريق بين الإيمان بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم، وبين الإيمان ببقية الرسل عليهم صلوات الله عليهم وسلم والكتب، فإن الإيمان بالرسول والكتب لا يتم إلا بالإيمان بهم جميعاً ولكني خصصتهما بهذه الآثار لكون

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٠).

(٢) انظر تفسير الرازي (١/٤٣٠٨).





النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع، ولأن القرآن الكريم مهيمناً على جميع الكتب السماوية، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ المائدة: ٤٨ .

وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

ولقد كان الرُّسُلُ يبعثون إلى أممهم خاصة، وبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ . وقد كانت بَيِّنَاتُ الرُّسُلِ ومعجزاتهم تتجلى لمن يُشاهدها أو يسمع عنها ممن شاهدها، وجعل الله بَيِّنَةً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم المعجزة المُصدقة لرسالته الثابتة والمتجددة إلى قيام الساعة لتقوم به الحُجَّةُ على الناس.

ولأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده، فقد حَفِظَ اللهُ الدين الذي بُعِثَ به، وحفظ القرآن الكريم المصدق برسالته ﷺ.

ولا بد أن يكون للإيمان بنبينا العظيم ﷺ، وبالقرآن الكريم آثار خاصة، بالإضافة إلى الآثار السابقة، ومن هذه الآثار:



١. محبة أفراد المجتمع للنبي ﷺ التي تثمر التسليم لحكمه:

وذلك أن الإيمان به ﷺ يثمر ارتفاع محبته ﷺ فوق محبة كل أحد من الخلق، ومن أجله ترخص النفس والأهل والولد، ويفدى بهم النبي ﷺ، وهذا هو حقيقة الإيمان، قال جل وعلا:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (١).

وتقديم محبة النبي ﷺ على محبة جميع الخلق أمر يقتضيه الإيمان به ﷺ، وقد ظهرت آثار ذلك الإيمان في مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم، حيث كانوا لا يبالون في أن يصيبهم مكروه مادام النبي ﷺ سالماً من الأذى، ولذا كان إيمان الصحابة رضوان الله عليهم بالنبي ﷺ هو الإيمان الحق الذي أثمر امثالهم لحكم النبي ﷺ، الذي لا يتم الإيمان إلا به، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥.

وقد نفى الله تعالى الإيمان عمن تولى عن التسليم لحكم النبي ﷺ وأخبر أن المؤمنين حقاً إذا دعوا إلى الله ورسوله سمعوا وأطاعوا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٤٧.

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ف كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (٨/٢) رقم (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (٤/١٦)، رقم (٤٤).





إلى قوله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١) ﴿ النور: ٥١ .

وبحسب ما مع أفراد المجتمع من إيمان تكون محبتهم للنبي ﷺ ومن ثم يكون تسليمهم لحكمه ﷺ، ثم يكون المجتمع سالماً من انتشار أذى حظوظ النفس، والتخبط في مرجعية التحاكم،

حيث تكون سمة ذلك المجتمع التسليم لأمر الله ورسوله، فهو سبحانه الأعلم بخلقه و ما يصلحهم ويصلح مجتمعهم، كما أن التسليم لشرع النبي ﷺ وحكمه سبب لسعادة أفراد المجتمعات على مر العصور، وهو أيضاً سبب لبقاء المجتمع وثباته، حيث إن حكم النبي ﷺ يتسم بالعدل والقسط وهو من قواعد بقاء استقرار المجتمع.

٢. سعادة المجتمع باتباع هدي النبي ﷺ:

إن الإيمان بالنبي ﷺ يثمر إتباع سنته في شتى مناحي الحياة، وهو جزء من الإيمان بالله تعالى، وقد نص الله تعالى على وجوب اتباع هدي المصطفى ﷺ لمن ادعى محبة الله تعالى التي هي أساس الإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) ﴿ آل عمران: ٣١ .

وسنته ﷺ لا غنى للمجتمع ولا لأفراده عنها البتة، ففيها الخير الذي يخلص المجتمع من جميع ما يعتره من قضايا ومشكلات. ولأن الله تعالى أنعم على نبيه ﷺ باجتماع الصفات الحسنة، وأكرمه بالأخلاق العظيمة فقد أمرنا الله بالافتداء به، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) ﴿ الأحزاب: ٢١ .



فإن اقتداء المؤمنين بالنبي ﷺ في أخلاقهم، وتعاملاتهم، وسائر حياتهم سبب لتألف أفراد المجتمع، بحسب اقتدائهم بصفات النبي الكريم ﷺ الذي وصفه ربه سبحانه قائلاً: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وهو عليه الصلاة والسلام الذي قال عنه ربه: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهو الذي يبكي بين يدي ربه من أجل أمته ﷺ، ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَنْزَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. الآية.

وقول عيسى صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِن تَعَدَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ﷺ وَقَالَ: (اللهم أمتي أمتي) وبكى، فقال الله - عز وجل - : (يا جبريل، اذهب إلى محمد - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلُّهُ مَا يُبْكِيهِ ؟ ) فَاتَاهُ جَبْرِيْلُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ( يَا جَبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ )<sup>(١)</sup>.

إن المؤمن المتأمل لسيرة النبي ﷺ يجدها مليئة بال نماذج، والمواقف الرائعة التي لو اتخذها أفراد المجتمع منهجاً لحياتهم،

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأُمَّته وبكائه شفقة عليهم (١/٨٧)، رقم (٢٠٢).



لسعدوا سعادة لا يشقون بعدها أبداً، وكانت علاقاتهم الاجتماعية يسودها التراحم والتآلف، والترابط القويم، ولعمتهم بركات الاقتداء بهديه ﷺ.

ومن هذه النماذج الرائعة التي لها آثار كبيرة على المجتمع: عناية النبي ﷺ بجمع قلوب المسلمين والمساواة والمؤاخاة بينهم، لا سيما الخدم والعبيد.

وقد استطاع ﷺ أن يقتلع جذور الجاهلية من قلوبهم بتذكيرهم بأخوة الإيمان، وقد كان لامثال مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ أثر ظاهر، فهذا أبو ذر رضي الله عنه يلبس خادمه لباساً مثل لباسه، تحقيقاً للأخوة الإيمانية التي حثهم النبي ﷺ عليها، فعن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه، وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه حُلَّةٌ، فسألناه عن ذلك، فقال: إني سَأَبَيْتُ رَجُلًا فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ!)، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلُكُمْ<sup>(١)</sup> جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)<sup>(٢)</sup>.

(١) الخَوْل: بفتح المعجمة والواو هم الخدم، سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور، أي يصلحونها. فتح الباري (٥/١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم فأطعموهم ممَّا تأكلون، (١٥/٤٩) برقم (٢٥٤٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك ممَّا يأكل والباسه ممَّا يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (١٠/٢٧) برقم (١٦٦١).





كما كان ﷺ يتلطف مع النساء والصبيان، و يصرح بما يكنه قلبه لهم، فقد "رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مُقْبِلِينَ، مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْتَلًا، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ) قالها ثلاث مرات (١).

فما أعمق الأثر الذي سيبقى في نفوسهم، وهم يسمعون هذه الكلمات الرقيقة من النبي ﷺ أحب الخلق لهم، الذي لم تشغله قضايا الأمة عن التعبير عن عاطفته تجاه فئات المجتمع «النساء والصبيان».

و حين يتأمل المؤمنون هذا التعامل من نبيهم الرحيم ﷺ الذي يفيض بمشاعر العطف والرحمة، فإن ذلك يدعو كل مؤمن من أفراد المجتمع أن يقتدي به ﷺ في التعبير عن مشاعره تجاه أهله وأولاده، ومن يحب من إخوانه المسلمين، فإن تصرّحه بعواطفه سيمنحهم السعادة والولاء، كما سيبادلونه بنفس المشاعر الرائعة، ثم ينتشر ذلك بين أفراد المجتمع المسلم، ولقد حث نبينا على الإعلام بالمحبة لكل من يحبه المؤمن، فعن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال ( إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ ) (٢).

(١) أخرجه البخاري في: كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار أنتم أحب الناس إلي (٥/٦٣) رقم (٣٧٨٥) واللفظ له، ومسلم (١٧٤/٧) برقم (٢٥٠٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (٢١٢٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٢)، والترمذي (٢٣٩/٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٠٦)، وأبو داود في السنن واللفظ له برقم (٥١٢٦) قال محققه الألباني: صحيح. (٤/٤٩٥).





وقد كان نبينا ﷺ يؤسس للمؤمنين منهجاً رائعاً في التعامل الأسري، فهاهو ﷺ على جلاله قدرة يشارك أهله في مهنتهم، فعن الأسود قال سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟، قالت: (كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)<sup>(١)</sup>.

ومن تلك النماذج المؤثرة في المجتمع، رفق النبي ﷺ وحثه على الرفق، بل ودعائه للرفيق من أمته بأتمه، فقد كان من دعاء النبي ﷺ: (اللهم من ولي من أمي شيئاً، فشق عليهم، فاشقق عليه، و من ولي من أمر أمي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به)<sup>(٢)</sup>.

و«هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم»<sup>(٣)</sup>.

ومما يحث المؤمنين على التكافل الاجتماعي حرصه ﷺ على التعاون، وتبادل المنافع بين الإخوة، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

(مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ فَخَرَجَ (٤٤/١٠) رقم (٦٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (٥/٣٣) رقم (١٨٢٨).

(٣) شرح النووي (٢١٢/١٢).

(٤) رواه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (٢١/٣٩) برقم (٢١٩٩).



ويكفي المؤمنين أثراً وصف ربهم لنبيهم ﷺ وثنائه عليه بأنه لين رحيم، قال الله عز وجل:

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران: ١٥٩.

لقد ظهر رفق النبي - صلى الله عليه وسلم - بأئمة وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم وديناهم، ليكون النبي ﷺ قدوة لجميع المؤمنين من أفراد المجتمع، في تعاملهم مع بعضهم فيشيع بينهم التواد والتراحم، ويعلموا أن الفظاظة والغلظة سبب للتفرق والشتات.

إن من لوازم الإيمان بنبوته ﷺ، النظر في سيرته العطرة، وامثال ما أمر به وحث عليه، فإن سيرته ﷺ مليئة بالأسس التي تقيم المجتمع، وتكون سبباً في تماسكه وثباته، وعلى قدر إيمان أفراد المجتمع بنبيهم يكون امثالهم له، وانتفاعهم بهدي نبيهم ﷺ.

٣. هداية الناس بالتمسك بالقرآن الكريم:

إن من أهم لوازم الإيمان بالقرآن الكريم، اتخاذه منهجاً للحياة، واتباع ما فيه من هدى، وذلك يثمر هداية أفراد المجتمع إلى خيري الدنيا والآخرة، فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ الإسراء: ٩.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً أصحابه: ( أبشروا





وأبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ( قالوا: نعم، قال: ( فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً )<sup>(١)</sup>.

وهذا الكتاب العظيم الذي أحد طرفيه بيد الله تعالى، ولا أعلم منه سبحانه بما يصلح خلقه، لا شك أن فيه هداية الخلق جميعاً إلى مصالح دينهم ودنياهم، كما أن القرآن الكريم كتاب مبارك، وبركته تكون بتدبر آياته، والانتفاع بها، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص: ٢٩ .

وإليك أيها القارئ الكريم نماذج مما في القرآن الكريم من هداية أفراد المجتمع إلى ما يصلحهم في دينهم ودنياهم:

فقد أمرنا الله تعالى فيه بالعفو والإعراض عن الجاهلين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩ .

ونهانا عن كل ما يفسد العلاقات بين أفراد المجتمع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ الإسراء: ٥٣ .

وقد أثنى الله تعالى على مبدأ الشورى بين المسلمين: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ الشورى: ٣٨ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٠٠٦)، والطبراني (٤٩١)، وابن حبان (١٢٢). قال الهيثمي (١٦٩/١): رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أيضاً: عبد بن حميد (٤٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٤٢)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم.



وفي مجال العلاقات الأسرية، أمر ربنا في القرآن ببر الوالدين والإحسان إليهما، ورعايتهما في كبرهما وقرن الإحسان إليهما بعبادته فقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأمر بتعاهدهما بالرعاية حتى وإن كانا مشركين، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفي سورتي النساء و الطلاق ما يبين المنهج الأمثل، والأسلوب الراقى في العلاقة مع المرأة و الرحمة بها سواء كانت الأم أو الزوجة أو البنت أو الأخت، وكذلك في مجال تنشئة الأولاد وتربيتهم على ما يصلح دينهم ودنياهم.

وفي الجملة فلم يترك القرآن الكريم جانباً من جوانب الحياة إلا أوضح فيه ما يصلح أفراد المجتمع في دنياهم وأخراهم. ولا ريب أن التمسك بالقرآن سبب لنجاة أفراد المجتمع من الضلال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) (١).

(١) أخرجه الحاكم برقم (٣١٩). وأخرجه أيضاً: الدار قطني (٤/٢٤٥)، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٩٣٧ في صحيح الجامع.





وصلاح أفراد المجتمع، وترباط علاقاتهم الاجتماعية يعود لقوة اتباعهم، واتخاذهم للقرآن الكريم منهجاً ومرجعاً لهم، الذي يجعل المجتمع يقوم على أساس متين .

وحسبنا أن نعلم أن جميع ما مضى ذكره من آثار للإيمان بالرسول والكتب، هي أثرٌ من آثار الإيمان بالقرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، فلولا أن الله تعالى أخبرنا في كتابه وعلى لسان نبيه من أخبار الكتب والرسول السابقين لما كان لنا من علم بها.

وكلما كان أفراد المجتمع أكثر تمسكاً بالكتاب والسنة، كلما أخذوا بمجتمعهم إلى طريق النجاة، وأصبح المجتمع قوياً بربه، راسخاً بقيمه، يعمُّ أفراده التكافل والتراحم، وذلك بحسب ما معهم من إيمان بنبيهم ﷺ، وكتابهم القرآن الكريم خاصة، وبجميع الكتب والرسول صلوات الله عليه وسلامه عليهم عامة.





## المبحث الرابع

أثر الإيمان باليوم الآخر على أفراد المجتمع



الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الدين، وقد جاء ذكره كثيرا في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وأن بعث الخلق يوم القيامة من حكمة الله تعالى وعدله سبحانه.

ودليل الإيمان بهذا اليوم في القرآن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء: ١٣٦.

ولقد اقترن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى في كثير من الآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٧٧﴾ البقرة: ١٧٧. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ ءَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ البقرة: ٢٣٢.

وقوله عز وجل ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ءَالَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴿٩٩﴾ التوبة: ٩٩.





وهذا الاقتران يدل على عظمة هذا الركن وعمق أثره، ولقد كثرت ورود اليوم الآخر في القرآن وما سيكون فيه من الأحداث والأحوال، وجاء ذكر اليوم الآخر بأسماء كثيرة في القرآن الكريم، تدل على عظمة ذلك اليوم وما سيقع فيه من أهوال، ومن هذه الأسماء: القيامة، القارعة، الساعة، الزلزلة، الآخرة، يوم الدين، الحاقة، الغاشية، الصاخة، الطامة الكبرى.

### معنى الإيمان باليوم الآخر:

لقد سمي اليوم الآخر بهذا الاسم «لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة»<sup>(١)</sup>.

أما معنى الإيمان باليوم الآخر فقبل فيه:

«التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار»<sup>(٢)</sup>.

وبمعنى أشمل:

«التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك .

ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفراع وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصرات والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبه عن ربه عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رحمه الله (١/٢٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للحكمي (١٢٩).





آثار الإيمان باليوم الآخر على أفراد المجتمع:

حيث إن اليوم الآخر يوم عظيم، فإن الإيمان به له آثار عظيمة على أفراد المجتمع، وبما أنه قد سبق الحديث عن آثار الإيمان بالله واليوم الآخر في المبحث الأول من هذا الفصل لاقتراحهما كثيراً في النصوص، فسيكون الحديث في هذا المبحث مختصراً اكتفاءً بما سبق من ذكره من آثار.

١. النفع العام لأفراد المجتمع لاسيما الضعفاء:

إن إيمان العبد باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، له أعظم الأثر في توجيه الإنسان للنفع العام، وما فيه مصلحة المجتمع، واستقامة الأفراد والجماعات على طريق يتساوى فيه الناس في الحقوق والواجبات، وينعمون جميعاً بالأمن النفسي والرحمة والعدل، لاسيما الضعفاء منهم كالأيتام والمساكين، الذين خصهم الشارع الحكيم بالعناية، ونص على ذكر نفعهم قارناً ذلك بالإيمان بيوم الدين، مما يدل على أنه لا شيء يدفع للإحسان إليهم ولغيرهم من الضعفاء سوى الإيمان باليوم الآخر، وأن التكذيب بذلك اليوم دافع للإساءة إليهم قال الله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ۚ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ۝ (١) الماعون: ١ - ٧ .

(١) { يدع اليتيم } أي: يدفعه بحفوة من حقه، { ولا يحض } لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه، { عن صلاتهم ساهون } غافلون يؤخرونها عن وقتها، { يراءون } يعني: المنافقين يصلون في العلانية ويتركون الصلاة في السر، { ويمنعون الماعون } الزكاة وما فيه منفعة من الفأس والقدر والماء والملح. التفسير الوجيز للواحدى (١٢٣٥).





وفي هذه السورة الكريمة «إيذان بأن الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة»<sup>(١)</sup>.

التي أهمها ما نص عليه في هذه الآيات، فالتكذيب بيوم الدين سبب في تضييع حق اليتيم والمسكين، لأن المؤمن باليوم الآخر حقاً لا بد أن يرفق بهم ويحث غيره، حيث إن الإيمان بتبعات التفريط بتلك الحقوق في الدنيا والآخرة رادع عن ذلك.

وقد جاء ذكر التكذيب بالدين في الآية الأولى، وتبعه أوصاف مترتبة على التكذيب، وذلك لأن إقدام الإنسان على الطاعات وإحجامه عن المحظورات، إنما يكون للرجبة في الثواب والرهبة عن العقاب، فإذا كان منكراً للبعث كان عبداً لشهواته، مطلقاً لنفسه العنان، ثم تتحول نفسه لأشرس النفوس وأقساها وأظلمها، وقد ذكر الله تعالى تلك الأوصاف القبيحة للمكذبين بالآخرة لنعلم أن التكذيب بيوم الدين أصل لجميع الذنوب، التي تضر بالفرد والجماعة، وتكون سبباً في النزعة البهيمية التي لا يبالي العبد فيها بأحد، ويكون همه هوى نفسه فحسب.

إن الصفات المذكورة في هذه السورة من دفع اليتيم وعدم الشفقة عليه، وعدم الحض على إطعامه، والسهو عن الصلاة، والمراعاة بالأعمال، ومنع الحاجات، إن هذه كلها إذا اجتمعت فهي من شأن المنافقين والمكذبين بالحساب والجزاء، وقد يتصف أحد المسلمين ببعضها، ولكن اتصافهم ينقص الإيمان باليوم الآخر ويضعفه بحسب

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٤).



وجودها عندهم، فكلما قوي إيمان العبد بالآخرة كلما منعه إيمانه من الاتصاف بها أو غيرها مما يضعف الإيمان، ولذلك نجد المؤمنين محبين للنفع العام لأفراد المجتمع \_ لاسيما الضعفاء منهم \_، ولا يفعلون ذلك لطلب العوض أو المقابل الدنيوي وهذا بحسب قوة إيمانهم، ورجائهم ما عند الله من الثواب، وخوفهم من العقاب وافتاء لشر يوم القيامة، ولذلك وصفهم الله تعالى في سورة أخرى بقوله:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾ الإنسان: ٨.

ثم قال سبحانه مبيناً الدافع على ذلك: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩ إِنَّا خَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۝١٠ ﴾ الإنسان: ٩ - ١٠.

ونخلص من هذا أنه إذا كانت القسوة على الضعفاء، وترك النفع للخلق من علامات التكذيب باليوم الآخر، فإن آثارها على أفراد المجتمع واضح العيان، إذ أن تبادل المنافع العامة إذا فشا في المجتمع فسيزيد الترابط والتراحم، وسيضعف حضور الأنافس، ولن يشعر الضعفاء بالدونية والذلة في المجتمع لأن الجميع سيتسابق على الإحسان إليهم إيماناً بالله واليوم الآخر، لعلمهم يكونون ممن قال الله فيهم: ﴿ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ ﴾ الإنسان: ١١ - ١٢.

نسأل الله من فضله.

## ٢. الصبر عند المصائب، والعودة للحياة الطبيعية:

إن مصائب الدنيا وشدائدها، من البلاء الذي يتعرض له الإنسان. فالمؤمن يستعين على ذلك بالله، ويعلم أن ما عند الله خير وأبقى، فيكون





إيمانه باليوم الآخر وإيثاره الآخرة على الدنيا معيناً له على تخطي هذه المصائب والشدائد.

فالمؤمن يعلم أنّ هذه الحياة رحلة مؤقتة يتبعها حياة باقية في اليوم الآخر، يبعث الله تعالى فيه الخلائق، ولذا كان لإيمانه باليوم الآخر أثر تربوي على نفسه، ويظهر في تكوين شخصيته، وفي شؤون حياته كافة، فحينما يصاب المؤمن بمصيبة أو شدة، فإنه وإن كان يعتريه ما يعترى سائر البشر من الحزن والأسى، إلا أنه سرعان ما يفيق منه، باستعانتة بربه، وعلمه أن ما عند الله من الثواب له خير مما فاته مما أصابه، ثم يعود لحياته الطبيعية عودة إيجابية امتثالاً لأمر ربه، وإيماناً بما أعده الله للصابرين في الدار الآخرة.

وهذه أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها تضرب مثلاً رائعاً في الامتثال لأمر الله تعالى، فلما جاء نعي أبيها أبي سفيان دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث، فمسحت عارضتها وذراعها، وقالت: «إني كنت عن هذا لغنيّة لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحدد عليه أربعة أشهر وعشراً)<sup>(١)</sup>.

وإذا كان وقع المصائب على العبد إيجابياً، كان مؤثراً على جميع أفراد المجتمع، حيث لا تتعطل مصالحهم، ولا المنافع المتبادلة بينهم، وذلك كله بسبب صبرهم وثباتهم الذي يمليه عليه إيمانهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إحداد المرأة على غير زوجها (٢٣/٣٠)، برقم (١٢٨٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام (٩/١٨) برقم (١٤٨٦).



٣. شعور أفراد المجتمع بالمسؤولية:

إن الذي يحيا متيقنا بالحياة الآخرة يقينا لا شك فيه، تتغير حياته تغيرا إيجابيا يرتقي به إلى منزلة الأبرار، والذي يعيش منتظرا النهاية والموت في كل حين يعيش معدا لها، والذي يؤمن ويطلب الجنة يبذل لها، والذي يخشى النار يهرب منها.

إن عقيدة المؤمن الراسخة لتشعره بالمسؤولية تجاه أفعاله وتعامله مع الخالق والخلق، وأنه لا بد سيلقى ربه ويسأله ويقف بين يديه فيسعى لطلب النجاة، لأن هذه العقيدة تذكره أنه لا يُنجي في هذا الموقف احتيال، ولا يُغني كذب، ولا ينفع نفساً يومئذ إلا فضل الله وعفوه ومغفرته، ثم حسن العمل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾  
 ﴿٢﴾ الملك: ٢.

فكيف لا يشعر بالمسؤولية تجاه أعماله من يعلم أن عمله مُحصى عليه، وأنه محاسب عليه، وأنه سيقف، ويسأل في ذلك اليوم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) الصافات: ٢٤.

وذلك الإيمان يعين على ضبط الدوافع والغرائز وانتشار الأخلاق الفاضلة في المجتمع، ويحقق لهم الأمن والسلامة من الظلم، حيث إن النعيم في الآخرة أعده الله للذين لا يريدون الفساد في الأرض ولا تعد على الخلق، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣) القصص: ٨٣.

ولأن الإيمان بالله وباليوم الآخر يلزم الإنسان أن يكف شره عن





غيره في سره وفي علنه، فهو يردع الإنسان عن ظلم الآخرين وانتهاك حقوقهم، فإذا آمن الناس باليوم الآخر شعروا بالمسؤولية تجاه أفعالهم، وسلموا من ظلم بعضهم لبعض، وحفظت حقوقهم.

كما أن تحقيق الأخلاق الفاضلة في سلوكنا مع الآخرين، لا يكون إلا نتيجة للإيمان باليوم الآخر، فالحلم والأناة، والتضحية والرحمة، كل ذلك يتحلّى به المؤمن لأنه ينتظر أجره عليه يوم الحساب، ثم إن التحكم بالدوافع الغريزية، وردّها عن شطّطها وتعيديها على أفراد المجتمع، وإخضاعها إلى ما فيه صلاحها وبالتالي صلاح المجتمع، إنّما يتمّ بالإيمان بالله تعالى، ويوم يُعاقب الله فيه من أتبع نفسه هواها، ويُثيب من ألزمها أو امره، ونهاها عن هواه إيثاراً الآخرة، وما أعدّه الله تعالى من نعيم في الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ النازعات: ٣٧ - ٤١

فلا بدّ من يوم يُجازى فيه المُحسنون على إحسانهم، ويُعاقب فيه المسيئون على إساءتهم، ولذلك كان الشعور بالمسؤولية والتحكم بالدوافع الغريزية قاعدة عامة لإصلاح أفراد المجتمع.





## المبحث الخامس

أثر الإيمان بالقدر خيره وشره على أفراد المجتمع



لقد اقتضت حكمة الله تعالى، الذي له ملك السماوات والأرض أن يقدر الأشياء كلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٢) الفرقان: ٢.

ولا بد من الإيمان بالقدر، لأنه سبب في صلاح الفرد والجماعة، في دينهم ومعاشهم وآخرتهم، ولذا كان الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان العبد إلا به، جاء في حديث جبريل في تقرير أركان الإيمان، وفيه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ بقوله: (فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت...) الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن عبدٌ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، (١/١)، رقم (٨).





حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من كتابه الكريم، أنه جعل لكل شيء قدراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) الطلاق: ٣.

وجعل سبحانه لكل أجل كتاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) الرعد: ٣٨.

والأدلة على إثبات القدر في الكتاب والسنة كثيرة. المراد بالإيمان بالقدر: معنى القدر:

«القدر مصدر، تقول: قدّرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها، أقدره بالكسر والفتح قدّرا وقدّرا، إذا أحطت بمقداره»<sup>(٢)</sup>.

المراد بالإيمان بالقدر:

قال النووي - رحمه الله - عن معنى القدر:

«أنّ الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنّها

ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة على حسب ما قدّرها سبحانه»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢١٤٤) وقال: وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون، وعبد الله بن ميمون منكر الحديث، ولكن الحديث له شواهد تؤيده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٢٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٣٩).

(٢) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رحمه الله (١/٢٤).

(٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٥٤/١٥٥).





ومن عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر أن الله تعالى جعل للمخلوق إرادة ومشية، ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشيته، وأنه تعالى لا إرادة لقضائه، ولا معقب لحكمه والعباد، وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة، ولهم مشية ثابتة، ولهم إرادة جازمة وقوة صالحة، وقد نطق القرآن بإثبات مشية العباد في غير ما آية كقوله تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) التكوير: ٢٨. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) التكوير: ٢٩. وإثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، كما أن الآجال مكتوبة، والأرزاق مقسومة، والسعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم، والاحتجاج بالقدر يكون على المصائب والآلام، ولا يجوز الاحتجاج به على المعايب والآثام، بل تجب التوبة منها، ويلام فاعلها، وإثبات تأثير الأسباب إذا شاء الله ذلك، والله تعالى هو مسببها فالانقطاع إلى الأسباب شرك في التوحيد<sup>(١)</sup> مراتب الإيمان بالقدر:

للإيمان بالقدر أربع مراتب لا بد من الإيمان بها :

المرتبة الأولى:

أن الله يعلم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (٥/٣)، ومجموع الفتاوى (٣٩٢/٨)، ولوامع الأنوار البهية (٣١٢/١)، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى (٢/٣٣٣)، ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، (١٩).



المرتبة الثانية:

الكتابة في اللوح المحفوظ لمقادير الخلق ما هو كائن إلى يوم  
القيامة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ  
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ الحج: ٧٠.

المرتبة الثالثة:

مشيئة الله النافذة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم  
يكن، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من  
الموجودات والمعدومات.

المرتبة الرابعة:

أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة  
والعصيان وشاءها منهم، وهو سبحانه خالقهم وخالق قدرتهم  
وإرادتهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ التكوير: ٢٨ - ٢٩. (١)(٢)

فلا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بهذه المراتب الأربع:

١. علم الله تعالى بكل شيء أزلا وأبدا.
٢. كتابته لجميع الأشياء.
٣. مشيئة الله النافذة في كل شيء.
٤. خلق الله تعالى للأشياء، فلا خالق غيره.

(١) انظر: العقيدة الواسطية (٧٩)، كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رحمه الله، (٤٩-  
٥٠). وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم  
(٦١-١١٦)، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي (٢/٢٢٥-٢٣٨)، وأعلام  
السنة المنشورة، للحكمي أيضاً ص (١٢٦-١٢٩)، والقضاء والقدر، د. عمر  
الأشقر، ص (٢٩-٣٦).



آثار الإيمان بالقدر على أفراد المجتمع:

حيث إن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان فلا بد أن يكون له آثار إيجابية نافعة لأفراد المجتمع عامة.

١. التوازن في حياة أفراد المجتمع:

ومصدق ذلك الحديث الذي يرويه صهيب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)<sup>(١)</sup>.

فالإيمان بالقدر يحمل أفراد المجتمع على التوازن في جميع الحالات والتقلبات التي تمر في حياتهم؛ فإن الناس قد يبتلون بالضراء من المرض ونقص الأنفس، أو الفقر ونقص الأموال، وقد يبتلون بالسراء، كالصحة، والغنى، والرزق الواسع، وهذه التقلبات والتغيرات في إقبال الدنيا وإدبارها تؤثر في نفسيتهم وبالتالي في حياتهم، ولكن إن كانوا مؤمنين دفعهم ذلك للانضباط والتوازن في مواجهة ما يصيبهم من خير أو شر، فلا يحملهم إقبال النعم على كفرها بالبطر، ولا يجزعون و يسخطون عند البلاء والمصائب، بل يقابلون المسرات بالشكر، فيقابلهم ربهم بالزيادة، ويصبرون ويتصبرون عند الضراء إيمانا بما قدره الله عليهم وحفاظاً على الثواب والأجر المترتب على صبرهم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (١٢/٥٣) برقم (٢٩٩٩).





وإذا كان أفراد المجتمع يقابلون كل ما يصيبهم بالشكر والصبر، فإن هذا التوازن سيجعل سائر شؤون حياتهم تستقيم، لانشراح صدورهم بالقضاء والقدر، وتسليمهم زمام أمورهم لربهم وما يقدر لهم، فإيمانهم بالقضاء والقدر يصير حياتهم ثابتة متوازنة، وينالون بذلك حسنة الدنيا والآخرة.

٢. التوكل على الله تعالى وعدم التعلق بالأسباب:

إن المؤمن بالقدر خيره وشره دائم التعلق بربه، لعلمه أنه وإن كان للرزق والموت والحياة أسباب شرعية، فإنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله تعالى، فهو لا يتعلق بهذه الأسباب بل يتعلق بمسببها سبحانه وتعالى، وقد تكون هذه الأسباب أشخاصاً، يكون عن طريقهم جلب نفع أو دفع ضرر، فالمؤمن حينئذ لا يتعلق بهم ولا يتدلل لهم، بل يتكل على الله ربه وربهم، ورازقه ورازقهم، فلا يسأل الناس شيئاً، ولا يسأل إلا الله ربه، وهذا من كمال التوحيد الذين وُعد أصحابه بالجنة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

(من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة؟ فقلت : أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً) (١).

وفي الصحيح عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ، تسعة، أو ثمانية، أو سبعة، فقال ﷺ: (ألا

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٦٤٣)، والطبراني رقم (١٤٣٣)، والحاكم رقم (١٥٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٣٥٢١). وأخرجه أيضاً: أحمد رقم (٢٢٤٢٠)، والطيالسي برقم (١٠٨٧). وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٦٦٠٤) في صحيح الجامع.





تبايعون رسول الله؟ - وكنا حديثي عهد ببينة - فقلنا قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا، وقلنا قد بايعناك يا رسول الله!، فعلام نبايعك؟ فقال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا الله، - وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً، قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه»<sup>(١)</sup>.

وحين يتكل أفراد المجتمع على الله ربهم في سائر شؤون حياتهم، ولا يلتفتون إلى ما في أيدي الناس، فإن ذلك يخلص المجتمع من تبعات الاتكال على بعضهم، فتُحفظ لهم كرامتهم، ويكون في ذلك عزمهم كما قال المصطفى ﷺ عن المؤمن: (واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس)<sup>(٢)</sup>.

كما يضعف بين أفراد المجتمع الاتكال على الآخرين، لعلمهم بتقدير الله - عز وجل - للأرزاق وأسبابها، فالإيمان بالقدر يدعوهم إلى بذل الأسباب المشروعة فيتلاشى عند المؤمن الكسل.

ومن هذا الأسباب العمل والنشاط والسعي في الأرض بما يرضي الله، حيث تستجلب به الأرزاق المقدره.

وقد حث النبي ﷺ المؤمنين على السعي في طلب الوزق والتماس

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة مسألة الناس، (٣٦/١٢) رقم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجه الحاكم رقم (٧٩٢١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠٥٤١)، وأخرجه أيضاً: أبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨٣١)، من حديث: سهل بن سعد رضي الله عنهما.





أسبابه، لما في ذلك من المنافع العظيمة للفرد والمجتمع، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه) (١).

وبذلك يتخلص المجتمع من الأفراد البطالين الذين يشكلون عالة عليه بالعودة عن طلب الرزق، ويحثهم الإيمان على العمل والإنتاج والرقي بمجتمعاتهم باعتمادهم التام على ربهم مع فعل الأسباب المشروعة.

### ٣. السكون والطمأنينة التي يعم نفعها أفراد المجتمع:

إن الإيمان بالقدر خيره وشره يعود بالرضا والسكينة على القلوب، والتي تثمر الإيجابية العامة على أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ ﴾  
التغابن: ١١ .

ففي قوله تعالى: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال علقمة (٢): «هو

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الاستغفار عن المسألة (٢٤/٥٠) برقم (١٤٧٠) واللفظ له. ومسلم في كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس (١٢/٣٥) برقم (١٠٤٢).

(٢) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، أبو شبل النخعي الفقيه، عم الأسود بن يزيد وخال إبراهيم النخعي، قيل أنه ولد في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -، واختلف

في صحبته للنبي ﷺ، وقرأ القرآن على ابن مسعود، وسمع من عمر، وعلي، وأبي الدرداء، وعائشة رضي الله عنهم وطائفة. وكان أشبه الناس بابن مسعود سماً وهدياً وعلماً، وكان أعرج من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. توفي سنة ٦٢ هـ. انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١/٥١-٥٢، وتقريب التهذيب (٢/٣١).



الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: «ومن يؤمن بالله في المصيبة يهد قلبه للاسترجاع والتسليم لأمر الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

فسكون القلب والثبات عند المصائب ووقوع المقدور من ثمرات الإيمان بالقدر، وهي أمر يحتاجه كل فرد من أفراد المجتمع، حيث يستطيع به أن يواجه الأقدار بنفس مطمئنة لمراد الله، فلا يعترض على ما كتب الله له من خير وشر، فيرضى ويسلم لقضاء ربه وقدره.

ثم إن هذا الرضا يعود على حياته وحياة من يعيش معهم بالإيجابية، التي منها أن يحول المحن إلى منح ربانية، كأن يتقرب العباد إلى ربهم بعد طول بعد وغفلة، فتصلح لهم دنياهم وآخرتهم، وينعمون بالسعادة بعد طول شقاء البعد عن الله. ومن ثمرات الرضا بالقدر أن يتأمل ويتعلم الدروس من المواقف، فيعينه ذلك على تجنب أسباب وقوع المكروه فيحذرهما ويتعد عنها في المستقبل، ولذلك أمرنا بالعودة إلى أنفسنا عند وقوع المصائب، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: ٣٠.

قال ابن القيم رحمه الله مبينا عظم أثر السكينة على الفرد ومن ثمّ عامة المجتمع:

«إن الرضا ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها ومتى نزلت عليه السكينة استقام وصلحت أحواله وصلح باله والسخط يبعده منها

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٩/٣٢٩).

(٢) تفسير السمعاني (٥/٤٥٢).



بحسب قلته وكثرته وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة وطيب العيش فمن أعظم نعم الله على عبده : تنزل السكينة عليه ومن أعظم أسبابها : الرضى عنه في جميع الحالات»<sup>(١)</sup>.

كما أن الرضا والطمأنينة تعين المؤمنين على إتقان أعمالهم، والإحسان في التعامل فيما بينهم، لأن الذي يمارس عمله بنفس مطمئنة هادئة، ينتج مخرجات متقنة قوية تعود على جميع أفراد المجتمع بالنفع العام، بخلاف الذي يعمل بنفس مضطربة خائفة من المقدور.

٤. الاتصاف بمكارم الأخلاق:

الإيمان بالقدر يورث مكارم الأخلاق ومنها خلق الصبر على المصائب، لأن الإنسان إذا آمن بالقدر وأيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، عندئذ يصبر على المصائب، ويرضى بذلك، ويطمئن، ويعان على سرعة الإفاقة من المصيبة، وعدم تعطيل مصالحه ومصالح غيره كأسرته وأهله، وكل من يتعامل معهم.

لكن لما ضعف الإيمان عند كثير من الناس تجد أنهم إذا أصابتهم المصائب يصابون بالجزع الذي يسبب لهم الأمراض النفسية، وربما أدى إلى الانتحار التي تزداد ظاهرتة متى ما ضعف الإيمان بالقدر.

ومن آثار الإيمان بالقدر الاتصاف بخلق التواضع، وبذ الخيلاء والكبر على الناس، لأن المؤمن حين يقرأ قول الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الحديد: ٢٢ - ٢٣.

(١) مدراج السالكين (٢/٢٠٧).





ويعلم أنه «ليس المراد نفي الأسي والفرح على الإطلاق بل معناه لا تحزنوا حزناً يخرجكم إلى أن تهلكوا أنفسكم ولا تعتدوا بثواب على فوات ما سلب منكم، ولا تفرحوا فرحاً شديداً يطغيكم حتى تأشروا فيه وتبطروا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) الحديد: ٢٣. فدل بهذا على أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، وأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم»<sup>(١)</sup>.

فحينئذٍ يحمله ذلك على التواضع، وذهاب الأشر والبطر لأنه مؤمن بأن ما أوتي من خير لم يكن لولا توفيق الله وقدره سبحانه، وإن كان قد بذل أسبابه، وأن الله الذي وهبه له، قادر أن ينزعه منه، فحينئذٍ يتواضع لربه، ولا يتكبر على خلقه.

فإذا تواضع المؤمن للناس - لاسيما من أوتي المال أو الجاه أو العلم - انتفع المجتمع بالخير الذي معه، ونال محبتهم وتقديرهم وتوقيرهم، وخير من ذلك أن يرفعه الله تعالى بسبب تواضعه ويزيده شرفاً، فهو نافع منتفع بهذا الخلق الكريم.

ومن الأخلاق الكريمة التي يثمرها الإيمان بالقدر، الكرم والسخاء، لأن ذلك الإيمان يدفع صاحبه إلى إنفاق ما يملك في وجوه الخير في المجتمع، ولذا نجد أن الله تعالى قد ذم البخل وأهله الذين يقبضون أيديهم عن الإنفاق في الآية التي تلي الآية السابقة حيث قال سبحانه:

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤) الحديد: ٢٤.

(١) تفسير الفخر الرازي (١/٤٤٣١).





فالمؤمن يعلم أن الله تعالى غني عن نفقته، وغناه سبحانه يجعل العبد يزيد ثقته بالخلف، كما يعلم أن الرزق بيد الله، وهو يستجلبه بالصدقة والإنفاق، والله تعالى هو الذي يقسم المعيشة بينهم والرزق والأجل.

كما أن المؤمن بالقدر تنبعث في نفسه القناعة والرضا باليسير، لأن إيمانه بأن الله هو الذي قدر الأرزاق يجعله يرضى بما قدر له، فتدفعه القناعة للترفع عن إراقة ماء وجهه عما في أيدي الناس ويلتمس الرزق من ربه، لإيمانه بأن الذي رزقهم سيرزقه، فيكون عزيزاً باستغنائه عن الناس، كريماً على ربه وعلى خلقه لعدم التفاته لديانهم، وهذا عين الكرم.

ومن أهم الأخلاق الفاضلة التي يثمرها الإيمان بالقدر على أفراد المجتمع سلامة الصدور من الحسد، لأن المؤمن بالقدر يعلم بأن الله تعالى هو المُقسِّم، ولا راد لفضله عن أحد، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع سبحانه، فلا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، والحسد منافٍ للإيمان لأنه اعتراض على القدر، كما أن الحسد نبتة خبيثة إذا فشا بين أفراد المجتمع كان نقمة على الحاسد والمحسود، فهو يضر بالحاسد بنقص إيمانه، ويضر بالمحسود بزوال نعمته، ومن هنا كان من آثار الإيمان بالقدر الرضا بما قسمه الله من الرزق والتوجه بطلبه من واهبه سبحانه ومقدره، وعدم الالتفات لما في أيدي الناس من الأرزاق، فيذهب الحسد من نفوس الناس وينعمون بسلامة الصدر لبعضهم، فيزول ما يسبب الأحقاد بين المؤمنين، لأن المؤمن حقاً يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه.



## الفصل الثالث

أثر العقيدة الصحيحة على ترابط المجتمع وأمنه  
وتمكينه



وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أثر عقيدة التوحيد على ترابط المجتمع.
- المبحث الثاني: أثر عقيدة التوحيد على أمن المجتمع.
- المبحث الثالث: أثر عقيدة التوحيد على الاستخلاف والتمكين في الأرض.







## المبحث الأول

### أثر عقيدة التوحيد على ترابط المجتمع



من المعلوم أن دين أي مجتمع والعقيدة التي يعتقد ها أفرادها هي مؤثر رئيس في أفكارهم وتوجهاتهم وجميع شؤون حياتهم، وإذا كانت العقيدة التي يدين بها المجتمع صحيحة كان هذا التأثير في أفرادها إيجابياً نافعاً لهم جميعاً، ولن يكون أنفع لهم من تأثير عقيدة التوحيد، ولا غرو في ذلك فهي العقيدة الصحيحة التي تستمد تشريعها من لدن حكيم خبير سبحانه.

وهناك آثار إيجابية على قوة أواصر الترابط بين أفراد المجتمع، مما لا يستغني عنه مجتمع البتة، حيث إن الترابط بين أفراد المجتمع من أهم المقومات التي تحافظ على نهضة المجتمع وثباته. وقبل بيان هذه الآثار لا بد من تحرير المراد بترابط المجتمع، وبيان أهميته.

معنى ترابط المجتمع:

أصل كلمة (التَرَابُط) الفعل الماضي: (ارتَبَطَ)، وهو بمعنى الفعل (رَبَطَ)<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مختار الصحاح (٢٦٧).





ومعنى (رَبَطَ): الرء والبء والطء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شدِّ وثبات، من ذلك رَبَطت الشيءَ أربطه ربطاً؛ والذي يشدُّ به رباط. (١)  
 و(ترابط) الماء في المكان لم يبرحه ولم يخرج منه، والترابط في علم الفلسفة: قيام علاقة بين مدرَكين لاقترانهما في الذهن بسبب ما (٢).  
 وارتبط، وربط بمعنى الألفة (٣).  
 ومن هذه المعاني اللغوية يمكننا القول بأن معنى ترابط في المجتمع هو:

استقامة العلاقات بين أفراد المجتمع وثباتها بسبب التآلف وتبادل المنافع العامة فيما بينهم.

أهمية الترابط بين أفراد المجتمع وخطورة التفرق:

إن الترابط والتآلف بين أفراد المجتمع مطلب من مطالب التشريع الحكيم، ولقد جاء الحث عليه في نصوص الشريعة، كما جاء النهي عن التفرق والاختلاف لأن التنازع له أثر سلبي خطير في تمزيق الأمة الإسلامية وإضعافها .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾  
 آل عمران: ١٠٣ .

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٧٨).

(٢) المعجم الوسيط (١/٣٢٣).

(٣) انظر: العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٠/٢).



وقد فُسر قول الله تعالى (حبل الله) بالجماعة<sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن الترابط والتآلف ولزوم جماعة المسلمين وسيلة من وسائل الثبات على عقيدة التوحيد، وفي ذلك خير عظيم لجميع أفراد المجتمع ولعمامة المسلمين قاطبة .

وفي هذه الآية الكريمة يتبين الأثر السلبي على أفراد المجتمع في الفرقة، حيث إن الله تعالى

«أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا بآثارهم قوة ونماء»<sup>(٢)</sup>.

ومما بين أهمية الترابط على أفراد المجتمع أن: «كون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام»<sup>(٣)</sup>.

وقد ذم الله تعالى التفرق، وحذر المؤمنين منه وحثهم في هذه الآية الكريمة على الاعتصام بدين الله، وشبه التمسك بالجماعة بالتمسك بحبل للنجاة.

(١) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٦٢/٣)، وتفسير القرطبي (١٥٩/٤)، وتفسير الخازن (٣٩١/١)، الجواهر الحسان للثعالبي (٢٩٥/١).

(٢) التحرير والتنوير (٣١/٤).

(٣) تفسير السعدي (١٤١).





«والْحَبْلُ : ما يُشَدُّ به للارتقاء، أو التدلِّي، أو للنَّجاة من غَرَق، أو نحوه، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفافهم على دين الله ووصاياه وعهوده، بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقى إليهم من مُنقذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التَّمثيل» (١).

آثار عقيدة التوحيد على ترابط المجتمع:

لما كان الاجتماع والترابط في المجتمع بهذه الأهمية، وكانت العقيدة هي السبب الرئيس لترابط المجتمع، فإن من آثار عقيدة التوحيد على ترابط المجتمع ما يلي:

١. الحفاظ على أخوة العقيدة يفضُّ التنازع والافتراق:

إن إخوة العقيدة بين المؤمنين من أهم ما يترك الآثار العميقة في الروابط الاجتماعية، بل إنها أحياناً تكون أقوى من أخوة النسب، وذلك متى ما قويت العقيدة عند أفراد المجتمع،

وقد حث الله تعالى عباده المؤمنين على الحفاظ عليها بتجنب ما

يشير التنازع والتفرق،

فقال عز من قائل: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ بَارِعُونَ﴾

﴿٤٦﴾ الأنفال: ٤٦.

وقد بين سبحانه أن ضعف الإيمان وسببه التقصير في طاعة الله

ورسوله ﷺ يؤدي للتنازع، ثم بين أثره عليهم، وأنه سبب لضعفهم،

وقد «نهى الله جل وعلا المؤمنين عن التنازع، مبيناً أنه سبب الفشل،

وذهاب القوة، وقوله: (ريحكم) أي: قوتكم» (٢).

(١) التحرير والتنوير (٤/٣١).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي. (٩/٩٥).





وأمر سبحانه بإنهاء النزاع مباشرة، و ذلك بالإصلاح بين المؤمنين وإخوان العقيدة عند التنازع والافتتال كي ينتهي الخلاف بسرعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ٩ - ١٠ .

كل ذلك كي يتم القضاء على أسباب الافتراق ودواعيه، قبل أن تسري في قلوب أفراد المجتمع الضغينة والإحن والأحقاد التي توغر الصدور وتذهب الألفة والمحبة بينهم، حيث إن تفرق القلوب يوجب تفرق الأبدان ولا بد، ومن ثم يتفكك المجتمع وتقطع علاقاتهم الاجتماعية وتذهب هيبتهم وقوتهم، وبالتالي سعادتهم، حيث إن الخلاف شر لا خير فيه.

٢. عدم سخرية إخوان العقيدة من بعضهم:

من آثار العقيدة على ترابط المجتمع عدم سخرية إخوان العقيدة من بعضهم، ووصية الله تعالى بذلك للذين آمنوا دليل على أن إيمانهم هو الذي يحملهم على احترام بعضهم وعدم احتقارهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّسَانِ يَتَّبِعِ الْإِيمَانَ وَمَن لَّمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١ .





ومعنى السخرية : «الاستهانة، والتحقير، والتنبيه على العيوب، والنقائص، على وجه يُضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء»<sup>(١)</sup>.

إن هذا الأدب الرباني قد دل الله تعالى عباده عليه، وهو يناديهم ببناء الإيمان ليذكركم بأن أخوة الإيمان ووحدة العقيدة تمنعهم من السخرية ببعضهم، وليذكركم بأن الله تعالى يعلم من خفايا النفوس ما لا يعلمونه عنها، و«قد يكون ذلك المستهزأ به خيرا من الساخر هذه الذي سخر منه»<sup>(٢)</sup> عند الله تعالى، ولأن السخرية بالغير دليل على وجود التعالي والترفع في نفس الساخر، فإذا علم أن من يحتقره هو خير منه عند الله فإن ذلك يكسر شوكة شعوره بالترفع على أخيه، ويستبدله بالتواضع لإخوانه في الدين، وحفظ كرامتهم.

ويذكركم الله تعالى بوحدة العقيدة، وأثرها عليهم حين يجعلهم كنفس واحدة فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث إن من يعيب أخاه المؤمن فهو يعيب نفسه، «فإذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه، وقيل: لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه»<sup>(٣)</sup>، وأما التناوب بالألقاب فهو مما يثير البغض في النفوس، وينبت الكراهية في القلوب وذلك مما يضعف الترابط بين المؤمنين.

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١/٥٣١).

(٢) تفسير الثعالبي (٤/١٨٨).

(٣) تفسير الخازن (٦/٢٢٧).





وقيل: «التنازب بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها، فنهي أن يُعير بما سلف من عمله، وكان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك. وقيل: هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذماً له»<sup>(١)</sup>.

ومتى ما حافظ أهل عقيدة التوحيد على ذلك الخلق العظيم الذي يمليه عليهم إيمانهم بربهم، فقد سلموا من أسباب الفسوق حيث إن اجتنابهم لهذه الصفات الذميمة دليل على إيمانهم، ووقوعهم فيها سبب للفسوق ولذا قال سبحانه بعدها: ﴿يَسْأَلُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ الحجرات: ١١.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: «فاستفدنا من هذه الآية الكريمة تحريم السخرية، وتحريم لمز الغير، وتحريم التنازب بالألقاب، وأن من صنع ذلك فهو فاسق بعد أن كان مؤمناً»<sup>(٢)</sup>.

ولعظم أثر هذه الصفات الذميمة في تفكك روابط المجتمع فقد نهى الله تعالى عنها، ووصف من لم يتب منها بالظلم، فهو ظالم لنفسه وغيره، وكل ذلك التنفير للحفاظ على الروابط الاجتماعية، التي كلما قويت بين أفراد المجتمع زادت الألفة فيما بينهم وكانوا أكثر تراحمًا، وتآزرًا.

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير العثيمين (٧/٢١).





### ٣. سلامة صدور المؤمنين:

إن عقيدة التوحيد، تترك أثراً طيباً في صفاء قلوب المؤمنين لبعضهم، حيث إن المؤمن حقاً لا بد أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بل قد يُؤثره على نفسه، لأن تلك المشاعر لإخوته في العقيدة مما يحبه الله ويرضاه، ورضا الله تعالى عند الموحد مقدم على ما تحبه النفس وتهواه، ولذا كان من آثار عقيدة التوحيد سلامة الصدر للمؤمنين التي تزيد ترابط أفراد المجتمع، وهي صفة من صفات إخوة العقيدة. وهناك خصال إيمانية تؤدي إلى سلامة الصدر، منها اجتناب سوء الظن، والتجسس، والغيبة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات: ١٢. وهذه الصفات الذميمة يجبر بعضها بعضاً، فإن سوء الظن يؤدي للتجسس، والتجسس، يؤدي للغيبة، وكل ذلك يوغر صدور المؤمنين على بعضهم، ولا يُذهب ذلك كله إلا قطع الطريق منذ البداية بسلامة الصدر للمؤمنين وإحسان الظن بهم، وبالتالي اجتناب الغيبة التي كان التفسير منها في هذه الآية الكريمة وتشبيهها بأكل لحم الميت يدل على قبحها وعظم أثرها على الروابط الاجتماعية.

وقد حذر النبي ﷺ من أذية المسلمين بالتجسس عليهم وتبع عوراتهم، مما يوغر صدور بعضهم على بعض، وعد ذلك منافياً لكمال الإيمان، فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: قال النبي ﷺ (يا



معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته<sup>(١)</sup>

وقد وصف النبي ﷺ من تجسس على المؤمنين بنقص الإيمان، وجعل له في الدنيا عقوبة مماثلة لفعله وهي أن يظهر الله مساوئه للناس ولو كان يفعلها في جوف بيته لا يراه الناس، لأن الجزاء من جنس العمل، كل ذلك تحذيرا من صنيعه المشين الذي يسبب الفرقة بين المسلمين، ولو كان مؤمنا حقا لمنعه إيمانه من ذلك.

٤. المواساة:

من المعلوم أن سيرة النبي ﷺ مع صحابته رضوان الله عليهم، وسيرتهم مع بعضهم، حافلة بالمواقف المتعددة في مواساة بعضهم لبعض حتى كانوا يؤثرون إخوانهم المؤمنين على أنفسهم، وقد كان النبي ﷺ قدوة لهم في ذلك، فقد كان يواسي بالقليل والكثير، ويحثهم على ذلك دائما وأبداً، مما جعل الصحابة رضي الله عنهم يفهمون أن ذلك من مقتضيات الإيمان، ومن آثار أخوة العقيدة بينهم، فقد كان أقواهم إيمانا أكثرهم مواساة لإخوانه بماله، ونفسه، وجاهه وبكل ما

(١) أخرجه أحمد برقم (١٩٧٩١)، وأبو داود برقم (٤٨٨٠)، والبيهقي برقم (٢٠٩٥٣). وأخرجه أيضاً: ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٦٨)، وأبو يعلى برقم (٧٤٢٣). وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر بلفظ (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم) الحديث. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (حسن صحيح) (٢/٢٩٢) برقم (٢٣٣٩).





يملك، وبالمقابل كان المنافقون آنذاك أقبض الناس يداً، وأحدهم السنة، وأجفاهم تعاملًا مع المؤمنين.

وقد أكد الإمام ابن القيم الرابطة الوثيقة بين المواساة والإيمان، وأنها لا تنفك عنه البتة، فقال رحمه الله عند بيانه أنواع المواساة: «المواساة للمؤمن أنواع: مواساة بالمال، ومواساة الجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجه لهم، على قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة وكلما قوي قويت وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلا يتبعه من المواساة بحسب اتباعهم له»<sup>(١)</sup>

وقد كان نبينا ﷺ يُرغب المؤمنين في مواساة بعضهم بذكر الثواب المعجل لذلك:

فعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال الله في حاجة العبد ما دام في حاجة أخيه)<sup>(٢)</sup>.

ويدلنا ﷺ على طرق وأنواع المواساة، التي منها المواساة بالمال: كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينا

(١) الفوائد لابن القيم ص (١٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٨ / ٥)، وذكره الدمي في المتجر الرابع (٥٣٧) وقال: رواه الطبراني بإسناد جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (٨ / ١٩٣). واللفظ فيه.



وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له) قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل<sup>(١)</sup>.

ومن المواساة مشاركة المؤمنين لبعضهم عند أحزانهم ولذلك شرع العزاء، وصنع الطعام لأهل المتوفى لتخفيف عنهم شيئاً مما يجدون، فلما جاء نعي جعفر - حين قُتل - قال النبي ﷺ: (اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم)<sup>(٢)</sup>.

فالمواساة المعنوية، ومراعاة النفسية التي يمر بها أهل المصيبة، وتطبيب قلوبهم بالكلمة اللطيفة، كل ذلك مما يخفف من حزن المؤمنين، التي قد يحتاجها المؤمن أكثر من حاجته للمال .

حيث إن حاجات المؤمنين تختلف بحسب ما يمرون به من أحداث، فقد يحتاج بعضهم إلى المال، وقد يحتاج الآخرون إلى كلمة طيبة، ومنهم من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، و منهم من يحب مشاركة إخوانه له في الأفراح والأتراح، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في أن يكون المسلم في حاجة أخيه.

إن كل ما سبق ذكره من أنواع المواساة مما يعود بالنفع العام لجميع أفراد المجتمع، وأهم نفع هو قوة الترابط بين المؤمنين،

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال، (٤/٣١) برقم (١٧٢٨).

(٢) رواه أحمد (٢٠٥)، وأبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨)، وابن ماجه (١٦١٠)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الألباني (٢/٦٠٦): حسن.





وشعورهم بأخوة الدين، كما أن كل من المواسين، والمواسين، منتفع بالمواساة، فالأولون بأن يكون الله تعالى في حاجتهم، مع ما يدخره الله لهم، والآخرون بانتفاعهم بما يصلهم من نفع المواساة، والجميع -أفرادا وجماعات- ستغمرهم السعادة البالغة بنعيم الترابط الأخوي، الذي هو ثمرة من ثمرات إيمانهم وتوحيدهم لربهم وابتغائهم مرضاته.

٥.صلة الرحم:

إن تعظيم قدر الرحم في قلوب أهل الإيمان والتوحيد، والتحذير من القطيعة لكونها إحدى المعاصي التي توعد الله تعالى عليه بالوعيد الشديد في الآخرة، دليل على أثرها العظيم في تفتيت روابط المجتمع حيث إن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وقطيعة الرحم سبب في تقطيع روابط المجتمع أجمع، ولذا جاءت نصوص الكتاب والسنة، بذكر ما اختص الله تعالى صلة الرحم بوصف عظيم يجعل المؤمن بربه يعظم صلة الرحم ويختصها بالعناية على قدر إيمانه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ<sup>(١)</sup> مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ<sup>(٢)</sup>).

(١) «شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ» بضم الشين وكسرهما، ومنه قولهم: شَجَرٌ مَشْجَنٌ : إذا التفت بعضه ببعض، ويقال: الحديث ذو شجون يراد تمسك بعضه ببعض، فقوله: «شُجْنَةٌ» أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق. ينظر شرح السنة للإمام البغوي (٢٣/١٣).  
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، (١٣/٧٨)، برقم (٥٩٨٨).





ومن ذلك قوله تعالى محذراً من القطيعة: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (٢٣) محمد: ٢٢ - ٢٣ .

ولعظم قدر صلة الرحم وأثرها البالغ على ترابط المجتمع، فقد رتب الشارع الحكيم على قطيعتها أن يقطعه الله في الدنيا - عيادا بالله - مع الجزاء الذي ينتظر قاطع الرحم في الآخرة: ففي الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(لا يدخل الجنة قاطع رحم) <sup>(١)</sup>. والمراد «لا يدخل الجنة التي أعدت لوصال الأرحام أو لا يدخلها مع اتصافه بذلك بل يُصفى من خبث القطيعة إما بالتعذيب أو بالعفو» <sup>(٢)</sup>.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من ذنب أجدر من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي، وقطيعة الرحم) <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب إثم القاطع، (١١/٧٨) برقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٦/٤٥) برقم (٢٥٥٦) واللفظ له.

(٢) فيض القدير للمناوي (٦/٤٨٠).

(٣) أخرجه عن أبي بكر: أحمد برقم (٢٠٣٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٩)، وأبو داود برقم (٤٩٠٢)، والترمذي برقم (٢٥١١) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه برقم (٤٢١١)، وابن حبان برقم (٤٥٥)، والحاكم برقم (٣٣٥٩) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضاً: الطيالسي برقم (٨٨٠)، وهناد برقم (١٣٩٨)، والخرائطي في مساوي الأخلاق برقم (٢٧٧، ٢٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٦٧٠).





ومن عرف حقيقة صلة الرحم، وأنها ليست للمكافأة فحسب، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)<sup>(١)</sup>.

علم أن من أهدافها السامية توثيق الترابط في المجتمع، بصلة وثائق القربى بين الأسرة في المجتمع، حيث إن المؤمن حينما يكون هدفه وجه الله تعالى في صلة رحمه، فإنه لا شك لا يسعى لمكافأة من يصله فحسب بل يتعمد من قطعه بالصلة والبر، ويوصل نفعه له بما يستطيع متجرداً من حظوظ نفسه، لأن عقيدته وإيمانه تدفعه لتعظيم ما عظمه ربه سبحانه، وتقديمه على هوى نفسه.

ثم إن ذلك يعود على أفراد المجتمع بمنافع أخرى تضاف إلى قوة ترابطهم، وانتشار المحبة والألفة، كالبسطة في الرزق، وطول العمر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ<sup>(٢)</sup> له في أثره فليصل رحمه)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لَيْسَ الْوَأَصِلُ بِالْمُكَافِئِ (١٥/٧٨) برقم (٥٩٩١).

(٢) ينسأ: مهموز أي يؤخر، والأثر: الاجل لأنه تابع للحياة في أثرها، وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه. شرح النووي على مسلم (١١٤/١٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم، (١٢/٧٨) برقم (٥٩٨٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم برقم (٥/٤٥)، برقم (٢٥٥٧).



## ٦. العدل :

إذا كان الشرك بالله تعالى هو أعظم الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْبَرَ الظُّلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى﴾، فإن أعظم العدل هو توحيد الله تعالى بالعبادة، لأن حق الله تعالى بعبادته وحده هو أعظم الحقوق، ولذا كان من آثار عقيدة التوحيد على المجتمع الاتصاف بصفة العدل بحسب إيمان أفرادهم، فكلما كانوا أقوى توحيداً كانوا أكثر عدلاً.

والعدل نوعان: عدل مع الخالق، وعدل مع المخلوق، ومن العدل إعطاء كل ذي حق حقه، ومراعاة الحقوق، ويقابله الظلم، كالاستئثار بحقوق الآخرين دون وجه حق، وهو قبيح وظلم يتنزه عنه كل مؤمن موحد.

وكلما كان العبد أقوى إيماناً كان أكثر تجنباً للظلم، لأمر الله تعالى بالعدل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: «التوحيد والعدل هما جُماع صفات الكمال»<sup>(١)</sup>.

ومن مجالات العدل التي يتصف بها المؤمنون، العدل بين الأولاد في العطايا، ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «تصدق علي أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة<sup>(٢)</sup>: لا

(١) التفسير القيم: ص (١٧٩)، والجُماع - بضم الجيم وتشديد الميم - (وجُماع) كل شيء: مُجَمَّعٌ أَصْلُهُ وكل ما تَجَمَّعَ وانضمَّ بعضه إلى بعض. انظر القاموس المحيط. ص (٩١٧).

(٢) هي عمرة بنت رواحة الأنصارية، لها صحبة مع النبي ﷺ، أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ





أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم). فرجع أبي فرد تلك الصدقة. (١).

وفي امتناع النبي ﷺ عن هذه الشهادة ما يدل على تعظيم شأن العدل بين الأولاد في الدين، وأثر العدل بين أفراد المجتمع، ولأن الجور مما يضعف الترابط والصلة بينهم، فهو الذي يوغر صدورهم على بعضهم حين تنتهك حقوقهم أو يتعدى عليها.

ومن العدل الذي يوثق الترابط بين أفراد المجتمع، العدل في إيقاع الجزاء بكل من ينتهك حدًا من حدود الله، فلا يُعفى أحد من العقوبة لشرفه، أو قرابته من الحاكم، فتلك التي أهلك الأمم السابقة، أما في هذا الدين فلا أدل على المساواة الكاملة في هذه الناحية من حديث عائشة - رضي الله عنها -:

«أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ، في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فأتى بها رسول الله

وأمُّ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ، امرأة بَشِيرِ بنِ سَعْدِ والِدِ النُّعْمَانِ، وهي التي سألت بَشِيرًا أن يخص ابنها منه بعتية، دون إخوته، فرد النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، كما في الصحيحين. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١/١٣٨٨، الإصابة لابن حجر ٨/٣١ ولم يذكر المترجمان تاريخ وفاتها.

(١) أخرجه مسلم واللفظ له، في كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (٣/٢٤) برقم (١٦٢٣) وفي رواية البخاري: (لا تشهدني على جور) أخرجها البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، (٩/٥٢) برقم (٢٦٥٠).





ﷺ فكلّمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: (أتشفع في حد من حدود الله؟! ) فقال له أسامة استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ، فاخطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.)، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها<sup>(١)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن من أسباب هلاك بعض الأمم السابقة، المحاباة في الحدود، وهو من الظلم الذي يتنزه عنه الشارع الحكيم، فإن العدل في إقامة الحدود على جميع فئات المجتمع من أسباب ترابط جميع أفراد، وفيه تحقيق للمصلحة العامة للجميع، وقد كان ذلك أثراً من آثار عقيدة التوحيد، لأن الإمام الموحد لربه لا يمكن أن يقبل شفاعته، أو يقدم هوى أحد من الناس على حق الله تعالى في إقامة الحدود.

ومن الأدلة الصريحة على أن العدل في إقامة الحدود في المجتمع على المجرمين من آثار الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَايَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

النور: ٢.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب (٥٤/٦٤) برقم (٤٣٠٤)، ومسلم في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصاها (١/٢٩) برقم (١٦٨٨) واللفظ له.





وقد نهى الله تعالى عن الرأفة أو التغاضي عن إقامة الحدود، لا سيما إذا وصلت إمام المسلمين، «ومن الرأفة الشفاعة لهم»<sup>(١)</sup>.  
 وقوله تعالى: ( إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) أي: «إن كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة، وللثواب والعقاب، فإن من كان بذلك مصدقا، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه؛ خوف عقابه على معاصيه»<sup>(٢)</sup>.

فإن الإيمان بالله واليوم الآخر مع قوة هذا الإيمان مانع صاحبه من الظلم، ومنه المحاباة في حق من حقوق الله تعالى، وذلك سبب في ترابط المجتمع، حين يشعر أفراد بالعدل بين جميع فئاته، الشريف فيهم والوضيع، وحين يعلمون أن حقوقهم لن تضيع، كما سيُقصر أهل البغي والعدوان عن انتهاك حرمت الناس، لعلمهم أنهم لن يفلتوا من عدالة الإمام الموحد، الذي لن يقبل شفاعة أحد في إقامة الحدود الشرعية.



(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (٢١١٩).

(٢) تفسير الطبري (٩٢/١٩).





## المبحث الثاني

### أثر عقيدة التوحيد على أمن المجتمع



يعد الأمن في المجتمع نعمة من أعظم النعم التي يمن الله بها على من يشاء من عباده، بيد أن الأمن لا يمكن أن يتحقق إلا بتحقيق عقيدة التوحيد لله تبارك وتعالى، ولهذا قال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) الأنعام: ٨٢.

والآية الكريمة تدل على أن الأمن إنما يكون لمن لم يلبس إيمانه بظلم، والظلم هنا هو الشرك كما فسره النبي ﷺ، لما نزلت الآية السابقة، حين شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: «أينا لم يظلم نفسه؟!»، فقال رسول الله ﷺ: (ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) لقمان: ١٣).

فمن تبرأ من الشرك، وأخلص توحيدة لله تعالى فله الأمن التام في الدنيا وفي الآخرة.

(١) متفق عليه من حديث علقمة عن عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ماجاء في المتأولين (٩/٨٨) برقم (٦٩٣٧) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (٥٦/١) برقم (١٢٤).



فالموحد يعيش على الطريق المستقيم لأنه من أهل الهداية، وهو أحق بالأمن؛ لأن من لا يخاف إلا الله تبارك وتعالى فإنه آمن من كل شيء.  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ الأنعام: ٨١

وهذا الأمن الذي ينعم به الموحدون هو من ثمرات إخلاص العبودية لله تبارك وتعالى، وإن كان الأمن أنواع ودرجات إلا أن أعلى درجاته، وجميع أنواعه لن يتحقق إلا بالتوحيد بدليل الآيات السابقة.  
 المراد بالأمن:

(الأمنُ) في اللغة: ضدُّ الخوف ونقيضه، والأصل أن يستعمل في سُكُونِ الْقَلْبِ<sup>(١)</sup>.

والأمنُ يعني: الطمأنينة والاستقرار وعدم الخوف، ويعني الصدق وعدم الخيانة، لأن «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الأمن في الاصطلاح قريب من المعنى اللغوي، فقد عُرف بأنه:

عدم توقع مكروه في الزمان الآتي<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢١/١٣)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/١٥١٨)، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص (٩٠).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٣٣).

(٣) التعريفات للجرجاني ص (٥٥)، وانظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص (٩٠).





أهمية الأمن في المجتمع:

للأمن أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع والأمة، فهو المرتكز والأساس لكل عوامل البناء والتنمية، وتحقيق النهضة الشاملة في جميع المجالات، ولهذا ذكر الله تعالى امتنانه على عباده بالأمن إلى جانب الغذاء لأهميته في حياتهم، فقال سبحانه ممتنا على أهل مكة:

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (٤) قريش: ٤ .

ووجههم قبل ذلك إلى كيفية المحافظة على هذه النعمة، فقال جل

من قائل:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣) قريش: ٣ .

وذلك بإخلاص العبادة لرب هذا البيت سبحانه.

وقد ورد ذكر الأمن في كتاب الله مقدماً على سائر الأرزاق ومن

ذلك الغذاء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ

اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢)

النحل: ١١٢ .

ولأن الطمأنينة ثمرة من ثمرات الأمن، فقد «قدم الأمن على

الطمأنينة؛ إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه»<sup>(١)</sup>. وقد أشار النبي ﷺ إلى

أهمية الأمن في المجتمع، فقال ﷺ: (من أصبح منكم آمناً في سربه،

معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠٥/١٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه رقم (٢٣٤٦) وقال: حسن غريب، وأخرجه البخاري في

الأدب المفرد، رقم (٣٠٠)، وابن ماجه رقم (٤١٤١)، وأخرجه أيضاً: القضاعي





وهذا الحديث يوضح أهمية نعمة الأمن، وأن من أنعم الله عليه بها مع معافاة الحسد وقوت اليوم، فكأنما جمعت له الدنيا كلها لأنه لو فقدها فقد حُرِمَ نعماً عظيمة لن يهنأ بعيشه دونها.

**العلاقة بين الأمن والإيمان:**

هناك ارتباط وثيق بين الأمن والإيمان في المعنى والمبنى، والعلاقة بينهما تتضح من نفس مبنى الكلمة في اللغة، فإن الإيمان تتركب حروفه الأصلية من نفس الكلمة التي تتركب منها حروف الأمن، وهي الهمزة والميم والنون (أَمِنَ)، وهذه المادة يشتق منها الإيمان، وتدل عليه كما تدل على الأمن، والأمن والإيمان متقاربان في المعنى ولا بد، لتقارب الاشتقاق في اللفظ، فهي متقاربة في المعنى وفي الدلالة، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم)<sup>(١)</sup>.

والعلاقة بين تحقيق الأمن والإيمان من جميع جوانبها جاءت في كتاب الله تبارك وتعالى، وأوضحها في حال الأمم السابقة، وفي حالنا نحن لنعتبر، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦) الأعراف: ٩٦.

رقم (٥٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠٣٦٢) عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه. وقال الألباني في الجامع الصحيح رقم (٦٠٤٢): (حديث حسن)، والمقصود بـ(سربه) -بكسر السين وقيل بفتحها- نفسه وقيل: طريقه. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٩٠٣)، و(حيزت) بكسر المهملة، أي ضمت وجمعت. انظر: فيض القدير للمناوي (٦/٨٨).

(١) سبق تخريجه في الفصل الأول من هذا الباب.



وآيات كثيرة تبين أنه لا أمن ولا رخاء ولا سعادة ولا طمأنينة إلا بالإيمان بالله تبارك وتعالى، وأن كل من يبحث عن الأمن في نفسه، أو مجتمعه، أو أمته فإنه لن يجده إلا في الإيمان بالله.

فالعلاقة بين الأمن والإيمان، ومن جانب آخر بين الذنوب والمعاصي، وبين الجريمة والمعيشة الضنك، علاقة واضحة جلية في كتاب الله تبارك وتعالى وفي سنة رسول الله ﷺ.

آثار عقيدة التوحيد على أمن المجتمع :

إن للأمن الذي لا غنى لأفراد المجتمع عنه أبدا أنواع، وبحسب كل نوع تختلف أهميته وأثره وحاجة المجتمع له، وسأبين آثار عقيدة التوحيد بحسب أنواع الأمن في المجتمع، بمعنى أنني سأقسم الآثار بحسب أنواع الأمن.

أولاً: الأمن النفسي:

إن المرء يعلم أهمية نفسه التي بين جنبيه، وقلبه الذي إن كان آمناً مستقراً كان سبباً لاستقراره وإن كان مضطرباً قلقاً كان ذلك سبباً لحرمانه من الراحة .

ولا يمكن أن يتحقق الأمن النفسي لكل فرد من أفراد المجتمع إلا بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، حيث إن الذي يتحكم بالقلوب هو خالقها سبحانه، والقلوب جند من جنود الله تعالى، ولا يمكن أن تقرر وتطمئن إلا بتجريد التوحيد لخالقها سبحانه.

ويزيد هذه الأمن النفسي وينقص بزيادة القرب لله تعالى أو نقصه حسب عبادة العبد لربه بما شرع من العبادات الظاهرة والباطنة.



ومن هذه العبادات شعيرة الصلاة، لأنها صلة بين العبد وربّه الذي لا غنى له عنه طرفة عين، وهي التي تكسب العبد ثباتاً وأمناً واستقراراً، قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿١٩﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المearج: ١٩ - ٢٣ .

ومن تلك العبادات ذكر الله تعالى على كل حال فهو الذي يجلب الطمأنينة للقلب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الرعد: ٢٨ .

وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة<sup>(١)</sup>.  
وقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه الأذكار التي تدل على تجريد التوحيد لله تعالى، و"كان إذا راعه شيء قال: (هو الله ربي لا أشرك به شيئاً)<sup>(٢)</sup>".

(١) (حزبه) بحاء مهملة وزاي فموحدة مفتوحة أي هجم عليه أو غلبه أو نزل به هم أو غم. انظر: فيض القدير (١٥٣/٥)، أخرجه أحمد برقم (٣٨٨) وأبو داود برقم (١٣٢١) والبيهقي في الشعب برقم (٢٩١٣) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ (كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى). وقال الألباني: حديث حسن. صحيح أبي داود (٦٥/٥) برقم (١١٩٢).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١٠٢ / ٥ :  
أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٧) و عنه ابن السني في «عمل ليوم و الليلة» رقم (٣٣٠) و أبو نعيم (٥ / ٢١٩) عن سهل بن هاشم حدثنا الثوري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن ثوبان رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ... إلى آخره . و قال أبو نعيم : « لم يروه عن الثوري إلا سهل بن هاشم . قلت : و هو ثقة ، و من فوفه ثقات من رجال الشيخين ، فالسند صحيح .



ومن ذلك دعوة ذي النون يونس عليه السلام وهو في الكرب العظيم في بطن الحوت حيث كانت توسلاً لله تعالى بتحقيق التوحيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

ومن العبادات القلبية التي تجعل العبد يتعلق بربه ومنه يستمد الأمن النفسي، صدق المحبة والخوف والرجاء لله تعالى، وكذلك الإنابة والتوبة لرب العالمين بالتخلص من الذنوب التي تسبب الاضطراب والقلق النفسي الذي يجعل العبد حيراناً مضطرباً لبعده عن ربه، لأن كل ذنب يذنبه العبد يبعده عن ربه، ويحجبه عنه فيسبب له وحشة، وخوفاً، وإذا تخلص منه بالتوبة والإنابة عادت له الطمأنينة، والأمن النفسي بقدر ما يتطهر منها.

إن الأمن النفسي أساس كل أمن، ولا ينفع معه أمن آخر، وهو الذي إذا عم أفراد المجتمع، تحققت لهم مصالح دينهم ودنياهم، وكانت حياتهم هائلة ساكنة ولو فقدوه نقصت عنه النعم الأخرى، وضعف هناؤهم بها بقدر نقصه، وبقدر ضعف إيمانهم، فلا يمكن أن يتحقق الأمن النفسي إلا بتحقيق التوحيد لله تعالى.  
ثانياً: الأمن الفكري:

إن رقي المجتمع يقاس بمدى الحصانة العامة التي يتمتع بها أفرادها لاسيما لأفكارهم وبالتالي عقولهم وقلوبهم، وهذه الحماية تكون بالتحصين من الشبهات التي تؤدي إلى مجانبة الصواب





والوسطية في الاعتقاد، والحذر من الزلل، والوقوع في التطرف بنوعيه الإفراط والتفريط، فالخلل في الأمن الفكري طريقٌ إلى الخلل في الجانب السلوكي والاجتماعي.

إن أفراد المجتمع إذا حصَّنوا عقولهم وقلوبهم بتحقيق التوحيد المستلزم الاعتصام بالكتاب والسنة، الكفيلين - بإذن الله - بحماية الفرد والمجتمع في أمنه وفكره، فسيسلمون من اتباع مكر الشيطان بأفكارهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾ النساء: ٨٣.

حيث إنه لن يكون أعلم بهذين المصدرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم، ثم أهل العلم الراسخين؛ فهم أعلم الناس بما يصلح المجتمع، خاصة في أوقات الفتن وكثرة الشبهات، فالرجوع إليهم وعدم مخالفتهم حصن حصين بإذن الله في كل وقت وحين، لتلقي الدين بالإتباع لا الابتداع، فإن البعد عن منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد يجعل العقول معرضة للتلوث بأفكار فاسدة دخيلة، قد تتحول مع الزمن إلى معتقدات وقناعات مسلمة لأفراد المجتمع، ثم تؤثر في أفعالهم وتصرفاتهم، لأن تلك الأفكار هي الموجه والمحرك لأصحابها، وبعد ذلك يعظم المصائب بنتاج ذلك الاختلال الفكري التي ظهرت آثاره على بعض المجتمعات في أمرين كل منهما أشد خطورة من الثاني.



أحدهما : التجرؤ على الثوابت العقدية بالإلحاد والزندقة، ومن أخطرها الإلحاد في الذات الإلهية أو في أسمائه وصفاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والثاني : استباحة المحرمات، كقتل النفس المعصومة، بسبب الشبهات التي تأثر بها من ضعف توحيده لربه، وناله الانحراف الفكري بسبب بعده عن معتقد أهل السنة في لزوم الجماعة، الذي به يصلح حال الأمة عامة، وأفراد كل مجتمع خاصة.

ثالثاً: الأمن الاجتماعي:

وأقصد به الأمن الذي يحتاجه كل فرد في علاقاته الاجتماعية مع أفراد مجتمعه، والفرد في المجتمع لا بد أن يكون عضواً في أسرة، وله جار، وله أصحاب في الغالب.

وهو يحتاج إلى الأمن في علاقاته الاجتماعية معهم كما يحتاجون هم لذلك، بل لا غنى لهم عنه، كي تطيب حياتهم بالعيش في مجتمع آمن.

وقد كان لتحقيق عقيدة التوحيد آثار بالغة في تحقيق هذا الأمن بأنواعه الثلاثة: الأمن الأسري، والأمن في الجوار، والأمن بين سائر الناس، لأن هذه العلاقات الثلاث هي المكون الأساس للعلاقات الاجتماعية.

١. الأمن الأسري:

لا شك أن الأسرة الآمنة هي نواة أمن المجتمع جميعاً، ولن يتحقق الأمن الأسري إلا بتحقيق العقيدة لجميع أفراد الأسرة، ويبدأ ذلك





منذ تأسيسها، وذلك باختيار المرأة الصالحة الموحدة التي قال الله تعالى عنها، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ النساء: ٣٤

فإن الأسرة إذا كان أساسها زوجة صالحة، قد حققت التوحيد بحفظها للغيب، فهي من باب أولى ستحفظ مادون ذلك من العلانية، وسيدفعها إيمانها ولا بد لحفظ ما ستسأل عنه حين تلقى ربه، وكذلك الزوج الصالح فإن خوفه من ربه ورجاءه لثوابه، سيدفعه لحفظ رعيته التي سيسأل عنها.

كما أن صلاح الوالدين هو أساس أمان الأسرة لأن الوالدين إذا حققا التوحيد، فلا بد أن يحرصا على بناء العقيدة الصحيحة في قلوب أفراد الأسرة حين ينشئونهم على مراقبته سبحانه، بتقوية جوانب العبادات القلبية من الخوف والرجاء والمحبة، حتى يصلون إلى مرتبة الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك)<sup>(١)</sup>، فيأمنون عليهم من الانحراف ويطمئنون.

كما يشمل الأمن الأسري الأمن بين الزوجين، ومن ذلك المحافظة على حقوقهما، فالزوج مثلاً يأمن زوجته من الخيانة حين يخرج من بيته آمناً على عرضه.

وجميع ما سبق من الأمن النفسي فسببه العبادات القلبية الباطنة، كالخوف والرجاء، والخشية والإنابة التي ترسخها العبادات الظاهرة كالصلاة والصيام والذكر وغيرها، فهي كذلك دافع لإذكاء المراقبة

(١) سبق تخريجه، من حديث جبريل عليه السلام.





الذاتية في نفوس أفراد الأسرة ومن ثم تحصينهم من خيانة أنفسهم بالمعاصي الخفية فضلا عن العلنية.

ثم إن صلاح الوالدين مما يحقق الأمن الأسري من جانب آخر وهو حفظ الله تعالى لذريتهم من بعدهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۗ﴾ الكهف: ٨٢.

وإذا صلحت الأسرة الصغيرة المكونة من الوالدين والأولاد، وأمنت فستعدى ذلك الأمن والصلاح إلى محيط العائلة الكبير كالأعمام والأخوال وسائر الأقارب ممن تربطهم بهم رحم، لأن الأسرة التي حققت التوحيد واطمأنت لربها وآمنت به نبتة طيبة تؤتي ثمارها لكل من تربطها بها علاقة رحم، حيث إن صلة الرحم من الثوابت التي تؤمن بها هذه الأسرة، وتسعى لوصل القاطع من الأرحام، ذلك أن القطيعة سبب للفساد والتفكك الاجتماعي الذي يضعف الأمن في العلاقات الأسرية الاجتماعية، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ﴾ محمد: ٢٢.

٢. الأمن في الجوار:

إن علاقة الجوار من العلاقات الاجتماعية التي خصها الشارع الحكيم بمزيد من العناية، لما لها من أثر على أمن أفراد المجتمع. وذلك لأن الجار الذي يأمن جاره، ويأمنه جاره، يعيش كل منهم





في رغد من العيش وهناء، ولن يكون ثمة دافعاً للاهتمام بحقوق الجار كالأيمان بالله تعالى، وقد ربط النبي ﷺ بين الإيمان وأمن الجوار، ففي الصحيح، عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه) <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>).

وإذا كان المرء محققاً للتوحيد فإنه يُعظم ما يُعظم ربه من حقوق الجوار، فيكون جاره في أمن من أذاه، بل ويتعدى ذلك إلى الإحسان إليه، وإسداء المعروف له، ومشاركته أفراحه وأتراحه، وتعاهده بالسؤال وتفقد الحال، وهذا من شأنه أن يعزز الأمن في نفوس الجيران لبعضهم، وتزول بينهم الوحشة، ويصبح الحي كأنه بيت واحد، ينعم أهله بالتكافل الاجتماعي منقطع النظير.

٣. الأمن بين سائر الناس:

ويشمل ذلك الأمن بين من تربطهم بالمؤمن علاقة خاصة كالأصدقاء وزملاء العمل والدراسة، أو من لا تربطهم بالمؤمن علاقة خاصة كعامة الناس من المسلمين وغير المسلمين.

وكل منهم له نصيب من الأمن بحسب منزلته ومكانته، وبحسب إيمان أفراد المجتمع الذي يعيشون في كنفه، فكلما كانوا أكثر إيماناً وتحققاً للتوحيد كانوا أحفظ لحقوق من يشاركونهم مجتمعهم، لأن

(١) البوائق: جمع بائقة، وهي «الداهية أو الأمر المهلك.. التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، (٢/٦٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (٢٩/٧٨) برقم (٦٠١٦).



الله تعالى الذي يعبدونه وحده لا شريك له، هو الذي فرض حقوق هؤلاء وأوجبها، وتعظيمهم لها من تعظيمهم لربهم، بل إن القيام بحقوق هؤلاء جميعاً، والحذر من التعدي عليها من مقاصد هذا الدين الذي كفل حفظ الضرورات الخمس، وجعل الأمن عليها من المسلمات التي يدين بها كل مؤمن بربه.

ويعتبر الأمن على هذه الضرورات مقصداً من مقاصد الدين، والضرورات هي: «ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع والخسران المبين...، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال...، ولقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضرورات الخمس»<sup>(١)</sup>.

فأما الأمن على الدين: فإن الذي يعيش مع أهل العقيدة الصحيحة، ويغشاهم في أي مكان في المجتمع فهو آمن على دينه، بل مستفيد من الخير الذي معهم من الاستقامة على دين الله تعالى.

وأما الأمن على النفس، فإن النفس المؤمنة آمنة، لامثال المؤمن لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣).

وحتى الكفار فلهم نصيب من الأمن على حياتهم لقوله تعالى:

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٧/٢)، وكذلك، انظر إليه في (١/٣٨).





﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ  
مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) التوبة: ٦.

و أما الأمن على العقول : فبالحماية من الخمر والمسكرات ونحوها، لأن قوي الإيمان لا يتجرأ على إفساد عقله ودينه ومجتمعه بتعاطي أم الخبائث التي عظم الله حرمتها، بل ونفي كمال الإيمان عن متعاطيها، ففي الصحيحين، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...) الحديث<sup>(١)</sup>.

لأن ضعيف الإيمان الذي يتجرأ على شربها لا بد أن يتعدى أذاه إلى أفراد المجتمع فلا يأتمنوه على أنفسهم وممتلكاتهم. وامتثال المؤمنين الموحدين لهذا الهدى النبوي يحقق أيضاً لأفراد المجتمع الأمن على أعراضهم من الانتهاك والتعدي. والأمن على الأموال من الضياع والتلف والسرقة، كما في الحديث السابق: (لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن).

ويشمل الأمن المالي أيضاً: حماية المال من الغش ومحق البركة بالمعاملات المحرمة، وتنمية المال بالصدقة التي تبارك المال وتنميه.

(١) أخرجه البخاري في برقم (٥٥٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (١/ ٢٤)، برقم (٥٧).



إن تحقيق التوحيد، وقوة الإيمان بالله هو الذي يحول قاطع الطريق، واللص إلى ذلك الإنسان المنيب لربه، الذي يبكي من خوف الله تبارك وتعالى، بعد أن حقق التوحيد وازداد إيمانه.

رابعاً: الأمن العام للمجتمع :

وأقصد به الأمن العام للمجتمع من جميع الأخطار العامة، فهو من أسباب صلاح الدين و الدنيا وانتظام أمرها، حيث إن الأمن العام «تطمئن إليه النفوس، وتنتشر فيه الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف؛ فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة»<sup>(١)</sup>.

إن الأمن في الأوطان من أكبر النعم وقد كان الأمن في الوطن من

دعاء إبراهيم عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ ﴿٣٥﴾ إبراهيم: ٣٥.

كما قرن دعاءه هذا بسؤال الله تعالى أن يجنبه الشرك، لعلم إبراهيم عليه السلام أنه لا يمكن أن يتحقق الأمن إلا بالتوحيد.

وقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بأن يبدل خوفهم أمناً، ويشهد

لذلك قول الله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ النور: ٥٥.

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص(١١١، ١١٩).





وقد وصف الإمام ابن باز رحمه الله الذين يستحقون هذا الأمن بقوله: «هم الذين قاموا بهذين الأمرين، آمنوا بالله ورسوله، آمنوا بأن الله ربهم وهو معبودهم الحق، خصوه بالعبادة وآمنوا بأسمائه وصفاته، واستقاموا على دينه قولاً وعملاً وعقيدة، هؤلاء هم المؤمنون، هم أنصار الله، هم أنصار دينه، وهم المتقون وهم الموعودون بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم وإبدالهم بعد الخوف أمناً وبعد الذل عزاً»<sup>(١)</sup>.

إن هذا الوعد من الكريم سبحانه، بالأمن العام للمجتمع مشروط بشرط مهم لا يمكن أن يتحقق الأمن بدون، وهو تحقيق التوحيد لله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، ومتى ما حقق أفراد المجتمع التوحيد وتبرؤوا من الشرك وأهله، فليبشروا بالأمن من كل ما يسوءهم من الأخطار الداخلية والخارجية، ولا شك أنه حين يتحقق لهم الأمن فإنه بالمقابل سيجد الكفار في قلوبهم الرعب بسبب شركهم بالله تعالى، لأن القلق والرعب قرين الشرك بالله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيَنْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ آل عمران: ١٥١

فما يجد المشركون من الرعب في قلوبهم هو من أسباب أمن المؤمنين، كما أن من خصائص الأمة المحمدية نصر النبي ﷺ ومن

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، جمع: محمد الشويعر، (٧/ ١١)،



سار على نهجه بالرعب، ففي حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ..) الحديث<sup>(١)</sup>.

قال السعدي<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «وهذا نصر رباني وجند من السماء يعين الله به رسوله ﷺ وأمة المتبعين لهديه، فمتى كان عدوه عنه مسافة شهر فأقل، فإنه مرعوب منه، وإذا أراد الله نصر أحد ألقى في قلوب أعدائه الرعب»<sup>(٣)</sup>.

إن تحقيق التوحيد، يطمئن النفوس، ويهدئ المجتمعات من القلاقل، والفتن والأزمات، ولذا لا يخاف الموحدون إلا منه تبارك وتعالى، فلا يخافون من الكفر وأمه وأسلحته وقوته وعدده وعدته أبداً، فيجيبون داعي الله تعالى بمجاهدة الكفار، لإظهار دين الله، ولإسعاد البشرية بتبليغه، كما توضح ذلك سورة الأنفال، وسورة التوبة، وسورة البقرة وغيرها في مواطن كثيرة من كتاب الله؛ لأن جهاد الكفار على الوجه المشروع فيه تحقيق الأمن على نفوس المؤمنين، وبالتالي الأمن العام للمجتمع المسلم من جميع الأخطار.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطمهوراً)، (٥٦/٨) برقم (٤٣٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢٣).

(٢) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي الحنبلي، العالم الزاهد الفقيه المفسر، من علماء القرن الرابع عشر، من مؤلفاته منهج السالكين في توضيح الفقه في الدين، القواعد الحسان في تفسير القرآن ت: ١٣٧٦ هـ، انظر: الأعلام (٣/٣٤٩)، علماء نجد (٣/٢١٨).

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار للسعدي (١٠٠).





وأعظم من ذلك الأمن من عموم العقوبة بسبب مخالفة أمر المولى تبارك وتعالى أو نهيهِ، ومن ذلك مخالفة أمر الله تعالى بترك الجهاد، ففي الحديث الذي يرويه أبو بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)<sup>(١)</sup>.

أو عدم الأخذ على يد الظالم بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩

وهذا الأمن في الدنيا، هو امتداد للأمن الأخروي يوم القيامة، حتى يتحقق له الأمن التام بدخول الجنة، نسأل الله من فضله.  
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنَنْتَلِقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ فصلت: ٤٠ .

والمراد أن « أن ذلك الفريق مصيره الجنة إذ لا غاية للأمن إلا أنه في نعيم»<sup>(٢)</sup>.

ولن يبلغ أحد الجنة، ولن يتحقق الأمن والرخاء والاستقرار في أي مجتمع إلا برحمة الله، وبالإيمان به سبحانه و تحقيق التوحيد لله تبارك وتعالى.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٨٣٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٩٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠٤ / ٢٤).







وإذا نظرنا إلى حال الذين لا يحققون توحيد الله تبارك وتعالى، وجدنا أنهم يعيشون في خوف ملازم لهم، وبالمقابل لا يشعر بذلك الخوف الذين حققوا التوحيد وفهموه، فمنهم الذين يتعلقون بالشياطين، والذين يعبدون الأولياء، والذين يعبدون السحرة والكهنة والعرافين ويخافونهم، فهؤلاء يعيشون في خوف دائم وفي رعب وقلق نتيجة الشرك بالله .

وفي ذلك يقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨١) الأنعام: ٨١.

فإن من وحد الله تبارك وتعالى، ولم يعبد سواه، واعتقد أن الله وحده الذي يملك الضر والنفع، ولا أحد غيره يملك ذلك، فإنه آمن لا يخاف إلا من الله تبارك وتعالى في سره وفي علانيته. وهذا أعظم ما يتحقق به الأمن العام لأفراد المجتمع، ولهذا قال جل شأنه: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٨٢) الأنعام: ٨٢.







## المبحث الثالث

أثر عقيدة التوحيد في المجتمع في الاستخلاف والتمكين في الأرض



لقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين فيها إذا حققوا التوحيد ومقتضياته، وأخذوا بأسباب التمكين المادية والمعنوية .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور: ٥٥ .

كما جعل الله تعالى لدوام التمكين شروطاً، كما امتدح عباده المؤمنين الموحدين بالاستقامة على إقامة الدين بعد أن حصل لهم التمكين، وهذه الشروط هي في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ الحج: ٤١ .

وذلك لأن ثبات القلوب على الحق بعد التمكين واستخلاف أهله له منزلة عظيمة قل من يصبر عليها؛ حيث إن الاستخلاف له تكاليفه من القيام بكل ما أمر الله به والانتهاز عما نهى عنه، وعدم التهاون في أمر الله، لأن الابتلاء يكون بالسراء كما يكون بالضراء.





فثبات العباد على المنهج الرباني يكون أشق بعد السراء بالاستخلاف والتمكين؛ من الثبات عليه من قبل في الضراء وهم يلاقون أشد أنواع الابتلاء .

وبذلك يتبين أن الاستقامة على عبادة الله وحده سبب الاستخلاف والتمكين، فقد وصف الله أهله الجديرين به بالإيمان والعمل الصالح قبل الاستخلاف والتمكين؛ كما في سورة النور، وبعده؛ كما في سورة الحج .

وإذا أراد أحد بلوغ هذا الفضل العظيم، فليحقق الشرط العظيم . ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ النور: ٥٥ .

وليس ثمة وعد أصدق من هذا الوعد الرباني؛ لأنه وعد من لا يخلف الميعاد؛ ولا تتخلف سنته فيمن استحقها .

كما أن الاستخلاف يتجدد للطائفة المؤمنة في كل قرن حتى تقوم الساعة، ويأتي أمر الله، لقوله تعالى: ﴿كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ النور: ٥٥ .

لأنه سبحانه علم الأشياء قبل وقوعها؛ ولا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) **إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ** (١٠٦) ﴿ الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٦ .



## معنى الاستخلاف والتمكين:

### ١. الاستخلاف:

أصل الكلمة (خَلَفَ)، و«الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثةٌ أحدها أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقومُ مقامه، والثاني خلافُ قَدَامٍ، والثالث التغيُّر»<sup>(١)</sup>.

فالأوّل هو المعنى المقصود بالاستخلاف.

كما يصح عليه معنى: «العوض والبدل»<sup>(٢)</sup>. ويقال: «خَلَفَ فلاناً: إذا جعله خليفته، كاستخلفه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ خَلِيفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ النور: ٥٥»<sup>(٣)</sup>، «والخليفة: مَنْ اسْتُخْلِفَ مَكَانَ مَنْ قَبْلَهُ»<sup>(٤)</sup>.

فيكون معنى الاستخلاف: أن يُقَامَ الإنسانُ بدلَ غيره، ويُعَوَّضَ مُلْكَ مَنْ سَبَقَهُ.

### ٢. التمكين:

أصل الكلمة الفعل (مَكَّنَ) يقال: «مَكَّنَهُ اللهُ من الشيءِ وأمَكَّنَهُ منه، و فلان لا يُمكنُهُ النهوضُ أي لا يقدر عليه»،<sup>(٥)</sup> ويقال: «تَمَكَّنَ من الشيءِ واستَمَكَّنَ ظَفِرًا»<sup>(٦)</sup>.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٧٠).

(٢) القاموس المحيط (١/ ٢١٧).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٣/ ٢٧٤).

(٤) المحيط في اللغة، للصاحب ابن عباد (٣٦٤).

(٥) الصحاح (٦/ ٥٥).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي (٧/ ٧١).





وقد عرف التمكين بأنه: «مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتبين أن التمكين هو: القدرة على الشيء والظفر به مع الرسوخ والاستقرار في ذلك. فيكون الاستخلاف أعم من التمكين، والتمكين نتيجة للاستخلاف، لأنه إذا تحقق الاستخلاف حصل التمكين، والله أعلم.

المراد بالاستخلاف والتمكين في آية النور:

لم تخرج أقوال المفسرين في معنى الاستخلاف والتمكين عن المعنى اللغوي، وإليك نماذج من أقوالهم في ذلك: إن الاستخلاف للمؤمنين هو أن «يورثهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها»<sup>(٢)</sup>. و«يجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالिकهم»<sup>(٣)</sup>، كما يجعلهم: «أئمة الناس والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد»<sup>(٤)</sup>، ومعنى جعلهم خلفاء، أي: «عن الله في تدبير شؤون

(١) التعريفات للجرجاني (٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٠٨/١٩)، وانظر: تفسير الخازن (٨٥/٥).

(٣) تفسير البيضاوي (١٩٧)، وانظر: تفسير القرطبي (٢٩٧/١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٧٧/٦)، وانظر: تفسير الثوري (٢٢٥).





عباده»<sup>(١)</sup>، فهم «الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآية تدل على أن طاعة الله بالإيمان به، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة»<sup>(٢)</sup>.

وأما التمكين للدين أي: «دين الإسلام وتمكينه أن يظهره على كل دين»<sup>(٣)</sup>.

ومن التمكين: «انتشاره في القبائل والأمم وكثرة متبعيه، استعير التمكين الذي حقيقته التثبيت والترسيخ لمعنى الشيوع والانتشار، لأنه إذا انتشر لم يخش عليه الانعدام فكان كالشيء المثبت المرسخ، وإذا كان متبعوه في قلة كان كالشيء المضطرب المتزلزل»<sup>(٤)</sup>.

ومن التمكين: «الظفر على الأعداء بعد الضعف الشديد..، ويكون التمكين في الباطن والظاهر، وأما إضافة الدين إليهم إشارة إلى رسوخ أقدامهم فيه وأنه أبدي لا ينسخ»<sup>(٥)</sup>. ومما سبق يتضح أن استخلاف المؤمنين في الأرض وتمكين دينهم يعني أن ينتشر دين الإسلام في الأرض قاطبة، وتكون الولاية والملك لأمة التوحيد، فهم يومئذ المالكون، وهم الرائدون، وهم الأمرون وهم الناهون، ليس بقوتهم إنما بقوة رب العالمين.

(١) التحرير والتنوير: (٢٨٥/١٨).

(٢) أضواء البيان (٣٥٩/٢٧).

(٣) النكت والعيون للماوردي (١١٨/٤)، وانظر تفسير الخازن (٨٥/٥) وتفسير السمعاني (٥٤٤/٣).

(٤) التحرير والتنوير (٢٨٧/١٨).

(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٧٩/٥).





ولذا كان الصحابة مستضعفين خائفين، ثم إن الله تعالى آمنهم  
ومكنهم وملكهم، وهذا الوعد في الآية لجميع من حقق التوحيد من  
أمة محمد ﷺ .

أثر عقيدة التوحيد في المجتمع في الاستخلاف والتمكين في الأرض:  
أقصد بالأثر هنا كيف تحقق عقيدة التوحيد التمكين والاستخلاف،  
فمنه ما قبل التمكين وتوضحه آية سورة النور، ومنه ما بعده وتوضحه  
آية سورة الحج السابقتان، فمن هذه الآثار:

١. صلاح المجتمع بالتوحيد محقق للتمكين والاستخلاف:

لما كان الشرط الأساس للتمكين عبادة الله وحده لا شريك له،  
كان هو السبيل الوحيد لإصلاح وصلاح المجتمع، وكان ضد عبادة  
الله - من الشرك ووسائله، والبدع ووسائلها - إفساداً فيه وفي الأرض  
بعد إصلاحها، ونشراً للأساطير والخرافات التي ينبذها كل صاحب  
فطرة سليمة، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ  
﴿٥٦﴾ الأعراف: ٥٦، ومعنى الفساد هنا: «ولا تفسدوا في الأرض  
شيئاً بعد أن أصلحه الله تعالى فيدخل فيه... إفساد الأديان بالكفر  
واعتقاد البدع والأهواء المضلّة..»<sup>(١)</sup>.

فإن كل ما ينافي التوحيد أو ينافي كماله سبب لفساد معيشة الناس  
في مجتمعاتهم، وشؤون حياتهم.

فمن ذلك التعلق بغير الله تعالى، بالشرك الأكبر أو الأصغر،

(١) تفسير الخازن (٢/٢١١).





لأن المتعلقين بغير ربهم قد رَكَنُوا إلى من ليس بيده حول ولا قوة، فيكلهم الله تعالى إليهم، وذلك بسبب «سوء معاملتهم ربهم بجحوده، أو بالإشراك به، أو بعدم تصديق رسوله ﷺ يكونون بمنأى عن كفالاته وتأييده إياهم، ودفع العوادي عنهم، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد»<sup>(١)</sup>، فيخسرون دنياهم وآخرتهم - عياذاً بالله -

ومن ذلك أيضاً ما يقوم به المفسدون في المجتمع كالسحرة والكهنة والعرافين، الذين يفرقون بين المرء وزوجه، ويشتون شمل الأسرة، وينشرون الرعب والخوف بين أفراد المجتمع بما يحدثونه من أوهام ووسواس من جراء ادعائهم علم الغيب.

أما إذا نبذ أفراد المجتمع كل ما يفسد عقيدتهم السليمة، فقد أصلحوا في الأرض وحفظوها، وكلما ازدادوا تمسكاً بالعقيدة والشريعة في أنفسهم وفي مجتمعهم زاد صلاحهم في أنفسهم وفي مجتمعاتهم ومن ثم استحقوا من ربهم التمكين والاستخلاف.

وإذا كانت حراسة العقيدة في المجتمع هي مقدمة لشرف الإمامة والاستخلاف في الأرض، فلا بد أيضاً من تحقيق ما يستلزم صحة الاعتقاد وهو العمل الصالح، كما هو صريح في آية سورة النور .

ولذا نجد أن العبودية لله سمة أهل الإمامة في الدين والاستخلاف

في الأرض حتى الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الأنبياء: ٧٣ .

(١) التحرير والتنوير (١٨ / ٢٨٥).



ولا بد أن يُعلم أن حقيقة التوحيد والإيمان التي يتحقق بها وعد الله تشمل حياة الإنسان كلها؛ واتخاذ الإيمان بالله المستلزم للعمل الصالح منهجاً يسير عليه العبد، لأن العقيدة الصحيحة إذا استقرت في القلب تحولت إلى عمل صالح وبناء للمجتمع يستمد توجيهه من الحكيم الخبير سبحانه، فيظهر الاستسلام التام لأمر الله في كل صغيرة وكبيرة، ويكون هوى النفس، وميل الفطرة تبع لما جاء به رسول الله ﷺ.

فإذا حقق أتباع الأنبياء والرسول - في كل زمان - التوحيد، ولزموا العمل الصالح، فسيكونون سبباً لصلاح مجتمعاتهم بذلك، وسيحصلون على النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض.

٢. العقيدة تعين على الصبر والثبات على الدين حتى يتحقق التمكين:

إن من أهم الآثار التي تتركها عقيدة التوحيد اليقين بوعد الله، ومن ثم صبر أصحاب العقيدة على دينهم، حتى يمنَّ الله عليهم بالنصر والتمكين، لإيمانهم بأن ذلك جائزة عظيمة لأهل الصبر على العقيدة الصحيحة، فتطيب حياتهم بذلك، ويكون الصبر والثبات عوناً لهم على مواجهة تقلبات الحياة وفتن الدين المتتابعة.

فإن اليقين بصدق موعود الله لهم يدفعهم إلى الثبات على عقيدتهم، وكلما ازدادوا تمسكاً بدينهم، قوي رجاؤهم بقرب الفرج وتحقق وعد ربهم بالتمكين، ومنة الله عليهم بالإمامة والاستخلاف.

قال تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص: ٥ .



قال الشنقيطي رحمه الله: «ولم يبيّن هنا أيضاً الشيء الذي جعلهم وارثيه، ولكنه تعالى بين جميع ذلك في غير هذا الموضوع؛ فبين السبب الذي جعلهم به أئمة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) ﴿السجدة: ٢٤﴾، وبين الشيء الذي جعلهم له وارثين بقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (الأعراف: ١٣٧)»<sup>(١)</sup>.

فبسبب صبرهم على الأذى في دينهم تحققت لهم وراثه الأرض، وهذا الأذى إنما هو تمحيص واختبار، وعلامة النجاح في الامتحان هو الثبات على الحق دون اتباع الهوى والشهوات.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهْم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٤) ﴿الأنعام: ٣٤﴾.

فالتمكين والنصر والعز يكون للمؤمنين الصابرين الصادقين وإن كانوا أقلية، مهما كان ضعفهم ومهما كانت قوتهم، ولذا تحقق ذلك النصر للذين استضعفهم فرعون ظاناً أن البقاء لقوته المادية وطغيانه، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١٣٧) ﴿الأعراف: ١٣٧﴾، فذهبت حضارة فرعون وذهبت

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣١).



أمجاده ودمرت، وأورث الله تبارك وتعالى المستضعفين المتمسكين بما أنزل الله تبارك وتعالى، والذين ثبتوا مع نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، ثم من بعده فتحوا وأطاعوا الله، فأورثهم الله تبارك وتعالى مشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها، وهذا الاستخلاف والتمكين لكل من صبر على عقيدته في كل زمان ومكان.

### ٣. تحقيق التمكين بالاجتماع على العبادة:

إن المتأمل للنصوص يدرك أن تحقيق التوحيد يستلزم الاجتماع على العبادة التي هي سبب للاستخلاف والتمكين والتي تعود على أفراد المجتمع بالآثار الإيجابية المتعددة النفع، ولذا وعد الله بالاستخلاف للذين آمنوا وعملوا الصالحات بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ النور: ٥٥ .

قال ابن عاشور: «وتعليق فعل الاستخلاف بمجموع الذين آمنوا وعملوا الصالحات وإن كان تدبير شؤون الأمة منوطاً بولاية الأمور لا بمجموع الأمة من حيث إن لمجموع الأمة انتفاعاً بذلك، وإعانة عليه كل بحسب مقامه في المجتمع»<sup>(١)</sup>. فكلما عم الإيمان والعمل الصالح أفراد المجتمع، واجتمعوا على العبادة، كلما انتفعوا جميعاً بآثارها بعد تحقق الاستخلاف والتمكين. ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١) الحج: ٤١ .

(١) التحرير والتنوير (١٨ / ٢٨٥).



وهذه الآية الكريمة تدل على أن من أعظم أسباب التمكين عموم العبادة لله، كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكونها شعيرة ظاهرة في المجتمع نعمة أخرى عظيمة، ولم تكن تتحقق لهم لولا أن الله تعالى أنعم عليهم بعقيدة التوحيد، وتلوها نعمة أخرى لا تقل عظمة، وهي أن تحصل لأفراد المجتمع الأهداف المرجوة من تشريع هذه العبادات.

ولذا كان من إقامة الصلاة أن تؤدي: «في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات»<sup>(١)</sup>، فإنها لا تتحقق أهدافها التي شرعت من أجلها إلا بأداء الرجال لها جماعة، بينما لو صلى كل فرد لوحده لما تحققت الألفة بالاجتماع، والقوة بالتلاحم، مما يعم كل من صلى جماعة من أفراد المجتمع بالخير والبركة، فالاجتماع على هذه العبادة من أسباب تمكين الدين، كما أن الله تعالى إذا مكنهم في الأرض، أبدلهم من بعد خوفهم أمناً وتمكنوا من الاجتماع عليها وتحققت لهم ثمراتها.

فالجمعة والجماعة من مقاصد الشرع السامية، ولعظيم الأثر الذي يتركه اجتماع المسلمين لأداء هذه الشعيرة العظيمة الذي يحقق السعادة للأمة، كانت سبباً للتمكين في الأرض. وأما إيتاء الزكاة، فهي الشعيرة التي تحقق التكافل الاجتماعي في أسمى صورته، ويتحقق بها أن يكون أفراد المجتمع على مستوى مادي متقارب، فتتحقق الأخوة الإيمانية، ويكون المجتمع مترابطاً متماسكاً، وهو أحد معاني التمكين.

(١) تفسير السعدي (٥٣٩)





وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتكمن أهميته في تهيئة البيئة الإيمانية التي تحتضن أهل الإيمان كي يتحقق لهم التمكين، فيكرم الله تعالى أوليائه بأنصار مخلصين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحبون أهل الإيمان، ويصبح الدين الحق مسلكاً عاماً لأفراد المجتمع، نابعاً من ثوابتهم، حتى يصبحون يداً واحدة، يتعاونون على إقامة الدين، الذي استحقوا التمكين والاستخلاف على أساسه.

وقد جاء في معنى قوله تعالى: ﴿وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ الحج: ٤١. «يعني بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ «عن الشرك»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور - رحمه الله -:

«هذه التكاليف التي جعلها الله قواماً لصلاح أمور الأمة، ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسباباً لها، وكانت الموعدة كالمسبب عليها فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع، وجعل الإيمان عمودها وشرطاً للخروج من عهدة التكليف بها، وتوثيقاً لحصول آثارها، بأن جعله جالب رضاه وعنايته، فبه يتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، وبه يحف اللطف الإلهي بالأمة في أطوار مزاولتها واستجلابها بحيث يدفع عنهم العراقيل والموانع»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٤٦٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/٢٨٤).



بقي أن يعلم كل مسلم أن من مقتضيات دوام الاستخلاف والتمكين أن يكون الدين كله لله تعالى، وأن يكون منهج الحياة هو اتباع الشرع المطهر، لأن من لوازم عبادة الله وحده لا شريك له امتثال قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

وعلى ذلك فلن يتحقق الاستخلاف لأي مجتمع إلا باتباع المنهج الرباني التام الذي تمليه عقيدة التوحيد في كل نواحي الحياة، شاملاً عامة أفراد المجتمع.

وعلى سبيل المثال لن يتحقق التمكين الاقتصادي ملكاً، وإنتاجاً، حتى يطبق نظام الاقتصاد الإسلامي، وأهم من ذلك الاستخلاف السياسي بأن تُحكّم الدولة المسلمة شرع الله تعالى، فيتحقق لها ولجميع أفراد المجتمع حسنة الدنيا والآخرة.

والتاريخ خير شاهد لتمكين الأمة المسلمة في الأرض فترة طويلة من الزمن وفي رقعة فسيحة من الأرض، حين كانت مستقيمة على أمر الله، تحقيقاً لوعد الله بالاستخلاف، والتمكين، وقيام هذه الأمة في فترة استخلافها بنشر الخير في الأرض وإقامة العدل الرباني في أرجائها.

وحين يتخلى المسلمون عن أسباب التمكين، لاسيما تحقيق التوحيد، سيعود إليهم الضعف على كثرتهم، بحسب تفريطهم في الغاية التي من أجلها خلقوا (عبادة الله وحده لا شريك له) والله المستعان.



الفرق بين تمكين المؤمنين وتقلب الكافرين:

قد يطرأ في الذهن سؤال محير، كيف يمكن الله تعالى للدول الكافرة مع إعراضها عن دينه؟! وحين نتأمل الآيات الكريمة التي تعد بالتمكين، وظهور الدين إذا حقق المؤمنون الشروط، نجد أن ظهور الكفار في الأرض قد وصفه الله تعالى بالتقلب، ولا شك أن التقلب إلى زوال وإن طال، وقد نهانا الله تعالى عن الاغترار به، وبين حقيقته بقوله سبحانه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (١١٦) آل عمران: ١٩٦، فقد يأمرون وينهون في العالم كما يشاءون ولكنه في النهاية: ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ﴾ (١١٧). فهو مجرد تقلب في البلاد مهما كثر عددهم، أو طال أمدهم.

وأما التمكين والاستخلاف الذي استحقه المؤمنون فهو في ثبات ورسوخ ماداموا على الطريق المستقيم، كما سيستمر حتى يرثوا الجنة في الدار الآخرة بعد أن ورثوا الأرض في الدنيا - نسأل الله من فضله - ولذا قال تعالى في الآية التي تلي الآية السابقة: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (١١٨) آل عمران: ١٩٨.

وقد أبان جل وعلا ذلك في آيات أخرى من كتابه منها، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِبِينَ﴾ (٨٣) القصص: ٨٣.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) الأنبياء: ١٠٥.





وقد تقدم عرض أقوال المفسرين في وراثة الأرض في هذه الآية، وأن منهم من قال أنها وراثة الجنة، ومنهم من قال أنها وراثة الأرض في الدنيا، ومنهم من جمع بين القولين وهو الصحيح. ولأنه سبق إلى علم الله تعالى أن دولا مشركة وكافرة ستظهر في الأرض وستقلب فيها، فقد بين لنا سبحانه في سورة النور بعد ذكر آية التمكين والاستخلاف، أن مأوى الكفار إلى جهنم عيادا بالله. فقال جل من قائل: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٥٧) النور: ٥٧.

فالكافرون قد يمكّنون فتنة لهم، وحين يوغلون في البعد عن الله تفتح عليهم أبواب الاستمتاع ليزدادوا إثما فياخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

كما أن التمكين للمؤمنين يختلف من ناحية أخرى حيث إن الله تعالى يمنحهم الأمن والطمأنينة ويفتح الله عليهم البركات في أعمارهم وأموالهم وكل ما يعطيهم، أما الكافرون فقد يفتح الله عليهم أبواب الأرزاق المادية، ولكن بلا بركة ولا أمن ولا طمأنينة، لأن الأمن والطمأنينة إنما تجيء من توحيد الله، وهم قد أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا.





## الفصل الرابع

أثر العقيدة الصحيحة في تطهير المجتمع من الشرك  
والبدع والأفكار المنحرفة



وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أثر العقيدة في التطهير من الشرك.
- المبحث الثاني: أثر العقيدة في التطهير من البدع.
- المبحث الثالث: أثر العقيدة في التطهير من الأفكار المنحرفة.







## المبحث الأول

أثر العقيدة في التطهير من الشرك



إن العقيدة الصحيحة والشرك بالله نقيضان، كل واحد منهما ينافي الآخر وينقضه، وكلما كانت عقيدة العبد أكمل كان في منأى عن الشرك بالله تبارك وتعالى.

ومن المعلوم أن عقيدة التوحيد هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) الروم: ٣٠.

ولكن هذه الفطرة السليمة قد تفسد بسبب العوامل البيئية التي يمر بها الفرد، وأهم ما يغير هذه العقيدة الفطرية، أو يؤثر فيها تلك العلاقات الاجتماعية السلبية التي تسهم في نشأة العبد نشأة غير سوية، ويشهد لذلك ما جاء في الصَّحِيحَيْنِ من حديث النبي ﷺ (فأبواه يهودانه..)<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مُسْلِمٍ عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ قال: يقول الله

(١) سبق تخريجه.





تعالى: (إِنِّي خَلَقْتُ عَبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمْ<sup>(١)</sup> الشَّيَاطِينُ وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا)<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأخبر أنه خلقهم حنفاءً وذلك يتضمن معرفة الربِّ ومحبَّته وتوحيده...، وكل مولود يُولد على الفطرة وهي الحنيفية التي خلقهم عليها، لكن أبواه يُفسدان ذلك فيهودانه ويُنصرانه ويمجسانه ويشركانه»<sup>(٣)</sup>.

فإذا أراد الله بهذا العبد خيراً هياً له أسباب النجاة بالعودة إلى عقيدة التوحيد، وآب إلى فطرته السليمة، وشهد أن لا إله إلا الله، وطهرته هذه العقيدة السليمة من أدران الشرك.

وفي القرآن الكريم بيان لأثر عقيدة التوحيد في تطهير المجتمع من الشرك وبيان خطورته وسوء آثاره على الفرد والأمم، ومفاصلة أهله القائمين عليه والداعين إليه بجميع صورهم ومختلف أنواعهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «بل نقول قولاً كلياً إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما

(١) اجتالتهم: استخفتهم فجالوا معه، يقال: اجتال الرجل الشيء إذا ذهب به وساقه.

شرح السنة للإمام البغوي (٤٠٨/١٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٦/٥١) برقم (٢٨٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٥/١٦).





فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب...، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم<sup>(١)</sup>.

والدعوة إلى التوحيد في المجتمعات الشركية لأجل التطهير من الشرك الأكبر وتأسيس التوحيد هو منهج النبي ﷺ مع المشركين قبل الهجرة إلى المدينة في المجتمع المكي. أما في المجتمعات الموحدة فهو لأجل التنقية من الشرك الأصغر، وتكميل التوحيد، وهذا قد حصل في مجتمع المدينة النبوية، فقد كان ﷺ يعلم أصحابه التوحيد وما تفرع منه، وينهاهم عن نواقضه، وعن جميع مفسدات التوحيد القولية والعملية، سواء ما كان يتعلق بمظاهرة أو بمقاصده.

ولأهمية تطهير المجتمع من الشرك، فقد بقي نبينا ﷺ، إلى آخر لحظات حياته ﷺ، وهو ينهاهم عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ويحذرهم مما صنع أهل الكتاب بقبور أنبيائهم وصالحينهم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ - في مرضه الذي لم يقم منه - (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت: فلولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين «(٣/٤٦٨-٤٦٩)».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)، ((٦٤/٨٤) برقم (٤٤٤١) مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٣/٥)، برقم (٥٢٩).





أثر العقيدة في التطهير من الشرك:

إذا منّ الله على أفراد المجتمع بصحة العقيدة، فإنه لا بد أن تترك آثاراً طيبة ينعمون بها تخلصهم من براثن الشرك بالله، منها:  
١. وحدة القلوب بالتوحيد، تذهب فرقة الشرك:

إن عقيدة التوحيد تجمع الناس على شهادة «أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله»، وتؤلف القلوب على محبة الله وتعظيمه، وخوفه ورجائه، فتجتمع غاية أفراد المجتمع، وتسلم صدورهم بسلامة عقيدتهم، ومن شأن ذلك أن يزحزح الشرك بالله تعالى من القلوب، لأنه السبب الرئيس للفرقة والتناحر، والإحن والعداوة، حيث إن الشرك لا يجعل صاحبه يقرّ على معبود واحد، كما أن كل قبيلة أو حزب لهم معبود يوالون ويعادون لأجله.

وإذا أردنا أن نعرف ذلك فلننظر إلى ما كان عليه العرب من الفرقة عندما كانوا مشركين، وكيف أصبحوا متآلفين بنعمة الله جل وعلا بعد تطهيرهم من الشرك، فبيننا محمد ﷺ قد جاء إلى أمة ممزقة في كل شيء، فلكل قبيلة صنم تعبده كما قال تعالى في أبلغ وصف لهم:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الروم: ٣١ - ٣٢ .

فقد كانوا شيعاً متناحرين متفرقين، يأكل القوي فيهم الضعيف، ولكل قبيلة أعرافها وعاداتها، لا يجمعهم شيء، ولا يجتمعون على أمير واحد وهذه من أظهر صفات ذلك المجتمع، فجمعهم الله بهذه العقيدة، ووحد قلوبهم بالتوحيد، فكانت هذه العقيدة العظيمة أعظم





مخلص لهم من فرقة الشرك، فاجتمعوا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلدانهم وقبائلهم، حتى صاروا أمة موحدة واحدة بعد الفرقة، وقوية بعد ضعف، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ آل عمران: ١٠٣ .

وكلما كان أفراد المجتمع أكثر إخلاصاً لربهم، كانت صدورهم أكثر سلامة لبعضهم، وأكثر وحدة، ومن ثم تطهروا من الشرك وفرقته، لاسيما أن هدفهم واحد، وهو ابتغاء مرضاة الله وحده، فتكون موالاتهم ومعاداتهم لأجل ربهم، ويتخلصون من الولاء لغير الله سبحانه، ويتبرؤون من كل معبود سوى خالقهم. وهذا شيء يسير من بركات عقيدة التوحيد في التطهير من الشرك.

## ٢. نور التوحيد مخلص من ظلمة الشرك:

إن عقيدة التوحيد نور من نور الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب الموحدين لربهم، وهو طارد لظلمات الشرك ولابد، وقد تكفل الله تعالى بإخراج عباده المؤمنين من الظلمات إلى النور  
قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة: ٢٥٧ .

«فيخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبيل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٥).





وذلك لاستمساكهم بالعروة الوثقى بالتوحيد، ولأنه لا يمكن أن يكمل نور التوحيد في القلب إلا بالتخلص من ظلمات الشرك بأنواعها، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦) البقرة: ٢٥٦.

والعروة «ما يُجعل كالحلقة في طرف شيء ليقبض على الشيء منه...، فالمعنى أن المؤمن ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب في الدنيا، وهو ناج من مهاوي السقوط في الآخرة، كحال من تمسك بعروة جبل متين لا ينفصم»<sup>(١)</sup>.

فنور التوحيد يجعل أصحابه يبصرون الحق، ويميزون بينه وبين الضلال، فيكونون حذرين من السقوط في ظلمات الشرك، ومن ثم يسعون جاهدين لتخليص أنفسهم ومجتمعاتهم من ظلمات الشرك، لَمَّا بَصَّرَهُمْ رَبَّهُمْ بِخَطُورَةِ هَذِهِ الظلمات التي تصير من أشركوا في عمى، لا يبصرون الحق ولا يفرقون بينه وبين الباطل.

وهذا النور نسبي، فكلما صحت عقيدة أفراد المجتمع، واشتد تعلقهم بربهم، ازداد نورهم، وضعفت ظلمات الشرك عندهم، حتى تكاد تتلاشى عند من كمل توحيدهم \_ نسال الله من فضله \_، فنجد أن من حققوا التوحيد يدافعون كل أنواع الشرك، ولا يرضون بقليله فضلاً كثيراً، وهم حذرون أن يكونوا ممن قال فيهم الله تعالى:

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩).



﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٦) ﴿ يوسف: ١٠٦ .

حريصون على تصفية التوحيد من شوائب الشرك وبراءته<sup>(١)</sup>.

ثم إن نور التوحيد كما يطهر دينهم من الشرك يمتد فيشمل أمور معاشهم، ولا غرو أن يكون الموحدون على بصيرة في أمور دنياهم، لأن الشرك بالله ظلّمات بعضها فوق بعض، لا يبصر أهله الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل .

وكلما كان أفراد المجتمع أكمل في التوحيد، كانوا أقرب للهداية إلى الحق والبصيرة، وأبعد من ظلمة الشرك.

٣. حصول الراحة بالتوحيد باعث للتخلص من شتات بالشرك:

إن الذين ذاقوا طعم الراحة بإخلاص العبادة لله، وتخلصوا بالتوحيد من عناء الشرك، لا بد أن يبعثهم ذلك لتخليص أنفسهم ومجتمعاتهم مما بقي من برائن الشرك، فإنهم ماداموا على التوحيد، فإنهم يستحقون من المعونة والإحسان من ربهم ما لا يستحقه غيرهم، فيتولاهم الله تعالى بولاية عباده المؤمنين، ولا يكلهم إلى أنفسهم.

قال تعالى واصفاً حال عناء أهل الشرك: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ الزمر: ٢٩ .

قال ابن القيم رحمه الله: «هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك

(١) ذكر الثعالبي رحمه الله أن هذه الآية «وإن كانت في الكفار فإن العصاة يأخذون من ألفاظها بحظ ويكون الإيمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء فقد قال عليه السلام الرياء الشرك الأصغر». تفسير الثعالبي (٢/ ٢٦٠).





والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاكسون، والرجل المتشاكس الضيق الخلق، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبهَ بعبدٍ يملكه جماعة متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثله عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكة من غير تنازع فيه، مع رافة مالكة به ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان»<sup>(١)</sup>.

فمادام الموحدون قد ذاقوا الراحة بإخلاص العبادة لله، وصدقوا في عقيدتهم، فإنهم سيسعون إلى الاستعانة بربهم للثبات عليه، والخلاص مما بقي من الشرك الذي يشتت القلوب والأبدان، لأن الشرك مرهق متعب لصاحبه، وذلك أن العباد متى أشركوا بالله، فلن يهدأ لهم بال، أو يقر لهم قرار، لأنهم لا يدرون من يرضون، فهم بين هوى متبع، وتسلب شياطين الجن والإنس، يتجاذبهم مرة هؤلاء ومرة هؤلاء، فتستحيل حياتهم إلى جحيم من الشتات، وإن ظهرت على مجتمعهم مظاهر الاستقرار إلا أن قلوبهم مضطربة، ممزقة كل ممزق، وقواعد مجتمعهم هشّة ضعيفة، آيلة للسقوط في أدنى لحظة، بخلاف أفراد المجتمع الذين ذاقوا طعم الراحة بالتوحيد، فانبعثوا للتخلص من الشرك، فإن قلوبهم في راحة من عناء الالتفات إلى رضا الخلق بحسب قوة إخلاصهم لربهم، فاستحقوا بما حققوا من التوحيد أن يختصهم

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٢٥، ٢٢٤).



رهم بمزيد عون في شؤون دينهم بالسعي للتطهير من بقايا الشرك،  
وتيسير العسير من مصالحهم ماداموا راغبين إلى رهم منبئين إلى إليه،  
وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴿٦﴾  
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ الشرح: ٤ - ٨ .

٤. شرف العبودية لله يحرر من رق الهوى والشيطان بالشرك:

إن عقيدة التوحيد تطهر من الشرك بالتححرر من رق الهوى  
والشيطان، لأن العقيدة تصير صاحبها عبدا لله وحده، فتخلصه من  
عبادة غيره.

وقد بين سبحانه وتعالى حالة السقوط والانحدار التي يعيشها  
المشرك حينما تتقاذفه الأهواء بسبب الشرك فهو ينحدر من سمو  
التوحيد إلى دركات الهوى والشرك، قال تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ  
بِهِ ۖ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ  
الرَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ الحج: ٣١ .

فكما أن التوحيد يرفع صاحبه إلى سمو الإيمان بإخلاص العبادة  
لله، فإن الشرك بالله ينزل صاحبه إلى الحضيض، كسقوطه من مكان  
شاهق الارتفاع، وذلك «لعلو ما كان فيه من أوج التوحيد وسفول ما  
انحط إليه من حضيض الإشراف....» في مكان (سحيق) أي: بعيد في  
السفول»<sup>(١)</sup>.

وقد وصف ابن القيم ذلك التشبيه البليغ للمشرك قائلاً: «شبه تارك

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٥٠/٥). وانظر تفسير  
الخازن (١٧/٥).





الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد، والآلام المتراكمة، والطير الذي تخطف أعضائه، وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه، وتؤزّه أزا وتزعجه، وتقلقه، إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مُزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء»<sup>(١)</sup>.

لأن من يشرك بالله، يقع فريسة سائغة لنوازع الهوى والشيطان ورقهما، فإذا أخلص العبادة لله فقد لاذ بجناب توحيد ربه التي يطمئن إليه، وهي المستقر الآمن الذي فيه نجاته؛ فيأمن أهل التوحيد من تخطف الأهواء تخطف الطيور الجوارح، وتقاذف الشياطين تقاذف الرياح .  
ومتى ما تمسك أفراد أي مجتمع بعقيدة التوحيد، فإنهم يتحررون من عبودية الهوى والشيطان.

ولا شرف يناله أي فرد بمثل شرف العبودية للخالق سبحانه الذي هدى خلقه إلى الحكمة، والهدف الذي من أجله خلقوا، كما قال تعالى:  
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) الذاريات: ٥٦ .

فإن حقق الموحدون العبودية الحققة لربهم فقد سعوا للتطهير من رق الشرك في مختلف الظروف التي تمر بهم في حياتهم، وتذكروا أن رضا الله تعالى هو هدفهم، واتخذوا كل ما بأيديهم من النعم قربة لربهم، وآثروا مصلحة المجتمع العامة على المصلحة الفردية، وذلك من

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٨٠).



أهم الآثار التي يجنيها المجتمع بعد التحرر من رق النفس والهوى. أما المشركون فإن أهدافهم في انحطاط لأنه لا تتعدى أن تكون دنيوية بحتة، فإما أن يكون هدفهم إشباع شهواتهم فيعيشون عيشة البهائم، أو يكون لإعمار دنياهم وهي إلى زوال وفناء، فيزول معها كل ما أفنوا حياتهم لأجله، فيخسرون دنياهم وآخرتهم، وتكون خسارتهم حتمية \_ عيادا بالله \_ ويصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١٢) محمد: ١٢.

ومن كانت هذه أهدافه في الحياة فإنه يكون عبداً لشیطانه وهواه، لا يبالي إلا بمصلحته الشخصية، ولا يراعي المصلحة العامة للمجتمع.

٥. صدق التوكل على الله مخلص من مصائب الشرك:

إذا حقق أفراد المجتمع التوحيد بالتوكل على ربهم، وصدقوا بالاعتماد على الله تعالى مع فعل الأسباب المشروعة وعدم التعلق بالأسباب، وتعلقوا بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى، فإن ذلك مخلص لهم من مصائب الشرك التي يبتلى بها من زل في أحواله من أفراد المجتمع، فإذا تعلق قلبهم بربهم وفوضوا أمورهم إلى خالقهم ولم يتوكلوا إلا عليه، فقد سلمت عقيدتهم، وسعدوا بإخلاص التوحيد لله، وطرحوا الأوهام والقلق والخذلان بالتعلق بغير خالقهم، وصانوا عقيدتهم بنيل العزة من ربهم، والترفع عن التذلل للمخلوقين الذين لا يملكون صرفاً ولا عدلاً، وذلك الذي يناله أهل التوحيد سبب لتطهيرهم من الشرك بالله تعالى، الذي يسبب تسلط





الأوهام والشكوك والوساوس في القلوب، كما هو حال أهل الشرك الأكبر ممن يتعلقون بالأولياء والصالحين، أو السحرة والعرافين، أو أهل الشرك الأصغر كأصحاب الرقى الشركية والتائم وغيرها، فإن هؤلاء جميعاً ما تزال الشياطين تجتالهم، وتتخبط بهم الأوهام والوساوس، ماداموا مشركين، فتؤثر على حياتهم ومصالحهم، بل تؤثر على تعاملهم مع من يعيشون معهم سواء كانوا أهلهم أو الجيران أو الأصحاب، فيعيشون في ضيق من العيش وكدر وهموم لانهاية لها، وقد قال ﷺ: (من علق ودعة<sup>(١)</sup> فلا ودع<sup>(٢)</sup> الله له، ومن علق تميمة<sup>(٣)</sup> فلا تتمم الله له)<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: (من علق تميمة فقد أشرك)<sup>(٥)</sup>.

فقول النبي ﷺ (لا تتمم الله له) و(لا ودع الله له): «دعاء أو

(١) الودعة: شئ يخرج من البحر شبه الصدف يتقون به العين، فيض القدير (٢٣٤/٦).

(٢) لا ودع الله له: لا جعله في دعة وسكون، وهو لفظ بُني من الودعة، أي لا خفف الله عنه ما يخافه. انظر: فيض القدير (٢٣٤/٦).

(٣) التميمة: هي خرزات كانت العرب تُعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام، كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء. انظر: النهاية في غريب الأثر (٥٣٦/١).

(٤) أخرجه أحمد عن عقبة بن عامر برقم (١٧٤٤٠)، والبيهقي رقم (١٩٣٨٩) والطبراني رقم (٨٢٠)، قال الهيثمي (١٠٣/٥): رجالهم ثقات، والحاكم رقم (٧٥٠١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) رواه أحمد (١٥٦/٤)، والحاكم (٢١٩/٤) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات (١٠٣/٥) وقال المنذري في الترغيب: ورواه أحمد ثقات (٣٠٧/٤) وصححه الشيخ الألباني برقم (٦٣٩٤) في صحيح الجامع.





خبر»<sup>(١)</sup>، وهذا جزء من أشرك بالله تعالى بهذه التمايم وغيرها، فإنه لا يطمئن، ولا يدعه الله في راحة أو دعة، فيصبح فريسة للهموم والقلق والأوهام التي لا تنقضي، وأما الموحد الذي قصر اعتماده على ربه، وتعلقه به فلا يمكن أن يتعلق قلبه بغير ربه، فيتخلص من الشرك بذلك.

فالمشرك حين تعلقه لهذه التمايم ونحوها فإن قلبه يتعلق بها، فيخذله الله تعالى بشركه فيها، ويكمله إليها، وإذا كان من وكله الله إلى نفسه وكله إلى ضعف وعجز، فما الظن بمن يكمله الله تعالى إلى خرزات أو أحجار؟!.

وقد قال النبي ﷺ: ( من علق شيئاً وكل إليه )<sup>(٢)</sup>.

وبما أن تحقيق التوحيد بصدق التوكل على الله يزيد القلب والبدن قوة فإن عدم تحقيق الشخص له بالتوكل على غير الله يزيده ضعفاً في قلبه وبدنه، فلا يقوى على تحقيق مصالح دنياه، ويضعف عن مصالح غيره ممن تربطه بهم علاقات اجتماعية، فيصبح عالة على مجتمعه وأهله .

فعن عمران بن حصين: أن رسول الله قال للذي رأى في يده حلقة من صفر: « ما هذا » ؟

(١) فيض القدير للمناوي (٦/٢٣٤).

(٢) رواه أحمد (٣١١)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٢١٦)، وعبد الرزاق (١٩٧٢) عن الحسن مرسلاً، وقد حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (١٦٩١) قال الشيخ البنا في الفتح الرباني (١٧ / ١٨٨): هذا الحديث لا تقل درجته عن الحسن، لا سيما وله شواهد تؤيده، والله أعلم .





فقال: من الواهنة<sup>(١)</sup>. قال: (انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا<sup>(٢)</sup>)، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)<sup>(٣)</sup>.

كما أن ذلك ينطبق على من حقق التوحيد بعدم التعلق بالناس في تحقيق مصالحه، ولم ينس أنهم مجرد أسباب لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، فيقوى توكله على ربه، ويتطهر من شائبة الشرك، ولا يخيب الله تعالى ظنه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبيناً خسارة من ضعف توحيده «فمن رجا قُوَّتَهُ أو عَمَلَهُ أو عِلْمَهُ، أو صديقَهُ أو قرابتهُ أو شيخه، أو ملكَهُ، أو ماله غير ناظر إلى الله كَانَ فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحدٌ مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنُّه فيه فإنه مشرك...، وكذلك المشرك يخاف المخلوقين، ويرجوهم»<sup>(٤)</sup>.

وقد يُسلط عليه من اتكل عليه، ويعذب بمن تعلق به، بعد أن يُحرم

خير هـ.

(١) الواهنة: عزق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيزقي منها وقيل: هو مَرَضٌ يأخذ في العَضُدِ وَرَبِّمَا عُلِقَ عليها جنسٌ من الخَزَزِ يُقال لها خَزَزُ الوَاهِنَةِ . وهي تأخذ الرجال دون النساء وإنما نَهَاهُ عنها لأنه إنما اتَّخَذَهَا على أنها تَعْصُمُهُ مِنَ الأَلَمِ فكان عنده في مَعْنَى التَّمائمِ المَنْهِيَّةِ عنها . النهاية لابن الأثير (٥/٥٢٦).

(٢) وهنا: ضعفاً. انظر النهاية (٥/٥٢٦).

(٣) رواه أحمد (٤٤٥)، وابن حبان (١٤١٠) والبخاري رقم (٣٥٤٥)، والبيهقي رقم (١٩٣٩٣)، وابن أبي شيبة رقم (٢٣٤٦٠). وابن ماجه (٣٥٣١)، قال البوصيري (٧٧/٤): هذا إسناد حسن . وصححه الحاكم رقم (٧٥٠٢)، ووافقه الذهبي، وقد ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة (١٠٢٩) وقال الشيخ حافظ الحكمي في أعلام السنة المنشورة (٢٤٤): «والراجح أنه حسن» .

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٣٣).



ويوضح ذلك ابن القيم قائلاً: «فمن خاف شيئاً غير الله سُلط عليه، ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته، وحرّم خيره، هذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً»<sup>(١)</sup>.

ثم إنه العبد الموحد يصون وجهه عن سؤال غير الله، وينال العزة بعدم التذلل للمخلوقين، وكلما ازداد توكلّاً على ربه وتعلقاً به، ازداد تخلصاً من القلق بالتعلق بغيره مما يطهره من الشرك بالله تعالى.

٦. صلاح العقل والقلب بالتوحيد مخلص من سفاهة الشرك:

إن صلاح العقيدة مصلحٌ للقلب والعقل، وهو سبب للترفع عن سفاهة الأحلام التي يسببها الشرك بالله، إذ كيف يعدل كامل العقل عن عبادة الخالق وحده إلى عبادة غيره ممن لم ولن يخلق، ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، قال سبحانه: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۗ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۗ﴾ (١١٢) ﴿الأعراف: ١٩١ - ١٩٢.

فساد العقيدة يؤدي إلى فساد الأخلاق والطباع، وإن ظهر أن المشرك من أذكى الناس فهو من أفسد الناس عقلاً، فحاله كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۗ﴾ (١٠) الملك: ١٠.

ومن منّ الله عليهم بصحة العقيدة فلا يمكن أن يصرفوا شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى، لصحة عقولهم بصحة اعتقادهم، فيتطهر مجتمعهم من عبادة غير الله تعالى.

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٤٧٠).



أما من فسدت عقيدتهم فقد بلغ من سفاهتهم أن لا يترفخوا عن عبادة الأموات، أو الأحياء المخلوقين مثلهم، وقد يجرّ فساد المعتقد إلى عبادة الفأر، أو البقر، وجعل ذلك نداً لله في العبادة!!، في عصر قفزت فيه الحضارة العلمية إلى أرقى المستويات، نسأل الله السلامة والعافية.

ثم إن العقيدة الصحيحة لها أثر كبير على العقول والأبدان من حيث القوة والضعف، فالفارس الشجاع الذي لا يُبارى في المعارك، إذا فسدت عقيدته يخاف من أحقر الأشياء، بل من أشياء وهمية لا حقيقة لها، مما يدعيه المنجمون والسحرة، في الجن وغيرهم، فيتقرب إليهم بأغلى ما يملك، ويظن أنهم يقدمون ويؤخرون. والحاصل أن الموحد أصلح الناس عقلاً وقلباً، وصالح عقله يظهر بمنعه من عبادة غير خالقه سبحانه، وذلك كله يظهر أثره على حياته وحياة أفراد مجتمعه، ويؤثر في مخرجاته، فمادام أن قلبه متعلق بربه وحده، فلا بد أن يؤثر ذلك على عطائه، وذلك مصداق قول نبينا ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)<sup>(١)</sup>.

٧. الحياة الطيبة بالتوحيد مضادة للشقاء بالشرك:

إن أهل طيب الحياة هم أهل تحقيق التوحيد، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ النحل: ٩٧.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (٣٩/٢) برقم (٥٢) ومسلم في كتاب البيوع باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٤١/١٢) برقم (١٥٩٩).



ولن تتحقق لهم السعادة في الدارين إلا بالتطهر من الشرك -السبب الرئيس لضيق الصدر-، فالتخلص منه موجب لانبعاث النعيم القلبي في الدنيا والآخرة، ودافع للمؤمن إلى الأعمال الصالحة والإكثار منها، والتقرب إلى الله بها. قال ابن القيم -رحمه الله-: «والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والهَم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم، وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ولو ظهر أن فئاماً من أهل التوحيد في شظف من العيش، وأن الابتلاء في دنياهم يتتابع عليهم فليس ذلك بضائر، لأن السعادة والنعيم تنبع من قلوبهم، وكلما كانوا أكمل تخلصاً من الشرك، وأكمل توحيداً كانت قلوبهم أكثر نعيماً لقربهم من ربهم.

فطلبهم لما يطيب حياتهم ويعمهم بالسعادة الحققة، يتبعه تخلص من ضد ذلك من الشقاء وضيق الصدر الذي يسببه الشرك بالله، فيأنسون ويؤنسون أهليهم وكل من تربطهم معهم علاقة اجتماعية،

(١) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَكَفَ صَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ إبراهيم: ٢٤، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ إبراهيم: ٢٦.

(٢) الفوائد لابن القيم (٢٠٣).



وهذا من النعيم المعجل لأهل التوحيد - نسال الله من فضله - .  
ولو لم يكن لتطهير المجتمعات من الشرك إلا حصول الحياة  
الطيبة لأفراد المجتمع، لكان جديراً بالعقلاء أن يسعوا جاهدين  
لتخليص أنفسهم ومجتمعاتهم من براثن الشرك وأحواله، لينعموا  
بطيب العيش، كيف وفي تحقيق التوحيد أضعاف ذلك من الآثار  
العامة والخاصة لأفراد المجتمع، وللأمة أجمع، والله أعلم.





## المبحث الثاني

### أثر العقيدة في التطهير من البدع



إن من طبيعة العقيدة الصحيحة منافية البدع، لأن حقيقة البدع استقاء التشريع من مصدر غير رباني، وعقيدة التوحيد تكمن في اتباع شرع الله تعالى، ونبذ الابتداع أو اختراع الدين. فلا بد إذن أن يكون لعقيدة التوحيد أثر في تطهير المجتمع من البدع. والمبتدع مع طعنه في كمال الدين، وقوله على الله بلا علم، قد نصّب نفسه مشرعا من دون الله، مع أن الدين دين الله تعالى، وليس لأحد أن يزيد فيه أو ينقص منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ الشورى: ٢١.

وستتضح منافية البدع للعقيدة الصحيحة عند تحرير معنى البدع.

معنى البدع:

في اللغة: يقال: «بَدَعَ الشيء، يَبْدَعُه بَدْعًا، وابتَدَعَه: أنشأه وبدأه... والبدِيعُ والبدِيعُ: الشيء الذي يكون أولًا، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٩. أي: ما كنت أول من أرسل قد أرسل قبلي رُسُلٌ كثير، والبدِعةُ: الحدَثُ وما ابتَدَعَ من الدِّينِ بعد الإِكمال»<sup>(١)</sup>.

(١) لسان العرب (١/٢٢٩).





### في الاصطلاح:

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قائلاً: «البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية: فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك. وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يكن»<sup>(١)</sup>.

وقيل في معنى البدعة: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»<sup>(٢)</sup>.

وكل من التعريفين مكمل للآخر، فيمكن أن نقول أن البدعة هي: التعبد لله بدين مخترع لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، ولم تدل عليه الأدلة الشرعية.

أنواعها من حيث حكمها:

إن البدع ليست سواء في الأثر، ويختلف أثرها باختلاف حكمها، وللبدع من حيث الحكم نوعان:

١. بدعة مكفرة: وهي التي تخرج صاحبها من الملة، واختلف أهل العلم في ضابطها، والصحيح أنها ما كانت كفراً صريحاً لا خلاف فيه.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/١٠٧، ١٠٨).

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/٣٧).

(٣) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها، د. سعيد الغامدي (٢/٢٢٠، ٢١٩)، وانظر: أعلام السنة المنشورة (١٠٠).





مثال ذلك: «اتخاذ المشركين الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى»<sup>(١)</sup>.  
٢. بدعة غير مكفرة: وهي البدعة المفسدة التي لا تخرج عن الملة،  
ولا تصل إلى حد الكفر، ومثال ذلك: «بدعة المولد، والذكر  
الجماعي»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك كان الدين مبنيًا على أصليين، أن لا نعبد إلا الله، وأن  
لا نعبده إلا بما شرع، ومن خالف الأصل الأول وقع في الشرك،  
ومن خالف الأصل الثاني وقع في البدعة، لأن حقيقة البدعة التقرب  
إلى الله تعالى بما ليس من شرعه، وهي مضادة لديننا الذي جاء به  
رسولنا ﷺ من لدن حكيم خبير، وقد قال ﷺ: (خير الحديث كتاب  
الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة  
ضلالة ..)<sup>(٣)</sup> الحديث، وهو ﷺ يحذرنا منها، ويبين خطر الابتداع  
على دين المرء، وعظم شأن هذه المخالفة، ويدعو للناس لاتباع  
السنة وأن ينبذوا جميع أنواع البدع.  
أثر العقيدة في التطهير من البدع:

من خلال تأمل النصوص الشرعية يظهر أثر العقيدة الصحيحة في  
تطهير المجتمع من براثن البدع .  
وكما أن لعقيدة التوحيد آثارًا إيجابية في بناء المجتمع، فكذلك للبدع  
آثار لكنها سلبية تعود على أفراد المجتمع بالهدم لا البناء، وليست هذه

(١) انظر: الاعتصام (١/٤٧٥).

(٢) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها، د. سعيد الغامدي (٢/٢٠٠).

(٣) أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، في كتاب الجمعة، باب تخفيف  
الصلاة والخطبة (٧/١٣) برقم (٨٦٧).





الآثار تشمل المجتمع كله، بل تخصص من يقرّ تلك البدع أو يعمل بها، أو يدعو إليها، كما يختلف أثر هذه البدع بحسب حكم هذه البدع، فليست البدع المكفرة المخرجة من الملة كغيرها من البدع التي لا تخرج من الملة وإن كانت تشكل خطرا على العقيدة، وهي تظهر جليّة على المجتمعات التي تنتشر فيها البدع ويضعف فيها التوحيد، وفي المقابل فإن المجتمع الذي يتمتع أفراده بعقيدة التوحيد السليمة لا يمكن أن تنتشر فيه البدع أيا كان نوعها، وإذا ما ظهرت بدعة فسرعان ما يحاربها أهل هذا المجتمع ويحولون دون انتشارها حتى تتوارى وتذهب، حيث يستحيل أن تنتشر في أي مجتمع ظلمة البدع المحدثّة مع نور التوحيد وهدايته، وهذا من ثمار عقيدة التوحيد المعجلة مع ما يدخره الله تعالى لأهل التوحيد من النور التام يوم القيامة - نسأل الله من فضله -.

ويتمثل أثر عقيدة التوحيد في طهير المجتمع من البدع فيما يأتي:

#### ١. سد أبواب البدع بإبطال الشرك ودواعيه:

إن من لوازم دعوة النبي ﷺ - والأنبياء من قبله - إلى عقيدة التوحيد إبطال الشرك ودواعيه التي منها التشريعات المبتدعة التي أوصلت أصحابها إلى الشرك بالله تعالى.

ومما لا شك فيه أن البدع بريد الكفر، ويدل على ذلك أن من غلا من أمة محمد ﷺ في البدع وقعوا في الشرك الصريح، كعبادة الأموات والطواف بالقبور والاستغاثة بأهلها، كما أوصلت البدع كثيرا منهم إلى استباحة المحرمات وإسقاط الواجبات، وربما زعم بعض رؤوس المبتدعة أن الله تعالى يحل فيهم ويوحى إليهم، وكل هذا من الكفر البواح الذي كان أول شره الابتداع في الدين، والإحداث فيه ما ليس منه.



قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾ الشورى: ٢١.

فحقيقة عبادة الله وحده لا شريك له تقتضي إبطال كل معبود مشرّع من دون الله تعالى، وهم الذين سماهم الله تعالى شركاء في هذه الآية وغيرها من النصوص .

ويدل لذلك حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: (يا عدي اطرخ عنك هذا الوثن، وسمعتة يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ التوبة: ٣١. قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»<sup>(١)</sup>.

فإذا حقق أفراد المجتمع التوحيد لم يقبلوا مشرعاً غير الله تعالى، ولم يقبلوا تشريعاً لم يأذن به سبحانه، فأبطلوا بصحة عقيدتهم جميع أنواع الشرك، ثم كان ذلك سبباً لسد أبواب البدع، وهي في الحقيقة تعدّ على عقيدة التوحيد باختراع التشريع من دون الله تعالى.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٠٩٥)، واللفظ له، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث، وقال الألباني: حسن. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي (٩٥/٧).  
وأخرجه البيهقي في سننه برقم (٢٠٨٤٧)، والطبراني في الكبير برقم (٢١٨).





٢. حيلولة العقيدة بين أفراد المجتمع والزيغ باتباع المتشابه:

إن العقيدة الصحيحة تؤثر في سلامة أفراد المجتمع من الابتداع عن طريق اتباع المتشابه ومن ثم الضلال بذلك، لأن من لوازم صحة العقيدة الإيمان بالمحكم والمتشابه، أما الإيمان بالمحكم فواضح، وأما الإيمان بالمتشابه فيكون برده إلى المحكم.

وقد امتدح الله تعالى أهل العلم الذين يؤمنون بهما جميعاً، وقال سبحانه فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ آل عمران: ٧.

فالعقيدة الصحيحة تمنع معتنيها من الزيغ باتباع المتشابه<sup>(١)</sup>، وهو سبب

(١) اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال؛ فقيل: المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه... مثل وقت قيام الساعة... ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل: إن المتشابه ما يحتمل وجوهاً، ثم إذ اردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكماً، فالمحكم أبداً أصل ترد إليه الفروع؛ والمتشابه هو الفرع، وأحسن ما قيل فيها: أن المحكمات ما كان قائماً بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره؛ نحو ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) ﴿الإخلاص: ٤﴾، و﴿وَلِيِّنِي لَعَفَارٍ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طه: ٨٢. والمتشابهات نحو ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الزمر: ٥٣، يرجع فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَلِيِّنِي لَعَفَارٍ لِّمَن تَابَ﴾ طه: ٨٢، وإلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُشْرِكُ بِهِ﴾ النساء: ٤٨ وهو الجاري على وضع اللسان؛ وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام الإتقان؛ ولا شك في أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها؛ ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال. والله أعلم. انظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، (٤/١٣).



رئيس للابتداع في الدين، كما يؤدي للضلال العام في أمر الدين والدنيا. وقوله تعالى عن سبب اتباعهم الشبهات: ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾<sup>(١)</sup> معناه أنهم قصدوا: «طلب الشبهات واللبس على المؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم، ويردوا الناس إلى زيغهم»<sup>(١)</sup>.

أما أهل التوحيد فيدفعهم إيمانهم أن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾<sup>(٢)</sup> «وما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه إلا ذولب، وهو العقل»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على أن ذلك هو منهج أهل الزيغ في اختراع البدع، ما عرفوا به قديماً وحديثاً من الزيغ في اتباع المتشابه بحمل النصوص على تأويل لا تحتمله، حتى قال بعض أهل العلم:

«أهل البدع أهل الشبهات، أهل البدع ابتدعوا بدعاً خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً، فكان في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذبون بالحق الذي مع الفريق الآخر، ويصدقون بالباطل الذي معهم، وبسبب ذلك وقعت الشبهة، وإلا فالباطل المحض لا يشتبه على أحد. وهذا حال أهل البدع كلهم»<sup>(٣)</sup>.

فاتباع المتشابه وعدم رده للمحكم، من أهم أسباب الوقوع في البدع، وإذا صحت العقيدة عند أفراد المجتمع، فلن يتركوا طريق الحق إلى طريق الضلال، أو يعرضوا عن مصادر التلقي الصحيحة للدين، ومن ثم تطهروا من البدع بإيمانهم بكل ما جاء من عند الله،

(١) تفسير القرطبي (٤/١٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) آل رسول الله وأولياؤه، للشيخ محمد بن قاسم. ص (١٥٦).





واتبعوا سبيل المؤمنين، وتخلصوا من اتباع المتشابه، الذي يجرحهم إلى الضلال والغواية في الدين، ومن ضل في دينه فحقيق به أن يضل في دنياه لأن حقيقته أنه يمشي مكباً على وجهه ولو كان يظهر للناس أنه أعقل الناس وأهداهم وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَفَن يَمْشِي مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) الملك: ٢٢.

فمن حقق التوحيد فقد سلم من ضلال الطريق بالابتداع في الدين، ثم سلمت له دنياه ومعاشه لولاية الله تعالى له، واتباع شرعه في شتى شؤون حياته، و سار على الطريق المستقيم والهدى القويم. فالسلامة من الزيغ من آثار تحقيق التوحيد لأفراد المجتمع الذين آمنوا بالمتشابه كما آمنوا بالمحكم، فتطهروا من البدع.

ولذا وصفهم الله تعالى في الآية التي تلي الآية السابقة بأنهم أهل هذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) آل عمران: ٨.

٣. نبذ التفرق الذي يسبب الابتداع:

إن من لوازم تحقيق التوحيد الاجتماع على عقيدة أهل السنة والجماعة، ونبذ الافتراق بمخالفتها، والبدع من أهم ما يحدث التفرق والتحزب الذي يضر بأفراد المجتمع ويسبب لهم التمزق والشتات. وكلما حقق أفراد المجتمع التوحيد كانوا أبعد عن التحزب والتفرق، وبالتالي تطهر المجتمع من الابتداع في الدين.

ومما يدل على أن التفرق في الدين أحد أسباب الابتداع قوله تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

(٣٢) الروم: ٣٢.



وقد أشار النبي ﷺ إلى وقوع البدع التي تفرق الأمة بقوله: (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أن الذين فرقوا دينهم هم أهل البدع أن الله تعالى «برأ رسوله ﷺ من أهل البدع بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٩) ﴿ الأنعام: ١٥٩ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن مفارقة أفراد المجتمع لأهل عقيدة التوحيد أهل السنة الجماعة، سببه التفرق في الدين بالابتداع، لأن أهل البدع اتبعوا السبل فخرجوا عن جادة الصواب وتفرقوا، وقد حذر الله من ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣) ﴿ الأنعام: ١٥٣ ﴾.

فأهل التوحيد يدعون أفراد مجتمعهم لاتباع الصراط المستقيم، ولزوم مذهب أهل السنة والجماعة، ونبذ الافتراق الذي يسبب البدع، كما أن إحداث الابتداع في الدين يقتضي مفارقة جماعة المسلمين، وبذلك تكون عقيدة التوحيد مطهرة للمجتمع من البدع بنبذ الافتراق.

(١) (إسناده حسن وهو صحيح لغيره) رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١ / ١٢٨)، (١٢٩) من حديث عبد الله بن عمرو، قال الإمام الترمذي: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وقد حسنه الألباني ورواه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة حتى قوله (فرقة) وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وسكت عنه أبو داود، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للحكمي (٢٧١).



٤. التحرر من الهوى الدافع لاختراع البدع والتمسك بها:

لقد كان أهل العلم قديما وحديثا يطلقون على المبتدعة بأنهم أهل الأهواء، ومن ذلك قول بعضهم: «وأهل البدع ذوو أهواء»<sup>(١)</sup>، وذلك لأن الهوى من أقوى الدوافع للابتداع في الدين .

أما عقيدة التوحيد فهي تصير هوى أهلها تبعا لما جاء به النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)<sup>(٢)</sup>.

فاتباع الهوى هو منشأ البدع، والإيمان يصير الهوى تبعا لما جاءت به الشريعة، فهو مناف لنشأة البدع فضلا عن انتشارها. وقد قال تعالى ذاما من يتبع هواه، ويجعله إلهاً له: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍو خَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ، وَقَلْبُهُ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> الجاثية: ٢٣.

وهذا يدل على أن اتباع الهوى الذي هو سبب للبدع لا يمكن أن يصدر ممن كمل توحيده، لأن من حقق التوحيد يُصير هواه تبعا لشرع ربه، فيحارب البدع.

والحاصل أن أفراد المجتمع إذا من الله عليهم بسلامة العقيدة فقد

(١) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال للذهبي (٢١٩).

(٢) أخرجه: ابن أبي عاصم (١٢/١، رقم ١٥)، وذكره النووي في النووي برقم (٤١) وقال: حديث صحيح روينا في كتاب الحجّة بإسناد صحيح. وأخرجه الخطيب (٣٦٨/٤) وذكره الحكيم (١٦٤/٤).





تطهروا من الأهواء المضللة التي هي سبب الوقوع بالبدع، وليس ثمة شيء يضل مجتمع عن الحق كاتباع أهله لأهوائهم وعدم التقيد بما شرع الله، ولا شك أن هذا عين الضلال، لأن من لم يهتد بهدى ربه فأنى له الهدى، وهذا يتضح في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣).

فأهل العقيدة الصحيحة يعرضون أعمال وأقوال الناس على الشرع، فإن كانت لا تستقى من مصادر تلقي أهل السنة والجماعة، فهي لا تمثل إلا هوى صاحبها، ولا تصدر إلا من مبتدع جاهل، يقول في الأمور بغير علم، لاسيما أمور الدين، فيرفضونها ويسعون لتطهير المجتمع منها متبعين بذلك منهج المصطفى ﷺ.

٥. اعتصام أفراد المجتمع بالسنة عاصم لهم من البدع:

لا ريب أن عقيد التوحيد لا تصح إلا باتباع السنة والالتزام بها، حيث إن كلمة التوحيد: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله) تعني إخلاص العبادة لله وحده، وتعني الشهادة الثانية طاعة رسول الله ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاز عما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

وقد قال تعالى مبيناً أن دليل تحقيق التوحيد بمحبته سبحانه يكمن باتباع نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

﴿٣٢﴾ آل عمران: ٣١ - ٣٢.



وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) الحشر: ٧ .

فاتباع النبي ﷺ يكون باتباع سنته ﷺ وطاعته.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً»<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن البدع تميم السنن؛ وما ظهرت بدعة إلا وماتت سنة من السنن، لأنها لا تظهر وتشيع إلا بعد تخلي الناس عن السنة الصحيحة، فظهور البدع علامة على ترك السنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن»<sup>(٢)</sup>.

وكلما كان أفراد المجتمع أكثر تحقيقاً للتوحيد كانوا أشد اتباعاً للسنن وتمسكا بها، ومن ثم تخلص المجتمع من البدع وابتعد عنها.

وهذا من أثر عقيدة التوحيد في تطهير المجتمع من البدع المحدثه، ناهيك عما يتبع ذلك من هداية أفراد المجتمع لا تباع السنة الصحيحة، بعد أن طهروا مجتمعهم من البدع المضللة.

(١) مسند أحمد (٢٢/١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون . قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٨/١)، باب في البدع والأهواء .



## المبحث الثالث

أثر العقيدة في التطهير من الأفكار المنحرفة



إن من أعظم المخاطر على استقرار المجتمع تسرب الأفكار المنحرفة إلى عقول أفرادها، ، لأنه دائماً يؤثر على الأمن بجميع أنواعه، وقد يتخذ من الدين أو الشعارات الأخرى ستاراً لنشر الفكر المنحرف وترويجه عن طريق سلوكيات شاذة هدفها المعارضة على المستويات الدينية والسياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها.

ولأن حماية العقول من الضروريات الخمس التي يحفظها الله تعالى بحفظ الدين، فإن عقيدة التوحيد هي الحارس للمجتمع بإذن الله من الأفكار المنحرفة، فهي التي تحدد للمجتمع الطريق المستقيم والمنهج القويم الذي من سار عليه فقد سلك سبيل المؤمنين الناجين، واهتدى إلى نهج السلامة من الشقاق في الدنيا، والعذاب في الآخرة، قال عز من قائل:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥)





المراد بالأفكار المنحرفة:

١. الأفكار:

لغة: جمع فِكْرَة، وأصلها الفعل: فَكَّرَ<sup>(١)</sup>، و«الفاء والكاف والراء تردُّ القَلْبَ في الشيء»<sup>(٢)</sup>. ويقال: «فكر في الأمر فكراً تعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول»<sup>(٣)</sup>.

اصطلاحاً:

عرف ابن القيم الفِكر بأنه: «إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة»<sup>(٤)</sup>.

ويمكن أن نعرف الأفكار بأنها: الوعاء العقلي الذي يحدد سلوك المرء، فإن كان فكره سليماً فسلوكه مستقيم، أما إن كان فكره منحرفاً، فسيظهر أثر ذلك سلباً على سلوكه.

وقد ورد أثر الفكر المنحرف على السلوك في الكتاب العزيز وعاقبة ذلك في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ<sup>(١٨)</sup> فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ<sup>(١٩)</sup> ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ<sup>(٢٠)</sup> ثُمَّ نَظَرَ<sup>(٢١)</sup> ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ<sup>(٢٢)</sup> ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ<sup>(٢٣)</sup> فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ<sup>(٢٤)</sup> إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ<sup>(٢٥)</sup> سَأُصَلِّيهُ سَفَرًا<sup>(٢٦)</sup>﴾  
المدثر: ١٨ - ٢٦.

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/٥٨٨).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٤٦).

(٣) المعجم الوسيط (٢/٦٩٨).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/١٨١).



## ٢. المنحرفة:

لغة:

الانحراف: من «حَرَفَ عَنْهُ حَرْفًا: مَالَ وَعَدَلَ، وَحَرَفَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ حَرْفًا: صَرَفَهُ وَغَيَّرَهُ، وَحَرَفَ الْكَلَامَ: غَيَّرَهُ وَصَرَفَهُ عَنِ مَعَانِيهِ»<sup>(١)</sup>، وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره<sup>(٢)</sup>، و«حَرَفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: طَرْفُهُ وَشَفِيرُهُ وَحَدُّهُ»<sup>(٣)</sup>.  
اصطلاحاً:

الانحراف هو: «الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان»<sup>(٤)</sup>.

المراد بالأفكار المنحرفة:

يعد هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة ؛ ولذلك لم تذكر معاجم اللغة العربية تعريفاً له.

وقد عرف الانحراف الفكري بأنه: «ضد الاستقامة التي أمر الله بها ورسوله، وهو الميل عن طاعة الله ورسوله، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات، والأخلاق»<sup>(٥)</sup>، ولا ريب أن هذا التعريف من منظور القيم والمعايير التي نؤمن بها في مجتمعاتنا، وهو المقصود في هذا المبحث.

(١) المعجم الوسيط (١/١٦٧)

(٢) لسان العرب (٩/٤١)

(٣) الصحاح للجوهري (٤/٢٨).

(٤) الإسلام والشباب، لمحمد الزحيلي، ص ١٦٣.

(٥) وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، د. سليمان بن قاسم العيد، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٤، العدد ٢٨، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (١٤٢٠هـ)، ص (٢٤٦).





وهذا التعريف يمكن أن ينطبق على الأفكار المنحرفة، للتقارب بينهما، ومع ذلك يُمكن تعريف الأفكار المنحرفة بالآتي:  
ميل الأفكار وانحرافها عن الوسطية والاعتدال، باتجاه التطرف، سواء في الغلو أو الجفاء، ومُخالفتها لدين المجتمع وما يؤمن به من قيم وثوابت.

وتتصف الأفكار المنحرفة بأنها ذات «مفهوم نسبي متغير، فما يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما لا يُعد كذلك في مجتمع آخر؛ وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية والسائدة»<sup>(١)</sup>.  
والغالب أن انحراف الأفكار ناتج عن اختلال في تفكير الإنسان، وبسبب الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراتهِ للأُمور الدينية والسياسية وغير ذلك.

ومما سبق يتضح أن الأفكار المنحرفة ذات اتجاهين:

١. الإفراط، وهو الغلو في الدين، ومن مظاهره الغلو في النبي ﷺ، أو بعض الصالحين، وقد يصل إلى الإلحاد في الذات الإلهية، أو في أسمائه وصفاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢. التفريط، وهو الجفاء عن الدين بالتجرؤ على الثوابت، ومن مظاهره الوقوع في زلل الإرجاء في الدين، وقد يصل إلى استباحة المحرمات، عيادا بالله.

وكلا الاتجاهين يجمعهما الوقوع في فتن الشهوات أو الشبهات

(١) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، لعبدالحفيظ المالكي. ص (٧٠).



واقحامها، مع الجهل بهدي الكتاب والسنة، وعدم الرجوع لأهل العلم الذين يحسنون فهم هذه الشبهات وردها للمحكّمات. أثر العقيدة في التطهير من الأفكار المنحرفة:

إن انحراف الأفكار مخالف لتحقيق التوحيد وما يؤمن به عامة المجتمع المسلم من قيم وأخلاق، وما يسود فيه من ثقافة، لذا لا بد أن يكون للعقيدة أثر في تطهير المجتمع من الأفكار المنحرفة، فمن ذلك:

١. التقرب لله تعالى بتوحيد العبادة حصانة لأفراد المجتمع من الأفكار المنحرفة:

إن انتهاك حقوق الغير بالاعتداء عليهم، قد لا يكون سببه مجرد شهوة عابرة يتوب صاحبها بعد تهذيب سلوكه، بل ربما يخضع لاعتقاد بحلّ تلك الأعمال أو مشروعيتها، نتيجة أفكار منحرفة وقعوا ضحيتها.

بيد أن توحيد العبادة حصانة لأفراد المجتمع من الأفكار المنحرفة، حيث إن تحقيق التوحيد لا يمكن إلا بالتقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح الذي يقصد به الله وحده لا شريك له، فهو حقيق بأن يقرب العباد إلى ربهم، فيحصن الله تعالى عقولهم من الضلال، وتنمو فيهم نوازع الخير ويستشعرون العبودية لله في كل زمان و مكان .

وإن التزام أفراد المجتمع بلوازم التوحيد من العناية بالفرائض، وكماله، من الإكثار من النوافل مخلصين الدين لله تعالى، جديرٌ بأن يقوي جانب الإيمان ومن ثم المحبة والخوف والرجاء لله تعالى، فيصبح





توحيد بالعبادة محصناً، وواقعياً من الزيغ، لجميع شرائح المجتمع، سواء من أعطاه ربه النفوذ والمكانة الاجتماعية، أو من هم دون ذلك. لأن من أهم أسباب الانحراف البعد عن الله تعالى، وعلاجه يكمن في التقرب إليه سبحانه بما يحب، لأن المولى تبارك وتعالى له عناية بمن سعوا لتحقيق التوحيد بالعمل الصالح. وقد ورد في السنة ما يدل على أن التقرب إلى الله تعالى بكثرة النوافل بعد المحافظة على الفرائض حصانة لصاحبه عن الميل والنكوص عن الفكر القويم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعادني لأعيدنه..) الحديث (١).

وقد بين ابن بطال -رحمه الله- معنى كون الله تعالى مع عبده الذي حقق محبته بعبادته فقال: «وجه ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا في الله والله، فجوارحه كلها تعمل بالحق» (٢). ولا ريب أن هذه الصيانة للعبد من الموبقات، ومنها الأفكار المنحرفة سببها تحقيق التوحيد بالتقرب لله تعالى بعبادته وحده لا شريك له.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع، (٣٨/٨١)، برقم (٦٥٠٢).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٢/١٠).





ثم إن أصحاب الأفكار المنحرفة يحتاجون إلى تصحيح مسار أفكارهم بتذكيرهم بما يدينون لله تعالى من عبودية، ومن ثم مطالبتهم بتطبيق هذه العقيدة على أرض الواقع بربط حق الله تعالى بحقوق العباد، وتذكيرهم بالنصوص المستفيضة الدالة على ذلك، حيث إن من شأن الإيمان أن يعيد صاحبه إلى رشده إذا طبقه على سلوكياته.

وكلما حقق التوحيد كل فرد من أفراد المجتمع، وطبقوه جيداً كان ذلك سبباً لسلامة أفكارهم من الانحراف.

٢. وسطية العقيدة نجاة من الغلو والتطرف:

إن الانحراف الفكري خروج عن الوسطية والاعتدال، فهو إما أن يتجه بصاحبه إلى الغلو والإفراط في الدين، أو يتجه به إلى الجفاء والتفريط والتقصير فيه.

فاتخاذ الوسطية والاعتدال منهجاً للحياة، وتطبيق ذلك في جميع المجالات على مستوى الأفراد والمجتمع نجاة للجميع من انحراف الأفكار بالغلو أو الجفاء.

لأن الوسطية مما يميز عقيدة أهل السنة والجماعة وهي صفة شرفها الله تعالى بها على الأمم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣.

وقد وضع معنى الوسطية في عقيدة أهل السنة والجماعة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذكر أن أهل السنة والجماعة وسط: «في باب الوعد والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما





فضل الله به الأبرار على الفجار، وهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الغالي في بعضهم الذي يقول بإلهية، أو نبوة، أو عصمة، والجافي فيهم الذي يكفر بعضهم أو يفسقه. وهم خيار هذه الأمة<sup>(١)</sup>. فالغلو أو الجفاء يعدُّ كل واحد منهما انحرافاً مُخالفاً لوسطية العقيدة؛ ومن ابتلي بشيء من ذلك عنده خلل في أفكاره، فلا يلتزم بمنهج الدين الوسط، إما بالإفراط في فهم المسائل العقدية، أو التفريط فيها. كما أن ذلك سبب مهم من أسباب تفكك المجتمع وانحلاله، و يشكل خطراً على العلاقات الاجتماعية.

أما إذا حقق أفراد المجتمع التوحيد فلا بد أن يكون منهجهم في الاعتدال والتوسط يحقق لهم وقاية ونجاة من الميل إلى الغلو أو الجفاء في الدين وهما أحد طرفي الأفكار المنحرفة.

٣. الأخذ بيد أفراد المجتمع إلى الجادة عن طريق تصدر العلماء الربانيين:

إن عقيدة التوحيد تقتضي الرجوع إلى مصدر الوحي: الكتاب، والسنة، والاحتكام إليهما، والرضى بهما. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥.

وقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩.

(١) الجواب الصحيح (١/ ٧٥).



أي: «فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»<sup>(١)</sup>، حيث إن الكتاب والسنة هاديان إلى الرشد، والتي هي أقوم .

وقد أبان لنا ربنا تبارك تعالى في كتابه العزيز أن استنباط الدين لا يكون إلا عن طريق العلماء العاملين الذين يحسنون تدبر القرآن الكريم وتفهم معانيه بما أوتوا من علم، فيأخذون بالمجتمع إلى جادة الصواب من أي انحراف في الفهم، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ .

ثم قال عز من قائل: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ٨٣ .

فالذين يستنبطونه: «هم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الأمور وما ينبغي أن يذاع منها»<sup>(٢)</sup>.

ولولا فضل الله تعالى ورحمته لاتبعوا الشيطان فانحرفوا عن الصراط المستقيم والهدى القويم.

ومما يشهد لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٩ .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله في معنى هذه الآية الكريمة أنه: «سواء أريد به أنه بين في صدورهم، أو أنه محفوظ في صدورهم، أو أريد به الأمران وهو الصواب، فإنه محفوظ في صدور العلماء، بين في

(١) الدر المشور للسيوطي (٥١٣/٤).

(٢) تفسير الخازن (٥٦٣/١).





صدورهم، يعلمون أنه حق، كما قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦) (١). وقال سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٤).

وهذه الأدلة تبين أن العلماء الربانيين هم سبب الهدى للمجتمع، فالرجوع إليهم من عقيدة أهل السنة والجماعة .

كما أنهم المرجع لفهم كتاب الله وسنته واستنباط أحكامهما، وإذا تصدر العلماء المجتمع فقد سلم من الانحراف الفكري الذي أحد أسبابه ترؤس الجهال، فإن من أعظم ما ينحرف بفكر المجتمع أن يتصدى لإرشاد الناس وتعليمهم أمور دينهم قليلو البضاعة من العلم، أو أصحاب الزيغ و الأهواء؛ لأن مثل هؤلاء يفسدون ولا يصلحون، ويضلون أفراد المجتمع عن الطريق المستقيم، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (٢).

كما أن المولى تبارك وتعالى حذرنا من اتباع هؤلاء الجهال الذين

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (٣/٣٤) برقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٥/٤٧) برقم (٢٦٧٣).





يضلون الناس، وبين أنهم أصحاب أهواء وليسوا من العلم في شيء بل هم في ضلال ودعاة ضلال.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ المائدة: ٧٧.

قال شيخ الإسلام: «وأولئك ضلوا من قبل هؤلاء وأضلوا أتباعهم وهم كثيرون وضلوا عن سواء السبيل، وهو وسط السبيل وهو الصراط المستقيم»<sup>(١)</sup>.

إن الله تعالى قد منّ على العلماء الربانيين بآلات الفهم والبصيرة لكتابه وسنة نبيه ﷺ، فهم الذين يبصرون أفراد المجتمع بدينهم، ويصرفونهم عن أهل الأهواء والانحرافات الفكرية، الذين يتجرأون على النصوص الدينية دون علم، ويُخرجون النصوص الشرعية عن سياقها، ويحكمون على الآخرين أحكاماً خطيرة، ويشيرون بالشبهات. ولا يزال فهم الكتاب والسنة عن طريق العلماء الربانيين سبباً لتطهير المجتمع من الأفكار المنحرفة، والأخذ بيد أفرادها إلى جادة الهدى.

٤. لزوم جماعة المسلمين وإمامهم عاصم من الأفكار المنحرفة:

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، كما جاءت بذلك النصوص، ومن خالف هذا الأصل فقد خالف سبيل المؤمنين.

فمن ذلك حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من أطاعني فقد

(١) الفتاوى (٣/١٧٤).



أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني  
ومن يعص الأمير فقد عصاني، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتِلُ مِنْ وَرَائِهِ،  
وَيَتَّقَى بِهِ، فَإِنِ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنِ قَالَ بِغَيْرِهِ  
فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

ومعنى (يتقى به): «يرجع إليه في الرأي والفعل وغير ذلك مما لا  
يجب أن يقضى فيه إلا برأي الإمام وحكمه، ويتقى به الخطأ في الدين  
والعمل من الشبهات وغيرها، والإمام جنة بين الناس بعضهم من  
بعض؛ لأن بالسلطان نزع الله تعالى عن المستضعفين من الناس فهو  
ستر لهم، وحرز الأموال، وسائر حرمان المؤمنين أن تنتهك»<sup>(٢)</sup>.

أما لزوم جماعة المسلمين، فإنها عصمة من الانحراف، لأن الله  
تعالى مع الجماعة، لحديث النبي ﷺ: (يد الله مع الجماعة، وإن  
الشیطان مع من فارق الجماعة يركض)<sup>(٣)</sup>.

أي: «أن الجماعة المتفقة من أهل الإسلام في كنف الله ووقايته

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، في كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام  
ويتقى به (١٠٩/٥٦) برقم (٢٩٥٧)، ومسلم إلى قوله (فقد عصاني) في كتاب الإمارة  
باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٦١/٣٣)،  
برقم (١٨٣٥).

(٢) شرح ابن بطال (١٢٨/٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٥٧٧) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده  
صحيح.

وأخرجه الترمذي عن ابن عباس في (٢١٦٦) بدون (وإن الشيطان مع من فارق  
الجماعة يركض) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا  
من هذا الوجه، قال محققه الألباني: صحيح.



فوقهم، وهم بعيد من الأذى والخوف والأذى والاضطراب فإذا تفرقوا زالت السكينة وأوقع بأسهم بينهم وفسدت الأحوال»<sup>(١)</sup>.  
وليس المقصود بالجماعة الكثرة وإنما جماعة المسلمين هم أهل الحق وإن كانوا قلة.

قال المناوي رحمه الله: « حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف كثيرا، أي الحق هو ما كان عليه الصحابة الأول من الصحب، ولا نظر لكثرة أهل الباطل»<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن أصحاب الأفكار المنحرفة يعيشون في عزلة فكرية اجتماعية؛ لأن تصوراتهم، وما يؤمنون به من فكر تخالف ما هو سائد بين أفراد جماعة المسلمين الملتزمة بالحق، ثم يركض الشيطان لهم ليظفر بفريسته، فيكون قائدهم في أفكارهم، ويزيدهم نفورا عن جماعة المسلمين وإمامهم.

ولذا تجد الفئة المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة تنزع الطاعة لإمام المسلمين، وتشق العصا، وتفارق الجماعة وتنازها بشبهات واهية، لا يحل أن تعارض بها نصوص الكتاب والسنة.  
إن طاعة ولاة الأمر من الأمراء والعلماء، جنة يتقى بهم، ولزوم إمام المسلمين وجماعتهم سبب لاجتماع المسلمين على الحق والهدى، ونجاة للمجتمع من الضلال بالشذوذ الفكري والميل عن سبيل

(١) تحفة الأحوذى (٦/٣٢٣).

(٢) فيض القدير (٤/١٣١).





المؤمنين، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ويدل لذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة..) الحديث<sup>(١)</sup>.

٥. العلم بعقيدة التوحيد وقاية من الجهل الذي يسبب الانحراف

الفكري:

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ محمد: ١٩.

هذه الآية الكريمة فيها دعوة لتعلم العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد (لا إله إلا الله)، فإن من لوازم العقيدة الصحيحة أن يعبد العباد ربهم على بصيرة ويتخلصوا مما يضاد عقيدتهم أو ينفىها.

وإن تعلم الناس - ولا سيما الشباب - أحكام عقيدتهم، عقيدة أهل السنة والجماعة ودراستها دراسة تأصيلية لا تحريف فيها ولا تزييف، وفهم نصوصها على نحو فهم السلف الصالح وقاية لهم ولمجتمعاتهم - بإذن الله - من الجهل المركب الذي هو أصل الأفكار المنحرفة. يوضح ذلك أن من عقائد أهل السنة والجماعة عدم تكفير المعين الذي تلبس بالكفر إلا بعد تحقق الشروط وانتفاء الموانع، لأنه قد يكون

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٧) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه و سليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان وقد روى عنه أبو داود الطيالسي و أبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم.. وقال الشيخ الألباني: صحيح دون (ومن شد)، وبألفاظ أخرى: أخرجه أحمد رقم (٢٧٢٦٧)، والطبراني رقم (٢١٧١) قال الهيثمي (٧/٢٢٢): فيه راو لم يسم، وأخرجه عبد بن حميد رقم (١٢٢٠) وابن ماجه رقم (٣٩٥٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٤) والدارقطني في رقم (١٣١٨).





مخطئاً مُتَأَوِّلاً مغفوراً لَهُ خَطْوُهُ، ونحو ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - «إن المقالة تكون كفراً، كمن جحد وجوب الصلاة، والزكاة والصيام...، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب، وكذا لا يكفر جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره.»<sup>(١)</sup>

كما أن من عقائدهم أن فاعل الكبيرة لا يكفر بها ما لم يستحلها، فالمسلم إذا شرب الخمر أو زنا أو سرق أو أكل الربا نقص إيمانه نقصاً عظيماً ولا شك، ولكنه لا يكفر بذلك، ومن تاب تاب الله عليه، وإذا مات قبل أن يتوب فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، «وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة مادام أنه من أهل التوحيد»<sup>(٢)</sup>. وإذا تأملنا اليوم كثيراً من المنحرفين فكرياً نجد أنهم يخالفون هذا الأصل العقدي، بسبب الجهل، فيكفرون المسلمين بغير مكفر، أو يكفرونهم بذنوب فعلوها بسبب الجهل، أو الخطأ، أو فعلوها دون استحلال لها.

ومن هنا تكمن أهمية العلم الشرعي بجميع فروعها، لجميع فئات المجتمع كل بحسب فهمه، لأن نقص العلم بعقيدة التوحيد عند أصحاب الفكر المنحرف من أول المسببات في تفشي الأفكار المنحرفة بينهم.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٤)، وانظر نحو ذلك في الفتاوى (٧/ ٦٨٤، ٦٢١، ٦٢٠، ٥٠١).

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٠).





ومن محاسن نشر العلم الشرعي أن يترى الناس على عدم أخذ العلم من غير أهله المعتبرين، المشهود لهم بالعلم، كما سيقدرّون عظم أمر الفتوى، وأن التصدّر لها بغير علم قول على الله بلا علم، فيحذرون من تلقي الفتاوى ذات المصادر المشبوهة، التي تسبب انحراف الفكر عن الحق، كما أنهم بمعرفة العقيدة الصحيحة، سيعرفون موقف الدين من الغلو والجفاء\_ طرفي الانحراف\_، وسيزول عن أفراد المجتمع كثير من اللبس والاشتباه عند دراسة المسائل العقديّة.

ولن يسهل التضليل والتغريب بهم، من قبل أعداء الملة والدين، وكلما ازداد رصيدهم من العلم اتزنت عواطفهم الجياشة، وقدروا المصالح و درؤوا المفساد، ونظروا في مآل أفعالهم قبل أن يقدموا عليها، يقول الشاطبي<sup>(١)</sup> -رحمه الله-: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون

(١) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد، أبو إسحاق اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية، كان إماماً محققاً أصولياً مفسراً فقيهاً، له استنباطات جليّة، وفوائد لطيفة، وأبحاث شريفة، مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع، من تصانيفه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، توفي في شعبان سنة ٧٩٠هـ. انظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي ٢/٢٠٤-٢٠٥، و انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (٤٦)، و فهرس الفهارس للكتاني (١/١٣٤).





غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك»<sup>(١)</sup>.

فبالعلم ينجي الله تعالى أفراد المجتمع من مغبة الوقوع في الأفكار المنحرفة التي تسبب هلاك المجتمع أو ضياعه، والله أعلم.



---

(١) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (١٧٧/٥).





## الفصل الخامس

عقيدة الولاء و البراء وأثرها على المجتمع



وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الولاء للإسلام والمسلمين على المجتمع.

المبحث الثاني: أثر البراء من الشرك وأهله على المجتمع.







## المبحث الأول

أثر الولاء للإسلام والمسلمين على المجتمع



إن من خصائص المجتمع المسلم أنه يقوم على عقيدة الولاء للإسلام والمسلمين، و البراء من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة: ٧١ .

وقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ الممتحنة: ٤ .

وتحقيق عقيدة الولاء والبراء من مقتضى تحقيق التوحيد، يدل لذلك كثرة النصوص في تقريرهما، ولذا فإن لهما قدراً عظيماً في قلب المؤمن بمقدار عظمة عقيدة التوحيد عنده.

ولارتباط عقيدة الولاء والبراء ببعضهما، وكونهما جزءاً من عقيدة التوحيد، سيكون الحديث أول هذا المبحث عن منزلتهما من الدين قبل الشروع في أثرهما.

وأما سبب فصلهما (كل في مبحث) مع كون الولاء لا يتم إلا بالبراء فهو لتنوع الأثر لكل منهما على المجتمع.





منزلة الولاء والبراء من الدين:

يعد (الولاء والبراء) شرطاً في الإيمان، لقوله تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبَسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ المائدة: ٨٠ - ٨١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح هذه الآية: «فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال:

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ «فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه»<sup>(١)</sup>.

وهما أوثق عرى الإيمان التي تربط المؤمن بالخالق وبالخلق. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: (أي عرى الإيمان أوثق؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: (الموالاتة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: كتاب الإيمان لابن تيمية (١٤).

(٢) رواه أحمد (٢٨٦/٤)، وابن أبي شيبة في الإيمان (١١٠)، والحاكم في المستدرک (٤٨٠/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٥/١١)، والبغوي في شرح السنة (٣٤٦٨)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٩٨، ١٧٢٨): «فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل، والله أعلم».





وعقيدة التوحيد لا تتحقق إلا بتحقيق الولاء والبراء، حيث « إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله»<sup>(١)</sup>.

مما سبق تبين وجوب ولاء المؤمنين بعضهم بعضاً، وأنها محصورة بهم لا تكون إلا بينهم، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة: ٥٥.

وحيث: «إن المؤمنين أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الموالاة بين المؤمنين، وبين أن ذلك من لوازم الإيمان، ونهى عن موالاة الكفار، وبين أن ذلك منتف في حق المؤمنين»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك «يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاعتداء بهم... فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الحشر: ١٠»<sup>(٣)</sup>.

(١) الاحتجاج بالقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٢).

(٢) الفتاوى لابن تيمية (١٩٠/٢٨).

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان (٢٧٩-٢٨٠).



أما موالة المسلمين للكفار فإن حكمها يختلف باختلاف صورها، إذ أن الحكم فيها ليس حكماً واحداً، فإن من هذه الصور ما يوجب الردة، ونقض الإيمان بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من المعاصي<sup>(١)</sup>، وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>(٢)</sup> رحمه الله أن من نواقض للإسلام فقال: «مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>».

فلا بد أن يعلم أن إعانة الكفار على المسلمين ليس حكمها الكفر المخرج من الملة دائماً، إلا إذا كانت نصرة لدينهم أو محبة للكفر بعد الإسلام ونحو ذلك، أما إذا كانت الموالة لهم لأجل الدنيا، ولا تكون معه نصرة لدينهم، فهذا ذنب ينقص الإيمان.

قال شيخ الإسلام: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة، فتكون ذنباً ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافراً»<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِأَلْمُودَةِ﴾ الممتحنة: ١ .

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع ابن قاسم (٧/ ٢٢٠، ١٥٩، ١٥٥).  
 (٢) هو الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، نشأ في بيت دين وعلم، كان حاد الفهم وقاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ، أعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد السائدة في الجزيرة العربية، فناصره بذلك أمير الدرعية الراشد محمد بن سعود فقام بنصرته ووفى بعهده، فأظهر الله عقيدة السلف الصالح على يديهما، من أشهر مؤلفاته، كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وكتاب الكبائر، توفي رحمه الله عام ١٢٠٦هـ.

انظر الأعلام للزركلي (٧/ ١٣٧ - ١٣٨)، وعلماء نجد للبسام (١/ ٢٥، ٢٦).

(٣) رسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ص (٣).

(٤) الفتاوى (٧/ ٥٢٣).



ومن هنا يتبين أن الصورة الأولى هي: «التولي وحكمها كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والأخرى هي الموالاتة وهي كبيرة من كبائر الذنوب..»<sup>(١)</sup>.

إن عقيدة الولاء و البراء هما التطبيق العملي لعقيدة التوحيد، وهما من أعمال القلوب التي ينشأ عنها أعمال الجوارح ؛ كالنصرة والمعاونة، وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك من الأعمال، ولن تتحقق كلمة التوحيد إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء، وهم المؤمنين، والبراء ممن يستحق البراء، وهم الكفار.

وإذا قوي الإيمان في القلب قوي جانب الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله، أوجب بغض أعداء الله»<sup>(٢)</sup>، وإذا أخل العبد بجانب الولاء و البراء استحق العقاب، ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ آل عمران: ٢٨.

وقد جعل الله لنا من إبراهيم عليه السلام قدوة نفتدي به، إذ قص علينا كيف تبرأ من قومه وعشيرته المشركين وأعلن بغضه لهم، حتى تبرأ من أبيه لما علم إصراره على الكفر: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاءَهُ فَمَا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١١٤)</sup> التوبة: ١١٤

كما تبرأ نبينا ﷺ من كل مشرك، وإن كان من قرابته وعشيرته، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه

(١) الدرر السنية (٨ / ٤٢٢).

(٢) الفتاوى (٧ / ٥٢٢).





وسلم جهارا غير سر يقول: (ألا إن آل أبي - يعني فلانا - ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين)<sup>(١)</sup>.

وقبل إيراد الأثر الإيجابي الذي تتركه عقيدة الولاء للإسلام والمسلمين على المجتمع لابد من بيان المراد بالولاء.

المراد بالولاء في اللغة:

الوَلَاءُ يعني: «القُرْبُ والدُّنُو، والوَلِيُّ: الاسمُ منه والمُحِبُّ والصَّدِيقُ والنَّصِيرُ»<sup>(٢)</sup>.

ويدل على «النُّصْرَةَ والمَحَبَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والوَلَايةُ ضدُّ العداوة، وأصل الوَلَاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. وقد قيل: إن الوليَّ سمي ولياً من موالاته للطاعات، أي متابعتها لها، والأول أصح، والوَلِيُّ القريب، فيقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه»<sup>(٤)</sup>.

ومجمل القول في لفظ الولاء أنه يدل على: المحبة والنصرة والقرب ومتابعة الطاعات.

الولاء في الاصطلاح:

الاصطلاح الشرعي للولاء مستمد من أصله اللغوي.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تبيل الرحم ببلالها (١٤/٧٨) برقم (٥٩٩٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب موالاته المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم (٩٣/١) برقم (٢١٥).

(٢) القاموس المحيط (١/١٧٣٢).

(٣) المعجم الوسيط (٢/١٠٥٨).

(٤) مجموع الفتاوى: (١١/١٦٠).





وقد عرّف الولاء بأنه: النصرّة والمحبّة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً<sup>(١)</sup>.

وقيل: «الولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم، وتشجيع ميتهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وغير ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ولعل أشمل من ذلك أن يقال في اصطلاح الولاء:

التعبد بمحبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وما يلزم ذلك ظاهراً وباطناً، وموافقة العبد ربه فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال والذوات والعمل بمقتضى ذلك.

أثر الولاء للإسلام والمسلمين على المجتمع:

إن عقيدة الولاء من أعمال القلوب؛ التي لا بد أن يظهر أثرها على الجوارح، ومن ثم فإن أثرها على المجتمع لا بد أن يكون ظاهراً وجلياً، ومن ذلك:

١. تقوية روابط الإخاء واتفاق الكلمة بين أفراد المجتمع:

إن الإيمان بالله هو الرابطة الوثيقة الذي على أساسه يقوم المجتمع المسلم، فرابطة الإيمان هي التي تؤدي إلى الولاء والمحبة والقرب بين المؤمنين بحسب إيمانهم، حيث إن «بعضهم أنصارُ بعض»<sup>(٣)</sup>، و«قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: شرح الطحاوية (٤٠٣).

(٢) انظر: أوثق عرى الإيمان لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٥١، ٥٠، ٤٩).

(٣) تفسير الطبري (٣٤٧/١٤).

(٤) الجامع لاحكام القرآن (٢٠٢/٨) للقرطبي.





وحيث تسود بينهم الألفة والإخاء، والمحبة، والنصرة التي لا يستحقها إلا أهل الولاية من المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ الأنفال: ٧٢. وذلك من أثر الولاء الذي يصير المجتمع المسلم مجتمعاً مترابطاً متماسكاً، كالجسد الواحد، فالمؤمن عضو في جسد المجتمع، يحب المؤمنين ويهتم بأحوالهم، ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، متمسكاً بالرفق بهم والذل وخفض الجناح معهم، ويسعى لمعاونتهم بالنفس والمال واللسان، كما يؤدي حقوقهم من عيادة المريض، واتباع الجنائز، والدعاء والاستغفار لهم، والسلام عليهم، وعدم غشهم في المعاملة، أو أكل أموالهم بالباطل.

وتزيد المحبة والولاء بين المؤمنين كلما ازداد إيمانهم وتمسكهم بدينهم، كما أن قوة الولاء بين أفراد المجتمع المسلم دليل زيادة إيمانهم وطاعتهم لربهم، حتى يصبحوا من أولياء الله المتقين، ثم يستحقون جميعاً من ربهم الإعانة والسادات.

ثم إن الموالاة للإسلام والمسلمين سبب لعموم الخير والثواب المعجل لجميع أفراد المجتمع، يقول الشنقيطي: «الإيمان سبب يوالي به المؤمنين ربهم بالطاعة، ويواليهم به الثواب والنصر والإعانة»<sup>(١)</sup>. وكذلك من أثر عقيدة الولاء اتفاق كلمة المسلمين، ثم توحيد صفوفهم، لأن الولاية التي تربط بعضهم ببعض أعظم رباط وأقواه، «هي ولاية الدين واتفاق الكلمة»<sup>(٢)</sup>، حيث إن اجتماع قلوب المؤمنين

(١) أضواء البيان (١٩/١٢٥).

(٢) تفسير السمعاني (٢/٣٧٢).

على عقيدة الولاء لبعضهم، دافع لنبذ الفرقة واتفاق الكلمة، ومن ثم القوة بالوحدة.

٢. تحقيق التضامن الاجتماعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن النصح للمؤمنين من أهم آثار الولاء لكل مسلم، فإن من مقتضى ولاء المؤمن لإخوانه المؤمنين أن يحب الخير لهم جميعاً كما يحبه لنفسه، ويسعى في الإحسان إليهم وتحقيق النفع لهم، ويبدل قصارى جهده في دفع كل سوء عنهم. وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ التوبة: ٧١.

وقد أفادت هذه الآية الكريمة أن إعانة المؤمنين لبعضهم على الطاعة، من أثر ولائهم لبعضهم. وذلك لأن المؤمنين: «بعضهم على دين بعض، وبعضهم معين لبعض في الطاعة»<sup>(١)</sup>.

و«المؤمنون أيضاً يتعاونون على العبادة، ويتبادرون إليها، كل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته»<sup>(٢)</sup>.

فعقيدة الولاء للإسلام والمسلمين تدفعهم إلى التضامن الاجتماعي، والتعاون في تحقيق الخير العام للمجتمع بالأمر

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٧٢/٢).

(٢) تفسير السلمى حقائق التفسير (١/٢٨٠).



بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا صح ولاء المؤمنين لبعضهم فإنه سيثمر تعاونهم على نشر الخير لعامة أفراد المجتمع بتحقيق الأمور التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية الكريمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والطاعة المطلقة لله تعالى ورسوله ﷺ، وإذا حققوا ذلك شملتهم رحمة الله تعالى - نسأل الله من فضله - كما في آخر الآية، وهي السبب الجالب لكل خير ونعمة، الدافع لكل شر ونقمة، ورحمة الله الواسعة لا تكون في الآخرة وحدها، وإنما في الدنيا أيضاً يفيض الرحمن على المؤمنين آثار رحمته، فقوله تعالى: ﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾، أي «يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة»<sup>(١)</sup>.

فإذا حقق المسلمون الولاء في الدين صلح مجتمعهم، بتعاون أفرادهم على الخير، وتحقق لهم التضامن الاجتماعي.

٣. المحافظة على هوية المجتمع الإسلامية:

إن عقيدة الولاء للمسلمين، تجمعهم على أهداف مشتركة تجعل أفراد المجتمع المسلم يعتزون بدينهم وثقافتهم، ويتميزون عن غيرهم في شتى شؤون حياتهم.

ولقد كان من سبقنا من القرون المفضلة ومن بعدهم يحرصون على التميز عن الكفار في كل شيء، فتجدهم يخالفونهم حتى في المظاهر الاجتماعية فضلاً عما يختص بالعبادات، وتلك المخالفة لها أصل مقصود في عقيدتنا، حيث كان نبينا ﷺ يأمرنا بمخالفة الكفار

(١) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤ / ٨٢).





من اليهود وغيرهم، فقد قال ﷺ: (خالفوا المشركين، ووفروا للحي، وأخفوا الشوارب)<sup>(١)</sup>.

وعن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم)<sup>(٢)</sup>.

فالمخالفة للكفار تقتضي أن يتميز المسلمون عنهم، وأن يتشبه المسلمون ببعضهم لأن

الولاء للمسلمين يقتضي التشبه بهم لا سيما أهل الديانة والتقوى، وذلك لأن أصل الولاء المحبة، والمحبة تقتضي التشبه بالمحبوب ولا بد.

فإذا تشبه المسلمون ببعضهم خاصة الصالحين منهم، فلا شك أن ذلك سيبقي للمسلمين هويتهم التي يتميزون بها عن غيرهم، حيث إن هوية الدين عزة لأهل الإيمان، وحماية لهم ولدينهم حين اختلاطهم بأهل الأديان المخالفة.

وتتعدد مظاهر الهوية الدينية والاجتماعية التي يتميز بها المجتمع المسلم، فمنها الآداب العامة الإسلامية كإفشاء السلام بين المسلمين، وأخلاق الدين أثناء التعامل المهني، ومنها المظاهر السلوكية التي

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر واللفظه، في كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر (٦٤ / ٧٧) برقم (٥٨٩٢)، ومسلم في كتاب الطهارة باب خصال الفطرة (١٦ / ٢) برقم (٢٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٦٥٢)، وابن حبان برقم (٢١٨٦)، والحاكم برقم (٩٥٦) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه البيهقي برقم (٤٠٥٦)، والبخاري برقم (٣٤٨٠)، وصححه الألباني في تخريجه لسنن أبي داود (٢٤٧ / ١).





تشمل الهيئة الخارجية كالالتزام اللباس الموافق لحياء المؤمن، وإعفاء اللحي وحف الشوارب للرجال، والستر بالحجاب الشرعي للنساء. ووجود هذه المظاهر ذات السمة المتميزة من أثر قوة عقيدة الولاء للإسلام وأهله، و بضعف هذه المظاهر تضعف الهوية الإسلامية، وتتجه الشخصية الإسلامية نحو التقليد والتبعية. كما أن مظهر الهوية الإسلامية دليل على تماسك المجتمع، ولولا كونه مبنياً على دعائم العقيدة المتينة لما انتشرت مظاهر الدين بين أفراد.

كما أن هذه العقيدة إذا طبقت ظهرت على أرض الواقع، وترسخت في النفوس، وأثمرت علاقات اجتماعية سوية في المجتمع ليصبغ بصبغة إسلامية، فعقيدة الولاء للدين وأهله كالسياج الذي يحمي هوية الأمة الدينية، وينمي شعور عزة الانتماء للإسلام والمسلمين.





## المبحث الثاني

أثر البراء من الشرك وأهله على المجتمع



المراد بالبراء:

البراء لغة:

«الباء والراء والهمزة أصول لها عدة معاني، منها التباعد من الشيء ومُزَايَلَتُهُ، ومن ذلك البرء، وهو السلام من السقم»<sup>(١)</sup>.

وقيل: «أصل البرء والبراءة: التقصّي مما يكره مجاورته»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: «برئ إذا تخلّص، وإذا تنزّه وتباعد، وإذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ التوبة: ١، أي: إعدار وإنذار»<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام: «والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض، وأصل الولاية الحب»<sup>(٤)</sup>.

إذن البراء في اللغة يطلق على عدة معان منها: البعد، والتنزه، والتخلص، والبغض.

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ١٢١).

(٣) لسان العرب (١/٣٥٤-٣٥٦).

(٤) الفتاوى: (١٠/٤٦٥).





البراء في الاصطلاح:

عُرِّف البراء بأنه: البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإندار<sup>(١)</sup>.

وقيل: «البراءة من الكفار تكون ببيغضهم ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعاً، وجهادهم بالمال واللسان والسنان، ونحو ذلك من مقتضيات العداوة في الله»<sup>(٢)</sup>.

ولعل أشمل من ذلك أن يقال في اصطلاح البراء: التبعّد ببغض الكفر وأهله وكل ما يعبد من دون الله، وما يلزم ذلك ظاهراً وباطناً، وموافقة العبد ربه فيما يسخطه، ويكرهه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والذوات والعمل بمقتضى ذلك.

وقد أوجب الله تعالى على المؤمنين أن يقدموا كامل الموالاة للمؤمنين، وكامل المعاداة للكافرين.

والإعراض عن المشركين بالظاهر لا يكفي في البراء، بل يجب مع ذلك البغض بالقلب، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «براءة الخليل من قومه المشركين ومعبودهم ليست تركاً محضاً، بل صادراً عن بغض وعداوة»<sup>(٣)</sup>.

ومع بغضهم وعداوتهم والبراءة منهم ومن معبوداتهم، فإن ديننا

(١) انظر: شرح الطحاوية (٤٠٣).

(٢) انظر: أوثق عرى الإيمان لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٥١، ٥٠، ٤٩).

(٣) الفتاوى (١٤ / ٢٢٤).



حرم الظلم عليهم وغيرهم، فلا يعني بغض الكفار عدم العدل، بل لابد من معاملتهم بالعدل، لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾  
المائدة: ٨.

أثر البراء من الشرك وأهله على المجتمع:

١. الترابط بين أفراد المجتمع:

إذا كان من لوازم موالة المسلمين نصرتهم، فإن البراء من المشركين يعني عدم مظاهرتهم أو معاونتهم على المسلمين، فضلاً عن التجسس على المسلمين أو نقل أخبارهم وأسرارهم إلى عدوهم. حيث إن مظاهره المشركين ونصرتهم على المسلمين ناقض للإيمان، لأنه لو كان متوليهم مؤمناً ما فعل ذلك، ويقدر مكانة الإسلام والمسلمين تكون براءته من الشرك والمشركين.

قال أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطنهم أعداء الشريعة»<sup>(١)</sup>.

ومما يوضح أثر مظاهره أهل الشرك على المجتمع، قيام بعض من ينتسب إلى الإسلام بمحاولة تفكيك المجتمع وإضعاف الترابط بين أفراده مادياً أو معنوياً، عن طريق معاونة الكفار ونصرتهم على المسلمين بشتى أنواع المظاهرة، من ذلك ما يقوم به المنافقون من بث المقالات

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٦٨).





التي تلمز المؤمنين وتحاول إثارة الشحناء والعداوة بينهم، وتصف أهل الديانة والصلاح بالانغلاق والتشدد والقسوة، بهدف إثارة البغضاء بين أفراد المجتمع المسلم وبث الفرقة بين صفوفهم، حتى يسهلوا على الكفار مهمتهم في اختراق صفوف المسلمين، عيادا بالله.

ولاشك أنه حينما يتبرأ المسلمون من أهل الشرك، فإن الأثر على المجتمع المسلم عظيم، وأهم أثر أن التزام هذه العقيدة عبودية لله تعالى، التي ستثمر قوة التلاحم بين أفراد المجتمع، وإفساد خطط الكفر وأهله التي لم تكن تتم لولا وجود دخلاء في المجتمع.

وكلما كان عقيدة البراء أقوى كانت وحدة صف المسلمين أمتن، حتى مع وجود المنافقين الذين لا يقصرون عن مظاهر الكفار، فإن تحقيق عامة أفراد المجتمع لعقيدة البراء سيزيد من تماسك المجتمع ووحدته ضد عدو الله وعدوهم.

٢. وقاية المجتمع من الفساد بعدم مشابهة المشركين أو مشاركتهم أعيادهم:

إذا كان أصل البراء هو البغض والمعاداة، فإن ذلك لا يستقيم مع التشبه بالمشركين أو مشاركتهم أعيادهم التي هي في الحقيقة مسرات لهم وأفراح.

وقد امتدح الله تعالى عباده المؤمنين بعدم شهودهم أعياد المشركين، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۗ ﴾ (٧٢) الفرقان: ٧٢.

والزور كما قال بعض المفسرين هو: «أعياد المشركين»<sup>(١)</sup>.

(١) الفتاوى (١٤ / ٢٢٤).



وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالكفار مبيناً خطورته في كونه يوجب الانتماء لهم، فقال ﷺ:

(من تشبه بقوم فهو منهم)<sup>(١)</sup>، قال ابن القيم: «وسر ذلك أن المشابهة في الهدى الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل»<sup>(٢)</sup>.  
وأى خطورة أعظم على المجتمع المسلم من موافقة المشركين في القصد والعمل.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً ارتباط التشبه بالمشركين بهذه العقيدة: «والموالاتة والمواداة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا تجد أن أهل العلم في غاية التحذير من مشابهة المشركين أو مشاركتهم أعيادهم لما يترتب عليه من إفساد لدين من يشهدها وإعجابه بكفرهم، وكذلك تأثر من يحضرها بالفسوق الذي يصاحبها لا سيما معاقرة الخمرور، وارتكاب الفواحش علناً.  
وقد ذكر الذهبي<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - كلاماً نفسياً في مجانبة التشبه في

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٥٠/٢) وحسنه الألباني في الجامع الصغير (٦٠٢٥).

(٢) إعلام الموقعين (٣/١٤٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: (١/١٨٣).

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي الشافعي شيخ المحدثين، عرف بخدمته للحديث الشريف، وانتشرت مؤلفاته وتحقيقاته النافعة، ذاع صيته وطار حتى صار مؤرخ الإسلام ومحدث العصر، له مؤلفات كثيرة معظمها في التاريخ والتراجم والحديث، من أشهرها (سير أعلام النبلاء)، و(تذكرة الحفاظ)، و(ميزان الاعتدال). توفي رحمه الله عام ٧٤٨ هـ انظر: البدر الطالع للشوكاني ١١٠/٢، البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٥/١٤.





الكفار أو مشاركتهم أعيادهم فقال: « وقد أوجب الله عليك - يا هذا المسلم - أن تدعو الله تعالى كل يوم وليلة سبع عشرة مرة بالهداية إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فكيف تطيب نفسك بالتشبه بقوم هذه صفتهم، وهم حطب جهنم...، وتحتفل بعيد عدوك....! »

فأين يُذهبُ بك إن فعلت ذلك إلا إلى مقت الله وسخطه، إن لم يغفر الله لك إن علمت أن نبيك محمداً ﷺ كان يحض على مخالفة أهل الكتاب في كل ما اختصوا به»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن عدم شهود المسلمين أعياد الكفار، وما يتبع ذلك من التهنئة بها، تنقية للمجتمع المسلم من الفساد الديني والخلقي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن من أخطر الفساد على المجتمع المسلم مشاركة الكفار في أعيادهم وهي محرمة في أقل الأحوال لما في ذلك من إظهار الرضا بما يخالف العقيدة الصحيحة، حيث إن تلك الأعياد من البدع المحدثه»<sup>(٢)</sup>.

ومن باب أولى يتعين على المجتمع المسلم عدم السماح للكفار بإظهار أعيادهم في بلاد المسلمين، «وقد اتفق المسلمون على منع أهل الكتاب من إظهار أعيادهم في دار الإسلام..، لما فيه من الفساد، وإظهار شعائر الكفر»<sup>(٣)</sup>.

(١) تشبيه الخسيس بأهل الخميس للذهبي، (٢١-٢٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٢٦، ٤٢٥).

(٣) المرجع السابق (١/٤٥٤).



فإذا قاطع المسلمون هؤلاء في أعيادهم ومناسباتهم الدينية كان في ذلك سلامة لدينهم ووقاية لأنفسهم ومجتمعهم من الفساد بشتى صورته. أما التشبه بهم فيما هو من خصائصهم من أمور الدين كشعائر دينهم وعبادتهم، أو أمور الدنيا من العادات والتقاليد، فإنه يكفي المجتمع من الفساد أن ذلك يتدرج بمقلديهم من المسلمين حتى يألفوا دينهم ويوافقوهم في كل ما يتعلق به حتى ينخلعوا عن دين الإسلام والعباد بالله.

٣. تكثير سواد المسلمين واقتصادهم بهجرتهم من بلاد الكفار:

إن من مظاهر البراء من الشرك وأهله، الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين، ويُسْتثنى من ذلك المستضعف، ومَنْ لا يستطيع الهجرة لأسباب شرعية، وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ النساء: ٩٧ - ٩٩

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: «هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراي المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١/٥١٤).



كما أن «من مظاهر موالاته الكفار الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين، لأن الهجرة بهذا المعنى ولهذا الغرض واجبة على المسلم؛ لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاته الكافرين، ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة...، فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم...»<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على كل عاقل أن في إقامة المسلم في بلاد الكفار - بلا سبب شرعي - مضرة على عقيدته، ومن ذلك أيضاً السفر إلى بلاد الكفار لغرض السياحة حيث إن «من موالاته الكفار السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس، والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة، كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم، فيجوز بقدر الحاجة، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة»<sup>(٢)</sup>.

كما أن للهجرة من بلادهم إلى بلاد المسلمين منافع عظيمة للمجتمعات المسلمة من تكثير لسواد المسلمين، وتقوية لاقتصادهم، ونماء للخير في بلادهم، وعلى العكس من ذلك فإن إقامة المسلمين في بلاد المشركين والسفر إلى بلادهم للتنزه وتقوية لاقتصاد بلاد المشركين مما يشكل خطراً على المجتمعات المسلمة.

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص ٢٨٠).

(٢) المرجع السابق (٢٨٠-٢٨١).



وأيضاً فإن المسلمين حينما يقيمون في بلاد إخوانهم المسلمين فإن  
أعظم النفع لهم حفظ عقيدتهم، حيث يعبدون ربهم في بلاد تقام فيها  
شرائع الإسلام، وتمنع فيها شعائر الكفر وأهله، فيجتمع للمسلمين  
الأمن على الدين والدنيا وذلك ما كان لهم لولا عقيدة البراء من الشرك  
وأهله، والله أعلم.





## الفصل السادس

وسائل تثبيت العقيدة في المجتمع



وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعليم.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: الدعوة.

المبحث الرابع: القدوة الحسنة.

المبحث الخامس: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.







## المبحث الأول

### التعليم



مما لا شك فيه أن ديننا دين الإسلام مبناه على الوحي؛ قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (٤٥)

الأنبياء: ٤٥ .

وقد تفضل الله تعالى على عباده بمصدري الوحي الكتاب والسنة، وجعلهما فضلاً منه ورحمة، وهداية من الضلال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحِمْتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣) النساء: ١١٣ .

وإذا كانت إقامة الدين عقيدة وشريعة لا تحصل إلا باتباع كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك لا يتحقق إلا بتعلم وتعليم الكتاب والسنة، ولذلك أمر المولى تبارك وتعالى بطلب العلم؛ فقال: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٩) محمد: ١٩ .





وقد ندب الله تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين؛ فقال تعالى:  
 ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ  
 طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ  
 يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) التوبة: ١٢٢.

وقال ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) (١).  
 ولن يكون التفقه في الدين إلا في تعلم وتعليم كتاب الله وسنة  
 رسوله ﷺ.

وللعلم بالكتاب والسنة طرق، وآلات، من يسرها الله له، وأراد به  
 خيرا فقه فيها، ومن تنكب تلك الطرق، وحرّم آتات العلم، لم يعرف  
 عقيدته الصحيحة؛ ولم يستطع أن يسلك سبيل النجاة.

فاكتساب العلم لا يكون إلا بالتعلم؛ فإنما العلم بالتعلم، فالعلم  
 بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ سبيله بذل الجهد في طلبه، والأخذ من  
 أفواه العلماء الربانيين؛ المشهورين بالديانة؛ الذين قد ارتقت في العلم  
 درجاتهم، وعلت فيه منزلتهم.

فأخذ العلم منهم هو مصدر العلم الصحيح، الذي يثبت العقيدة  
 الصحيحة. وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله أن سبب انحراف المنحرفين  
 مرتبط بانحرافهم عن التعلم الصحيح، فقال: «ومن هنا يتبين انحراف  
 أكثر الناس عن الإيمان لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة» (٢).

(١) أخرجه البخاري من حديث معاوية رضي الله عنهما، في كتاب العلم، باب من يرد الله  
 به خيرا يفقهه في الدين (٣/١٣) برقم (٧١).

(٢) الفوائد لابن القيم، ص (١١٦).





ثم بيّن مصدر المعرفة الموصل إلى الاستقامة والهدى فقال: «ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة، وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق، فيكون علمه مقتسباً من مشكاة الوحي، وإرادته لله والدار الآخرة، فهذا أصح الناس علماً وعملاً، وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله، ومن خلفاء رسوله ﷺ في أمته»<sup>(١)</sup>.  
والحاصل أن التعليم - من مصادره الصحيحة - وسيلة نافعة لتثبيت العقيدة في المجتمع.

إسهام التعليم في تثبيت العقيدة في المجتمع:

المجتمع المسلم مجتمع موحد بفطرته، ثم باتباعه هدي نبيه ﷺ، وعقيدة التوحيد هي الدين الذي يدين أفراد المجتمع المسلم لله بها، ولكنها تحتاج إلى تثبيت في قلوبهم، لما يتعرض له المؤمنون من فتن وشبهات قد تصدهم عن عقيدتهم.

وقد كان التعليم وما يزال وسيلة هامة لتثبيت العقيدة الصحيحة في المجتمع وحماية أفراد من الصوارف التي تصرفهم عن دينهم، حيث إنه قد يندرس العلم بالعقيدة الصحيحة عند بعض المجتمعات المسلمة بسبب الجهل.

ويمكن بيان إسهام التعليم في تثبيت العقيدة في المجتمع فيما يلي:

١. تجديد العقيدة الصحيحة في المجتمع:

يكون التجديد بإحياء عقيدة التوحيد في المجتمع، وقد قيض الله من يجدد للمسلمين دينهم بالتعليم، كما جاءت بذلك البشارة النبوية،

(١) المرجع السابق.





ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (١).  
ومعنى التجديد: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وتبيين السنة من البدعة، ونصرة أهل السنة وكسر أهل البدعة» (٢).

وقد تحقق وعد الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، فمن الله تعالى على هذه الأمة بمن يعلم الناس عقيدتهم الصحيحة ودينهم الحق فيجدد لهم إيمانهم ويثبتهم عليه عند وجود من يسعى لإفساد عقيدة أفراد المجتمع.

قال ابن القيم رحمه الله:

«لما سلط المحرفون التأويلات الباطلة على نصوص الشرع فسد الدين فساداً لولا أن الله سبحانه تكفل بحفظه وأقام له حرساً وكلهم بحمايته من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين لجري عليه ما جرى على الأديان السالفة، ولكن الله برحمته وعنايته بهذه الأمة يبعث لها عند دروس السنة وظهور البدعة من يجدد لها دينها، ولا يزال يغرس في دينه غرساً يستعملهم فيه علماً وعملاً» (٣).

(١) أخرجه البيهقي في المعرفة، رقم (٤٢٢). وأخرجه أيضاً: أبو داود برقم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط، رقم (٦٥٢٧)، والحاكم برقم (٨٥٩٢)، والخطيب (٦١/٢)، والديلمي برقم (٥٣٢)، وقال المناوي (٢/٢٨٢): قال الزين العراقي وغيره: سنده صحيح. وصححه الألباني في تحفة لسنن أبي داود (٤/١٧٨).

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي (٢/٢٨١-٢٨٢).

(٣) الصواعق المرسله لابن القيم (٢/٤٠٠).



ومن أبرز المجددين المتأخرين الذين نفع الله بهم الأمة الإسلامية بانتشالها من براثن الشرك، الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، الذي كان له الأثر العظيم في تطهير الجزيرة العربية من مهاوي الشرك بالله، حيث أخذ يعلم الناس عقيدتهم الصحيحة، ويبين بطلان ما هم عليه من عبادة الأشجار والأحجار من دون الله تعالى، حتى أَبْصَرَهُم الله به بعد الضلال، وعلمهم عقيدة التوحيد، وصنف المصنفات النافعة في تقرير عقيدة التوحيد التي من أبرزها (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد).

وقد كان من ثمرات تجديد الدين بالتعليم حفظ العقيدة الصحيحة وتذكير أفراد المجتمع بأصول الإيمان التي لا يصح دينهم إلا بها، واختيار المنهج الصحيح في طريقة تبصير الناس بخطورة الشرك والبدع المحدثه التي تهدم الدين، وتنقية عبادة المجتمع مما تلبس بها من البدع ما ليس منها، سواء كان ذلك بسبب عوامل داخلية أو بتأثيرات خارجية.

٢. ثبات عقيدة أفراد المجتمع بتطبيق هدي النبي ﷺ في التعليم:

مما لا ريب فيه إن المنهج المثالي في تثبيت العقيدة بالتعليم هو المنهج المستمد من هدي النبي ﷺ، وإذا طبق أهل العلم منهج النبي ﷺ في تعليم أصحابه انتفعوا أيما انتفاع في ثبات دين المجتمع ورسوخ عقيدته.

لقد كان النبي ﷺ يقدم العناية بعقيدة التوحيد على غيرها، فيتعاهد أصحابه بتعليمهم أصول دينهم كي يثبت الإيمان في قلوبهم، ويتمثل



منهج النبي ﷺ في الجمع بين استكمال تعليم الناس أمور دينهم، مع دوام تنقية المجتمع من كل ما يناقض التوحيد أو ينافي كماله .  
و يمكننا من خلال سيرته العطرة أن نستنبط كيف كان النبي ﷺ يثبت عقيدة أصحابه عن طريق التعليم.  
ويمكن بيان أبرز معالم هدي النبي ﷺ في تعليم الناس أمور دينهم فيما يأتي:

١. حديث جبريل الطويل: ( هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم )<sup>(١)</sup>، فبعد أن علم النبي ﷺ الناس الإسلام وأركانه، والإيمان وأصوله، والإحسان، ذكر أن غرض جبريل عليه السلام أن يتعلم الناس دينهم.  
وبهذا الموقف يتضح البدء والعناية بأصول العقيدة؛ وبيان المسائل الأصلية، التي لا يسع أحد الجهل فيها بخلاف دقائق المسائل وتفصيلاتها، والتي لا يحتاجها إلا المختصون.  
وفي هذا الحديث يتبين أن من هديه ﷺ تعليم العقيدة في جمع من أصحابه وعن طريق طرح السؤال والإجابة عليه كما فعل جبريل عليه السلام، وهذا المنهج في طرح الأسئلة: (أخبرني عن الإسلام... أخبرني عن الإيمان )، امتثله النبي ﷺ في غير موضع لما له من أثر في استثارة الذهن في البحث عن إجابة لهذه الأسئلة، ثم تأتي الإجابة من المعلم لتثبت ما أثير من أسئلة.

(١) سبق تخريجه.





٢. لم يكن النبي ﷺ يقتصر على حلقات العلم التي يجلس فيها مع الصحابة فيعلمهم أمور دينهم، بل كان يعلم أصحابه عقيدة التوحيد حتى في السفر، ويختص بعض أصحابه رضوان الله عليهم دون البقية في تعليم مسائل من العقيدة، كما اختص معاذ بن جبل رضي الله عنه، حيث قال: كنت ردِّف<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير، قال فقال ﷺ: (يا معاذ تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟)، قال: قلت لله ورسوله أعلم، قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، قال: قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟، قال: (لا تبشرهم فيتكلموا).<sup>(٢)</sup>

ففي هذا الموقف التعليمي، الذي يتضح فيه هديه ﷺ في اختصاصه بالتعليم لمعاذ رضي الله عنه بهذا الحديث، بدليل قول معاذ: أفلا أبشر الناس؟ وجواب النبي ﷺ له بقوله: (لا تبشرهم فيتكلموا). دليل على أهمية تخصيص بعض الناس دون بعض بالعلم، ولأن من العلم ما لا يشاع لعامة الناس، بل يؤخر نشره إلى أن يناسب الحال، حيث يكون ذلك أكثر ثباتاً للإيمان في قلوب الناس وهذا يختلف باختلاف الزمان،

(١) الردف والرديف هو الراكب خلف الراكب. شرح النووي (١/٢٣٠)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلييك وسعديك، (٣٠/٧٩) برقم (٦٢٦٧) ومسلم واللفظ له في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/١١) برقم (٣٠).





والمكان، والأشخاص، وإذا روعي تطبيق هذا الهدي النبوي في الاختصاص في مسائل العقيدة، كان له منفعة عظيم في تثبيت العقيدة عند عامة أفراد المجتمع، وحماية لهم من الفتنة.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»<sup>(١)</sup> وقد بوب البخاري - رحمه الله - على هذا في صحيحه بقوله: «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا»<sup>(٢)</sup>.

كما قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين العمل والترك في تحقيق التوحيد، فلا يكفي مجرد العبادة بل لابد من البراءة من الشرك، وهذا ظاهرٌ جلي في جمعه - صلى الله عليه وسلم - بين العبادة وترك ما يضادها حين قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً). وقد عطف النبي ﷺ اجتناب الشرك بقوله (شيئاً) ليدل على تعليم الناس وجوب اجتناب الشرك قليله وكثيره.

٣. كان من هدي النبي ﷺ في تثبيت العقيدة الحكمة في التعليم والتي تتمثل في مراعاة أحوال الناس، وترك بعض الأمور مخافة وقوع أسوأ منها، كما في ترك النبي ﷺ هدم الكعبة ثم إعادة بنائها على قواعد إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لأن الناس كانوا حديثي عهد بكفر.. وقد بوب على ذلك البخاري

(١) مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ماسمع برقم (١٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب رقم (٤٩).



في باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه<sup>(١)</sup>.

٤. لم يكن النبي ﷺ يدع الفرص تفوت في تحذير الناس من الشرك بالله، واقتلاع جذوره من النفوس في منهج علمي قويم، حتى ولو كان ذلك في حال الغزو والجهاد.

فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون<sup>(٢)</sup> بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط<sup>(٣)</sup> قال: فمررنا بالسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر إنها السنن قلت والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ الأعراف: ١٣٨ ، لتركبن سنن من كان قبلكم)<sup>(٤)</sup>.

فلم يؤجل النبي ﷺ تحذيره من الشرك ووسائله لمن معه إلى

(١) البخاري كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه (٤٨/٣) برقم (١٢٦).

(٢) ينوطون بها سلاحهم: أي يعلقونها بها ويعكفون حولها فسألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك. النهاية في غريب الأثر (٢٦٩/٥)

(٣) ذات أنواط: هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين وأنواط: جمع نوط وهو مصدر سُمِّي به المنوط النهاية في غريب الأثر (٢٦٩/٥).

(٤) أخرجه الطيالسي واللفظ له برقم (١٣٤٦)، وأخرج بنحوه أحمد رقم (٢١٩٥٠)، والطبراني رقم (٣٢٩٢). وأخرجه أيضًا: الحميدي رقم (٨٤٨)، وابن حبان رقم (٦٧٠٢) والترمذي برقم (٢١٨٠) وصححه الألباني (١٧٤/٣) (٥٣٦٩).





أن يرجعوا من القتال، وهم على مقربة من الكفار والمشركين فلم يكن النبي ﷺ يؤخر البيان عن حاجته، حيث إن ما يخل بعقيدة التوحيد سبب لفتنة الناس وصددهم عن دينهم، وقد يكون سبب هزيمة المسلمين.

٥. يصاحب ذلك حرص النبي ﷺ على تنقية عقيدتهم من شوائب الشرك بأنواعه والبدع.. حتى في الشرك الأصغر فضلا عن الشرك الأكبر، ومن ذلك شرك الألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين المخلوق، فقد أتى يهودي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إنكم تشركون وتقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت»<sup>(١)</sup>.

٦. ولأن النبي ﷺ لم يكن يغفل تعميق هذه العقيدة في نفوس الناس، فقد أولى ﷺ العبادات القلبية أيما عناية، حيث إنها هي أساس صحة عبادات الجوارح مما يكفل تثبيت الإيمان في النفوس. فكان من منهجه ﷺ في تثبيت الإيمان، ما كان يتعاهد أصحابه بالتذكير بالاستعانة بالله تعالى في كل شئ، والاستغناء عن الناس، بعد تأكيده على حفظ العبد ربه في نفسه.

(١) رواه النسائي من حديث قتيلة بنت صفى الجهني رضي الله عنها، برقم (٣٧٨٢). قال ابن حجر في ((الإصابة)) (٤/٣٨٩): إسناده صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».





يتضح ذلك في وصية نبينا محمد ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال ﷺ له: (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)<sup>(١)</sup>.

٧. كما يظهر ذلك جلياً من خلال تعليم أصحابه وتربيتهم على التعلق بالله تعالى، فقد كان يوجههم إلى سؤال الله وحده دون سواه .

يوضح ذلك حديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (من يتكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنة) فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً<sup>(٢)</sup>.  
وحديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) وقال حديث حسن صحيح (٤/٦٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (١٩٥)، والطبراني رقم (١١٢٤٣). وأخرجه أيضاً: أحمد برقم (٢٨٠٤)، والضياء رقم (١٣). والحاكم رقم (٦٣٠٢)، وأخرجه أيضاً: أبو يعلى رقم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح رقم (١٦٤٣)، والطبراني رقم (١٤٣٣)، والحاكم رقم (١٥٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم (٣٥٢١). وأخرجه أيضاً: أحمد رقم (٢٢٤٢٠). قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٦٦٠٤) في صحيح الجامع.





فقال: (ألا تبايعون رسول الله؟) - وكنا حديثي عهد ببيعة - فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا الله، - وأسرّ كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً) فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه (١).

وقد أثمر هذا المنهج النبوي ﷺ في تعليم أصحابه وتربيتهم على التعلق بالله تعالى، فلما لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ثبتوا على الإيمان بالله ثبات الجبال الراسيات، ولم ينقلبوا على أعقابهم، فقام أبو بكر الصديق رضوان الله عليه أثبت هذه الأمة إيماناً بعد نبينا ﷺ، فقال: «أما بعد، فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]» (٢).

فكان هذا البيان والموقف العظيم من أبي بكر الصديق رضوان الله عليه سبباً لتثبيت الناس على عظم المصاب بموت النبي ﷺ، وتذكيراً

(١) سبق تخريجه ص ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٦٤/٨٤) برقم (٤٤٥٤).



لهم بالعبودية لله وحده لا شريك له، وبالمنهج الذي علمهم ورباهم النبي ﷺ عليه من الإيمان و التعلق بالله سبحانه وتعالى.  
 ٣. صد الشبهات عن عقيدة أفراد المجتمع:

تعليم العقيدة الصحيحة في كل عصر وفي كل مجتمع يكون بمنزلة الحياة للناس بعد موات، كما يحيي الله الأرض بالماء، ومن آثار ذلك أن التعليم يبصر الناس بالحق الذي يكشف الشبهات وي طرح الله به الباطل.  
 قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥٓ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ الرعد: ١٧. وقد «شبه سبحانه العلم الذي أنزله على رسوله بالماء الذي أنزله من السماء لما يحصل لكل واحد منهما من الحياة ومصالح العباد في معاشهم ومعادهم، .. هذا مثل ضربه الله تعالى للعلم حين تخالط القلوب بشاشته فإنه يستخرج منها زبد الشبهات الباطلة فيطفو على وجه القلب كما يستخرج السيل من الوادي زبدا يعلو فوق الماء وأخبر سبحانه أنه راب يطفو ويعلو على الماء لا يستقر في أرض الوادي، كذلك الشبهات الباطلة إذا أخرجها العلم ربت فوق القلوب وطففت فلا تستقر فيه بل تجفى وترمى فيستقر في القلب ما ينفع صاحبه والناس من الهدى ودين الحق كما يستقر في الوادي الماء الصافي ويذهب الزبد جفاء، وما يعقل عن الله أمثاله إلا العالمون . .»<sup>(١)</sup>.

(١) مفتاح دار السعادة (١/٦١) .





إن العلم بالكتاب والسنة إذا انتشر في المجتمع نفع الله به البلاد والعباد، وذهبت الشبهات وتلاشت ولم تستقر في القلوب، ولقد عني العلماء من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً بالذب عن عقيدة التوحيد وطرح الشبهات الباطلة وتفنيدها عن طريق تعليم العقيدة الصحيحة، والرد على شبهات المخالفين على اختلاف مللهم .

ومن الأمثلة على العلماء الذين تصدوا لتفنيدها والرد عليها إمام السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله - الذي صنف كتاب (الرد على الجهمية والزنادقة) وأبطل فيه شبهتهم في القول بخلق القرآن، وكذلك الإمام الشاطبي - رحمه الله - الذي صنف كتاب (الاعتصام) في بيان البدع والتحذير منها، ناهيك عن مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - التي تنوعت بين تعليم عقيدة التوحيد، وبين تنقيتها من شوائب الشبهات، وقد نفع الله تعالى بهذه المصنفات وغيرها من جهود العلماء العاملين المخلصين، كما نفع الله تعالى بحلقات العلم التي يعقدها علماء السنة والجماعة في المساجد وغيرها، والمناظرات التي تكون بين العلماء وبين أهل البدع المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة فكانت وسيلة مهمة لتثبيت المجتمع على عقيدة التوحيد، وأحيا الله - عز وجل - بها البلاد والعباد من ظلمات الجهل والفتن، حين انتشر نور العلم وحصل به الخير العظيم.

وأخيراً أشير إلى بعض الوسائل لتثبيت العقيدة في المجتمع من خلال التعليم في العصر الحاضر:



١. العناية بالمناهج الدراسية المقررة على الناشئة، لتكون متضمنة لأصول عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا يعذر أحد في الجهل فيها، وتجديد أساليب التلقين للعلوم الشرعية لتوافق تغيرات العصر وما يجد فيه من شبهات، مع الاعتناء بالواقع العملي من خلال ضرب الأمثلة ونحوها.
٢. تحصين العقيدة عند أفراد المجتمع بتكثيف الدروس العلمية العامة التي تعنى بترسيخ الإيمان، وتعاهده بعوامل تقوية الإيمان.
٣. إيجاد مراكز علمية متخصصة في رصد الشبهات العقدية، التي تبث في وسائل الإعلام والشبكات العنكبوتية، ثم مناقشة تنفيذها من قبل أهل العلم المتخصصين، و تدريب طلبة العلم في باب العقائد على فنون المناظرة في المنتديات التي تثار حول عقيدة التوحيد، مع دعمهم معنوياً ومادياً.
٤. نشر الكتب والبحوث العلمية التي تعنى بتقرير عقيدة السلف الصالح، وبالرد على المخالفين لها، كي يسهل الإفادة منها والوصول إليها.
٥. إنشاء مواقع على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) تعنى بتعليم الناس العقيدة الصحيحة، وتتصدى لتنفيذ الشبهات حولها، والله أعلم.







## المبحث الثاني

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



إن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من عقيدة التوحيد، وعبادة تعبّد الله بها المؤمنين، وأمر بها المسلمين، والتلازم بين الإيمان بالله وهذه الشعيرة ظاهر كما في قوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠.

وقال عز من قائل: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١١٤.

ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الآخر: ( وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً، (٢١/١) برقم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم أيضاً في نفس الكتاب والباب برقم (٥٠ - ٥١).





فبين النبي ﷺ بقوله: (وذلك أضعف الإيمان) أن تغيير المنكرات من علامات وجود الإيمان، ودليل قوة الإيمان أو ضعفه. ومن المعلوم أن كل مؤمن ومؤمنة مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليست هذه الشعيرة وظيفة فئة من الناس لا يقوم بها إلا هم بل هي عبادة خوطب بها الجميع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كل بشر على وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وبينهاها، إما بمعروف وإما بمنكر»<sup>(١)</sup>. ومن هذا يتضح أن هذه الشعيرة يحتاجها كل مؤمن مع نفسه ومع أفراد مجتمعه، حيث إن المجتمع بحاجة إلى معرفة معروف يؤمر به ويعان ويرشد إليه، وإلى التناهي عن المنكر والتحذير منه.

وقد لعن الله على لسان بعض رسله عليهم الصلاة والسلام قوماً فرطوا في النهي عن المنكر فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩.

ولا شك أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوراً عظيماً في إصلاح المجتمع، والحفاظ على عقيدته، و ثبات إيمانه واستقراره، فهو من أعظم الواجبات الشرعية والشعائر الدينية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال، وأفضلها وأحسنها»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (٤٩).

(٢) الاستقامة لابن تيمية (٢/٢٢٦).





وخاصة أن الأمر بالمعروف رأسه وأصله توحيد الله الذي خلق الثقلان من أجله، والنهي عن المنكر، أصله ورأسه الشرك بالله المضاد لتوحيد الله، الذي خلق الله تعالى الثقلين من أجله، ولهذا كانت هذه الشعيرة هي مهمة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه الذي بعثوا لأجل عقيدة التوحيد.

يقول جل وعلا في وصف رسالة نبينا محمد ﷺ، والتي هي إتمام لرسالات الرسل، وختم لها: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِذُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ الأعراف: ١٥٧ .

ثم كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة أتباع الأنبياء من المؤمنين وسببا لحفظ إيمانهم، قال عز من قائل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ التوبة: ٧١ .

إن هذه المنزلة العالية التي جعلها الله للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هي لأجل ما يحصل به من الفوائد الكبار والمصالح العظام التي تعود على الأمر والنهي وعلى المأمور والمنهي، بل يعود خيرا على الأمة بأسرها فمن أبرز فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تثبيت العقيدة الصحيحة عند أفراد المجتمع المسلم .





المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تحدث أهل العلم عن المراد بالمعروف والمنكر المذكور في نصوص الكتاب والسنة نذكر منها:

أن المعروف هو «اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات»<sup>(١)</sup>، والمنكر «ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: «المتبادر من المعروف الطاعات، ومن المنكر المعاصي التي أنكرها الشرع»<sup>(٣)</sup>.

وكل ما أورده العلماء في المراد بالمعروف والمنكر يقرر بأن المعروف هو كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ وعلى رأسه التوحيد، والمنكر كل ما نهى الله ورسوله عنه وعلى رأسه الشرك.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: «المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، أعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر، كالشمس والقمر والكواكب، أو كملك من الملائكة، أو نبي من الأنبياء، أو رجل من الصالحين، أو أحد من الجن، أو تماثيل هؤلاء، أو قبورهم، أو غير ذلك مما يدعى من دون الله، أو يستغاث به، أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمة الله على لسان جميع رسله، ومن المنكر كل ما حرمة الله..»<sup>(٤)</sup>.

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير، (٣ / ٢١٦).

(٢) المصدر السابق (٥ / ١١٥).

(٣) روح المعاني للألوسي، (٤ / ٢٨).

(٤) الفتاوى (٢ / ١٢٦).



وأما الأمر بالمعروف فيشمل الترغيب فيه وتذليل سبله، حتى يثبت في المجتمع ويعم الخير فيه، والنهي عن المنكر يشمل التهيب منه، ومقاومته وتضييق سبله والأسباب المؤدية إليه حتى لا يقع في المجتمع، أو حتى لا يتكرر إذا وقع فيسلم المجتمع من تبعات وقوعه، والله أعلم.

إسهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تثبيت العقيدة في المجتمع:

إن هذه الشعيرة العظيمة هي سياج عقيدة التوحيد ووجودها علامة على وجود الإيمان في أفراد المجتمع، ويتضح دورها في تثبيت الإيمان في المجتمع فيما يلي:

١. حفظ الإيمان بالمحافظة على إقامة شعائره ودوامها:

يبرز دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالاحتساب على أفراد المجتمع في المحافظة على العبادات الظاهرة، التي لا يصح الإيمان إلا بها، بتأصيل هذه العبادات، وترسيخها في النفوس، وبالعامل على استمرارها، وبقائها قائمة في المجتمع حيث إن ثباتها ثبات للإيمان وضعفها ضعف له.

فمن ذلك الاحتساب في إقامة الصلوات الخمس للرجال في المساجد، وما يتعلق بذلك من إغلاق المحال التجارية في وقتها، والاحتساب في النهي عما يتعلق بها من تقصير ظاهر، حيث إن إقامة الصلاة هي علامة الإيمان وعمود الدين.

ففي ذلك العمل العظيم الذي يقوم به الآمرون بالمعروف





والناهون عن المنكر إعانة لأفراد المجتمع على هذه العبادة العظيمة،  
ومن ثم ثبات إيمانهم وقوته .  
وكون ذلك مظهر عام للمجتمع فيه تعظيم لشعائر الله في النفوس  
وبالتالي في القلوب.

وقد تقرر في الكتاب العزيز أن الله جل وعلا يدفع بالأميرين  
بالمعروف فساد الدين عن أفراد المجتمع، إذ لولا دفع الله تعالى بهم  
عن الناس لهدمت شعائر العبادة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ  
وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ  
يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا  
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ لِلَّهِ  
عِقَابُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ الحج: ٤٠ - ٤١ .

وفي الدفع ذكر المفسرون عدة تأويلات منها ما ذكره الرازي:  
«ولولا دفع الله بعض الناس عن المعاصي والمنكرات بسبب البعض،  
وعلى هذا التقدير فالدافعون هم القائمون بالأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر»<sup>(١)</sup>.

وقال المراد بهدمها «إبطالها وإهلاك من يفعلها»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: «لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت  
الأرض ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن  
الفاجر»<sup>(٣)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب الرازي (٦/١٦٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) روح البيان لإسماعيل حقي (١/٣٢٠).





وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم في الآية التي تليها:  
 (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ  
 الْمُنْكَرِ) فهم مع إقامتهم للعبادات، «دعوا الناس إلى توحيد الله  
 والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله، ونهوا عن الشرك بالله،  
 والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله»<sup>(١)</sup>.  
 قال بعض المفسرين على هذه الآية: «هذا من صفة ناصريه»<sup>(٢)</sup>،  
 فهم ينصرون الله تعالى بنصرة دينه وشرعه، حين يدفعون عن الناس  
 أسباب فساد إيمانهم.

وهكذا يظهر دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ  
 الدين بالحث على سائر العبادات والفرائض الواجبة المتمثلة بأركان  
 الإسلام، و التي يحصل بالمحافظة عليها حفظ الدين وثبات إيمان  
 أفراد المجتمع، حيث إن الاحتساب على هذه العبادات سبب لبقائها  
 وقوتها، وبذلك يبقى الإيمان ثابتاً قوياً، والله أعلم.

## ٢. قمع دعاة الشرك والبدع في المجتمع:

بالأمر بالمعروف تقوم عقيدة التوحيد، وبالنهي عن المنكر يندثر  
 ما يصادها من الشرك والبدع أو المعاصي، التي هي بريد الكفر.

قال تبارك و تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ  
 لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾  
 البقرة: ٢٥١.

(١) تفسير الطبري (١٨/٦٤٥).

(٢) تفسير البغوي (٥/٣٨٩).





«أي ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض»<sup>(١)</sup>.  
ولا ريب أن أعظم دفع للفساد في الأرض هو فساد العقيدة وما يضادها من الشرك والبدع.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فائدة نفيسة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تثبيت العقيدة وحفظها في المجتمع فقال: «وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله ﷺ، ويَنهَ عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله ﷺ، ويُؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله ﷺ، ويُنهَ عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وإلا فلا بد أن يأمر وينهى، ويُؤمر ويُنهى، إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزل الله بالباطل الذي لم ينزله الله، وإذا اتخذ ذلك ديناً، كان ديناً مبتدعاً»<sup>(٢)</sup>.

ويقصد رحمه الله أنه إذا لم تقم هذه الشعيرة في المجتمع ويُؤمر الناس بالدين الحق ويُنهوا عن الباطل، فلا بد أن يوجد في المجتمع من يأمر بضد ذلك مما يناقض الدين تماماً، كالشرك بالله، أو من يأمر بالباطل المتلبس بالحق، كالبدع التي تهدم الدين.

فكان القيام بهذه الشعيرة العظيمة في المجتمع سبباً لقمع دعاة الشر، وانخاس الشيطان وحزبه عن إفساد عقائد الناس بالبدع

(١) تفسير النسفي (١/١٣٢).

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (٥١).



والشركيات، ولو عطلت هذه الشعيرة أو ضُغفت، لنشط هؤلاء الدعاة بحسب ضعف الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولكان في ذلك ضرر عظيم على عقيدة أفراد المجتمع حيث إن ذلك سيجعل ساحة المجتمع مهياة لدعاة فساد العقيدة، قال الغزالي<sup>(١)</sup> رحمه الله في بيان سوء عاقبة ترك هذه الشعيرة:

«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد..»<sup>(٢)</sup>.

وذلك أن ظهور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحاصر الشركيات ويقمع البدع وأهلها، وما دامت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمة فسيُقمع أهل الشرك والبدع، ويعرف الناس ضلال دعاة الباطل وزيغهم، وبالتالي يتجنبونهم، ولا ينساقون وراءهم، فيسلمهم الله بسلامة عقيدتهم.

(١) هو: محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي الشافعي قال عنه الذهبي: صاحب التصانيف والذكاء المفرط، وقال: «وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزال الأقدام»، واشتهر بالتصوف للسائلين إلى الطريق المستقيم، من مؤلفاته المشهورة: إحياء علوم الدين، والمستصفى في علم الأصول. توفي سنة (٥٥٠٥) في طوس، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٤٣، وطبقات الشافعية للأسنوي (١١١/٢)، والفتح المبين في طبقات الأصوليين ٨/٢.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٠٤).





٣. إعزاز أهل الإيمان وإخضاع أفراد المجتمع لسلطان الدين:  
 إن الأمر بالمعروف عز لأهل الإيمان وتثبيت لهم على عبادة الله تعالى بأمن واطمئنان، وذل لحزب الشيطان من المنافقين وغيرهم، قال سفيان الثوري<sup>(١)</sup>: (إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق)<sup>(٢)</sup>.

وتنصيب الدولة الإسلامية - لاسيما دولتنا السعودية الموفقة - رجالا للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصفة رسمية، إعزاز لأهل التوحيد، وإخضاع الناس للإيمان، مما يكون سبباً لتفقية حياة أفراد المجتمع من المنكر والبغي، وجعلهم يعيشون في سعة وعافية من دينهم .

وليست الحسبة محصورة في صورة معينة بل من أعظم أثرها تثبيت عقيدة أفراد المجتمع على الإيمان بالله تعالى، حين يعيش أفراد المجتمع المسلم في أنظف حياة وأمنها من المنكرات عامة، فلا يكاد يقع فيه منكر حتى يتتابع الإنكار له، ويتداعى المؤمنون إليه فيُقضى عليه في مهده، فيصبح مجتمعا مهيبا طاهرا، لا يتجرأ فيه أهل المعصية على إظهار معاصيهم، ولا شك أن ذلك من العزة لدينه وللمؤمنين،

(١) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق، شيخ الإسلام، وسيد الحفاظ، أبو عبد الله الثوري الكوفي، الفقيه، أمير المؤمنين في الحديث، من كبار العلماء العاملين، وإمام الحفاظ في وقته، قال ابن المبارك: لا أعلم أحداً على وجه الأرض أعلم من سفيان . مناقبه كثيرة جداً، توفي سنة ١٦١ هـ . انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦ / ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٢٢٩ - ٢٧٩.

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، (١ / ٧٨) برقم (٦٨).





الحافظين لحدود الله، حين يقع الرعب والخوف في قلوب أرباب الفساد والمعاصي، وهذا مشاهد ملموس فهيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها رهبة في صدور المفسدين من المنافقين، و السحرة والمشعوذين، ونحوهم، كالذين يتعدى شرهم بإفساد عقائد المسلمين بإدعاء علم الغيب، ومزاحمة الله تعالى في حقه سبحانه بالتفرد بعلم الغيب القائل عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥).

والاحتساب على ذلك ونحوه مما يخل بالعقيدة أو يضعف الإيمان، يمكن المؤمنين الصادقين من عبادة ربهم في راحة وأمن على أنفسهم ودينهم، ومن ثم ثباتهم على العقيدة الصحيحة. فيتين لنا أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل تثبيت العقيدة في المجتمع.







## المبحث الثالث

### الدعوة



إن الدعوة إلى توحيد الله هي المهمة العظيمة التي أرسل الله تعالى لأجلها رسله وأنزل كتبه.

قال ابن القيم رحمه الله: «التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ الأعراف: ٥٩

وقال هود لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أَفَلَا نُنْقِزُوكَ ﴿٦٥﴾ الأعراف: ٦٥ وقال صالح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف: ٧٣ وقال شعيب لقومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف: ٨٥،

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦ . فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم





خمس صلوات في يومهم وليلتهم) (١) «...» (٢)، فالدعوة إلى التوحيد من أوجب الواجبات، وأجل القربات إلى الله، وهي الأصل في الدعوة إلى الله تعالى .

ومما ورد في فضل الدعوة إلى الله، قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) فصلت: ٣٣ .

وقال عز من قائل: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) آل عمران: ١٠٤

وقد شرع الله تعالى أن تكون الدعوة إليه باحسن أسلوب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥

ولقد شملت الدعوة إلى التوحيد تأصيلاً وتصحيحاً الجزء الأكبر من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في عهد النبوة، ولا ريب في ذلك، فعقيدة التوحيد أول واجب على العبيد، وهي حق الله عليهم.

إسهام الدعوة في تثبيت العقيدة في المجتمع:

لقد أسهمت دعوة النبي ﷺ في غرس التوحيد في قلوب الرجال؛ فأثر ذلك في مجتمعهم وظهر ثباتهم على الإيمان في أقوالهم وأفعالهم

(١) متفق عليه، من حديث البخاري واللفظ له في كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (١/٩٧) برقم (٧٣٧٢) ومسلم في كتاب الإيمان باب

الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٧١١) برقم (١٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٤٣).





ومنهجهم، وسائر أمورهم حتى فتح الله على أيديهم مشارق الأرض ومغاربها، وما تزال آثار الدعوة إلى عقيدة التوحيد في كل عصر تظهر في تثبيت الإيمان في المجتمع، ومن صور إسهامها ما يلي:

١. اتباع سبيل النبي ﷺ في الدعوة بجعل أولى المهمات تثبيت عقيدة التوحيد:

من المعلوم أن الرسول ﷺ، قضى ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله في عهد النبوة، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جلها كانت في الدعوة إلى توحيد الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة. قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن دعوة النبي ﷺ: «بعثه الله بالندارة عن الشرك وبالدعوة إلى التوحيد ... أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد»<sup>(١)</sup>.

ومع أن سائر الشرور كانت سائدة في ذلك الوقت، إلا أن رسول الله ﷺ جعل أوجب الواجبات وأولى المهمات الدعوة إلى التوحيد و تثبيت هذه العقيدة في النفوس، وذلك لأنه لن ينتفع أفراد المجتمع بأي عمل يعملونه إذا كانت عقيدتهم مشوبة بشائبة الشرك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ الزمر: ٦٥.

(١) الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب (١١).





وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) (١).

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة النبوية لم يزل يتعاهد المسلمين بثبوتهم على عبادة الله وحده لا شريك له.

فكانت دعوته في المدينة تشريعاً للأحكام، وثبوتاً للعقيدة، والحفاظ عليها، وحمايتها من الشبهات، والجهاد في سبيلها، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب، وبيان بطلان معتقداتهم المحرفة. والتصدي لشبهاتهم وشبهات المنافقين، وصد كيدهم للإسلام والمسلمين، وكل هذا له أثر عظيم في تثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين.

ولم يغفل النبي ﷺ عن حراسة عقيدة الصحابة رضي الله عنهم، فمن صور ذلك تحذيره لهم من الإطراء الذي فعله النصارى مع عيسى عليه السلام حتى أشركوا بالله.

فعن عمر الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تطروني) (٢) كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله) (٣).

فالنبي ﷺ أمرهم بالاعتدال حتى في مدحه ﷺ، ونهى عن رفعه عن

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد باب تحريم الرياء (٥/٥٣) برقم (٢٩٨٥).

(٢) الإطراء: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ وَالْكَذِبُ فِيهِ. انظر: النهاية في غريب الأثر (٢٧١/٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مريم: ١٦، (٤٨/٦٠) برقم (٣٤٤٥).



مرتبته خوفاً عليهم من الوقوع في الغلو الذي يخل بعقيدة التوحيد أو يضعفها، فإذا كان ذلك التحذير من إطراء النبي ﷺ فكيف بمن دونه من سائر البشر؟!!

وقد كان النبي ﷺ يحذر أمته من رفع منزلة أحد من البشر خوفاً عليهم من الوقوع في الشرك بمساواة الله تعالى بأحد من خلقه أياً كانت منزلته، وحتى لو كان ذلك في الألفاظ، وذلك من أجل قطع السبل الموصلة للشرك المخرج من الملة.

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فخطب عنده فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله) (١). قال النووي: «إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضى للتسوية، وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه» (٢).

وقد بلغ من حرص النبي ﷺ على تثبيت التوحيد، أن حذر الصحابة رضوان الله عليهم من الشرك، وصرح أنه ﷺ يخافه عليهم أشد من خوفه عليهم من المسيح الدجال.

فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والصحابة رضي الله عنهم يتذكرون المسيح الدجال فقال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟)

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (١٣/٧) برقم (٨٧٠).

(٢) شرح النووي (١٥٩/٦).





قالوا: بلى يا رسول الله.

فقال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما

يرى من نظر رجل»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الشرك الأصغر مخوفاً على مجتمع خير القرون، وهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين أدركوا نزول الوحي، فعلى غيرهم من المجتمعات من باب أولى، لاسيما مع قلة العلم وضعف الإيمان.

وقد جاء في بعض الأحاديث تسميته بشرك السرائر، لخفائه، حيث روي أن النبي ﷺ قال: (يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر، يقوم الرجل فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر)<sup>(٢)</sup>.

وكل ذلك التحذير من النبي ﷺ لأئمة يأتي في سياق دعوته لتحقيق الإخلاص في عبادة الله، وتنقيتها من شوائب الشرك، للحفاظ على الأعمال الصالحة من الضياع، كي لا يضيع الإيمان، وليثبت في القلوب، حيث سمى الله تعالى العمل الصالح إيماناً، فقال سبحانه:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣)  
البقرة: ١٤٣.

قال الطاهر ابن عاشور: «يعني الصلاة، إن الله سمى الصلاة إيماناً،

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٠٤) وحسنه الألباني من حديث أبي سعيد، انظر حديث رقم: ٢٦٠٧ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الدلمي رقم (٨١٦٤) من حديث محمود بن لبيد. وأخرجه أيضاً: ابن خزيمة رقم (٩٣٧)، وابن أبي شيبة رقم (٨٤٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٣١٤١) من حديث جابر، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣١).







ولولا أن العمل من الإيمان لما سميت كذلك»<sup>(١)</sup>.

كما كان النبي ﷺ في دعوته يحذر من الانغماس بحب الدنيا، والتعلق بها كي، لا يصبح المرء عبدا لما أعطاه الله في الدنيا من المال ونحوه، عياذا بالله.

ففي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (تَعَسَ (٢) عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ (٣) إِنْ أُعْطِيَ رِضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ تَعَسَ وَانْتَكَسَ (٤) وَإِذَا شِيكَ (٥) فَلَا انْتَقَشَ (٦) (٧).

قال ابن حجر: «عبد الدينار أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده.... وخص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا، وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصا، ولم

(١) التحرير والتنوير (١/٢٧٣).

(٢) تعس: بكسر العين ويجوز الفتح أي سقط. انظر فتح الباري (١١/٢٥٤، ٢٥٥).

(٣) الخميصة: الكساء المربع. انظر: المرجع السابق.

(٤) انتكس: إذا قام من سقطته عاوده السقوط، ويحتمل انقلب على رأسه بعد أن سقط، وقيل: الترقى في الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه. انظر: المرجع السابق.

(٥) شيك: بكسر الشين: إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش، المرجع السابق.

(٦) فلا انتقش: يريد لم يقدر الطبيب أن يخرجها وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبته عن السعي والحركة، وسوغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا، واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات.. وإنما خص انتقاش الشوكة بالذكر لأنه أسهل ما يتصور من المعاونة فإذا انتفى ذلك الأسهل انتفى ما فوقه بطريق الأولى.. انظر: المرجع السابق.

(٧) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٥٦/٧٠) رقم (٢٨٨٧).





يقبل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة»<sup>(١)</sup>.

لقد كان لهذا المنهج النبوي الكريم الدعوي في التنفير والتحذير من تأثير الدنيا على العقيدة أثر كبير في تثبيت عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم، وقد ظهر ذلك عليهم بإعراضهم عن الدنيا وإقبالهم على الآخرة خوفاً على إيمانهم.

وهكذا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يربط بين الدعوة إلى الأخلاق الحميدة وصحة العقيدة، كما في قوله في هذا الحديث: (إِن أُعْطِيَ رِضْيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطٌ)، لأنه يعلم وهو قدوة كل مسلم في دعوته، أن الناس كلما ثبت إيمانهم، واستقامت عقيدتهم حسنت أعمالهم، وفعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات بالجملة.

فمدار صلاح العمل على صحة وثبات العقيدة في القلب، فإذا صلحت استقام الناس، على الحق والخير، وإذا فسدت استحكمت في الناس الأهواء، وهانت عليهم المنكرات، وإلى هذا يشير الحديث الذي أخرجه الشيخان عن النبي ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مِضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)<sup>(٢)</sup> ولا شك أنه لا صلاح للقلب إلا بثبات عقيدة التوحيد فيه.

هذا هو سبيل النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى كما تقرر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) يوسف: ١٠٨.

(١) فتح الباري (١١/٢٥٤، ٢٥٥).

(٢) سبق تخريجه.



وكل من كان متبعاً لهدي النبي ﷺ في الدعوة لا بد أن يكون همه الأكبر في دعوته تعليق قلوب الناس في الله تعالى، وتثبيت إيمانهم بقطع كل وسيلة مفضية للشرك بالله تعالى.

٢. تثبيت الإيمان بالدعوة إلى تزكية النفوس بالأعمال الصالحة:

تتميز دعوة كافة الرسل إلى الله عز وجل بأن دعوتهم إلى التوحيد تقترن بالدعوة إلى الاستقامة والتحلي بالأخلاق الفاضلة، فكانت كل دعوة منهم إلى عبادة الله وحده مصاحبة للدعوة إلى إصلاح المجتمع وتزكيته بالعبادات التي تثمر تنقيته من شوائب الشرك والسلوكيات الذميمة وآفات المعاصي ومزالق الشبهات، وسبب ذلك أن من أهم أسباب ثبات الناس على التوحيد تزكيتهم وتطهيرهم من المعاصي المختلفة، كما أنه لا يصح الإيمان إلا بالعمل الصالح المثمر لصالح الفرد ومن ثم عامة المجتمع، فالتوحيد جالب لكل خير دافع لكل شر عن أفراد المجتمع.

والمأمل في النصوص الشرعية يجدها تركز على أن الإصلاح العقدي مصاحب لإصلاح النفس، وحملها على الجادة، والرسول ﷺ لما نزل عليه الوحي علم أن تزكية النفوس مهمة من مهمات الدعوة لتثبيت عقيدة التوحيد، حيث كانت غاية أساسية من رسالة النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة: ٢.

وقد رتب الله تعالى الفلاح على تزكية النفوس بالعبادات .



قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ الشمس: ٩ - ١٠، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ الأعلى: ١٤ - ١٥، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) النور: ٣٠، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١) النور: ٢١، فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفس، وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش والظلم والشرك والكذب وغير ذلك» (١).

فتزكية النفوس بتطهيرها وتطبيها وتنقيتها من قبائحها، لا يكون إلا بالعبادات التي تدفع العبد لترك القبائح وتنهائها عن الفواحش.

فالصلاة تزكي النفوس وتنهي عن الفحشاء والمنكر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥) العنكبوت:

. ٤٥

والصدقة طهرة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣) التوبة: ١٠٣.

ومن العبادات ما يكون وقاية للعبد من الوقوع بالمعاصي التي تنقص الإيمان كالصيام:

(١) العبودية لابن تيمية (٩١).





قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة: ١٨٣ .  
وكذا حديث النبي ﷺ (الصوم جنة) (١).

ومعناه: «وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة، وحفظ الجوارح، وفي الآخرة من النار لأنه يقمع الهوى، ويردع الشهوات، التي هي من أسلحة الشيطان، فإن الشبع مجلبة الآثام منقصة للإيمان، فهي ناهية صاحبها عن كل ما يندس النفوس بالقبائح.» (٢).

إن هذه العبادات ونحوها تصديق للإيمان، الذي يمثل بثباته وقوته أعلى درجات التزكية حين يطهير القلب مما يضاذه من نجس الشرك لأن «الشرك أعظم ما تنجس به النفس، وأعظم تزكية النفس وتطهيرها تزكيتها منه وتطهيرها منه» (٣).

وإذا زكت النفوس بالعبادة تحقق التوحيد، وثبت الإيمان.

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَدِّعُ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ فصلت: ٦ - ٧ .

(١) أخرجه الطيالسي رقم (٥٦٠)، وأحمد رقم (٢٢٠٦٩)، والترمذي رقم (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح . وابن ماجه رقم (٣٩٧٣)، والحاكم رقم (٣٥٤٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٤٢٢٥)، والطبراني رقم (٢٩٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (صحيح لغيره) برقم (٢٨٦٦).

(٢) فيض القدير (٤/٣١٩).

(٣) الفتاوى (١٦/٥٦٠).





قال ابن القيم رحمه الله مبيناً معنى الزكاة في هذه الآية: «هي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء فإن التزكي وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة، فإنه إنما يحصل بإزالة الشر فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جميعاً فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح: هو التوحيد»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح أن دعوة أفراد المجتمع إلى المحافظة على هذه العبادات المفروضة، والتزود من النوافل، سبب لتقوية الإيمان في قلوبهم وبالتالي ثباتهم عليه، فليس ثمة شيء مثبت للإيمان كالأكثر من العمل الصالح، ويقدر التزود منه يكون الثبات على التوحيد، حيث إنه كلما تقرب العبد لربه بفعل المأمور به أو ترك المنهي عنه، شمله تثبيت الله تعالى على الإيمان قال المولى تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) إبراهيم: ٢٧.

ومعنى يثبتهم في الآية الكريمة: «يحقق الله إيمانهم وأعمالهم بالقول والتثبيت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وقد بين السعدي - رحمه الله - أن الإيمان المستلزم العمل الصالح هو سبب التثبيت على العقيدة إذ لا عبرة بإيمان بلا عمل فقال: «يخبر

(١) إغاثة اللفهان (١/٤٩).

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٣١٦).



تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين أي الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها»<sup>(١)</sup>.

فاستجابة أفراد المجتمع إلى دعوتهم إلى الأعمال الصالحة، من أهم الأسباب لثباتهم على القول الثابت، كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

### ٣. تطهير المجتمع من مظاهر الشرك والبدع:

من المعلوم أن في كل مجتمع أصحاب أهواء وزيف وضلال، يسعون في جلد لإفساد عقائد المجتمع عن طريق إيجاد وسائل للشرك، أو نشر البدع المحدثه، ولا يألون جهداً في ذلك، يريدون صد الناس عن عبادة الله وحده لا شريك له، وهدفهم تحقيق منافع مادية أو غيرها، مستجيبين لإغواء شياطين الجن والإنس.

ومن هنا يظهر أثر دعوة الحق في المجتمع، وإسهام أهل العلم العاملين بإنارة قلوب وبصائر أفراد المجتمع بالقرآن والسنة، حتى يتم إبطال هذه الوسائل.

وذلك عن طريق تبصير المسلمين بأركان الإيمان وحقيقته، و مسائله الأصلية و نواقضه، و ما يتضمن ذلك من الرد على أهل الأهواء والبدع و غيرهم من المخالفين، وإلى بيان فساد المبتدعات،

(١) تفسير السعدي (٤٢٥).





والتحذير من خطورة الشرك، بالإضافة إلى دعوة المسلمين إلى تعلم العلم النافع مما لا يسع الجهل به<sup>(١)</sup> من مسائل الاعتقاد، و تقوية الإيمان في الجنان بالعناية بأعمال القلوب وبواطن العبادات حتى يرسخ الإيمان في النفوس .

إن هذا المنهج في الدعوة إلى الله، سبب لتخليص المجتمع من وسائل الشرك والبدع والمحدثه، وإبطال الشبهات التي تثار حول عقيدة التوحيد، وتقويم للانحراف العقدي عند الجاهلين من أبناء المسلمين بالشرك ووسائله، وردّ لهم إلى دين الإسلام بعدما خرجوا منه بالشرك نتيجة جهل أو شبهة مضلة.

وبعد قطع وسائل الشرك، وإبطال الشبهات حول العقيدة، يسهل تقويم الانحراف العقدي، بتوجيه أفراد المجتمع إلى نبذ كل ما يضاد

(١) قال ابن القيم: إن العلم بالمفروض تعلمه ضربان: ضرب منه فرض عين لا يسع مسلماً جهله وهو أنواع: النوع الأول علم أصول الإيمان الخمسة... فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الإيمان ولا يستحق اسم المؤمن.. فالإيمان بهذه الأصول فرع معرفتها والعلم بها، النوع الثاني: علم شرائع الإسلام واللازم منها علم ما يخص العبد من فعلها كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها، النوع الثالث علم المحرمات الخمسة التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن...)... النوع الرابع: علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصاً وعموماً، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب على الإمام مع رعيته كالواجب على الرجل مع أهله وجيرته، وليس الواجب على من نصب نفسه لأنواع التجارات من تعلم أحكام البياعات كالواجب على من لا يبيع ولا يشتري.. الخ «مفتاح دار السعادة» (١/١٥٦).





عبادة الله وحده لا شريك له، أو ينافي كمالها، كالتخلص من أسباب التعلق بالأموال والأولياء، وهدم المشاهد والقباب على القبور، وذلك سنة نبوية قويمه.

وهذه السنة أوصى بها نبينا ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأوصى علي رضي الله عنه مَنْ بعده قائلاً: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؛ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)<sup>(١)</sup>. وعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه.)<sup>(٢)</sup>.

إن التخلص من مظاهر ووسائل الشرك كهدم المساجد التي بنيت على القبور هو من أهم وسائل الدعوة لتثبيت العقيدة الصحيحة في المجتمع، وعلى هذا كان عمل السلف الصالح قديماً وحديثاً، وجادة سلكها دعاة عقيدة التوحيد امتثالاً لأمر النبي ﷺ فمن صور ذلك: أن الحارث بن مسكين<sup>(٣)</sup> رحمه الله «هدم مسجداً، بني بين القبور.. في الصحراء. وكان يجتمع فيه للقراءة والقصص والتعبير»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم. في كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (٣١ / ١١) برقم (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (٣٢ / ١١) رقم (٩٧٠).

(٣) هو أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف. مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان، سئل أحمد بن حنبل عنه فقال: ما بلغني عنه، إلا خير، قيل عنه: كان فقيهاً على مذهب مالك، ثقة في الحديث ثباتاً. وكان عدلاً في قضاؤه، محموداً في سيرته. ولي الحارث بن مسكين قضاء مصر من قبل المتوكل، وأتاه كتاب القضاء وهو بالإسكندرية. توفي سنة ٢٥٠هـ انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١ / ٢١٤). والديباج المذهب لابن فرحون: (١ / ٥٨).

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١ / ٢١٢).





كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - له جهود مشهورة في إزالة مظاهر الشرك من الأوثان، وذلك في تكسير الأحجار، وكسر بلاطة سوداء زعموا أن عليها كف النبي ﷺ، كما حطم صخرة كبيرة كان الناس يندرون لها، ويتبركون بها<sup>(١)</sup>، كما هدم الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قبة زيد بن الخطاب بيده<sup>(٢)</sup>.

والمقصود أن تخلص المجتمع وتطهيره من مظاهر الشرك ووسائله من أهم السبل التي يحصل بها حفظ العقيدة الصحيحة لأفراد المجتمع، ولكن يبقى أن إنفاذ هذا الحكم في الواقع لا بد أن يكون مبنياً على الحكمة التي يقدرها العلماء الربانيون - وبواسطة ولاية الأمر - فهم أقدر من غيرهم على تحديد المصالح والمفاسد.

وإذا تعذر إزالتها في مكان ما لأجل المفاسد الراجعة، فإن ذلك لا يسوغ السكوت عن الدعوة وبيان حكم الله تعالى ورسوله ﷺ في أي مظهر أو وسيلة من وسائل الشرك.

٤. تعريف الوافدين إلى المجتمع بعقيدة التوحيد:

يعتبر كل وافد إلى البلاد الإسلامية فرد من أفراد المجتمع، ولا بد أن يناله من خيرية هذه الأمة - مسلماً كان أو كافراً - مادام يعيش بين المسلمين، ولذا كان الوفود إلى بلد الإسلام لهم نصيب من الدعوة إلى الخير.

(١) انظر: الجامع لسيرة ابن تيمية ص (٧٨ - ٩٦)، لمحمد عزيز شمس وعلي بن محمد

العمران. تقديم بكر أبو زيد.

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (٧/١).



وأثر الدعوة عليهم وعلى المجتمع كبير وعظيم، حيث يسهم ذلك كثيرا في دخول غير المسلمين في الإسلام، كما يكون سبباً في ثبات عقيدة المسلمين منهم، وتصحيحها وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع المحدثه، عن طريق تعريفهم بمعنى الشهادتين، و نواقض الإسلام القولية والعملية ونحوها، كما هو مشاهد في مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات في هذه البلاد حرسها الله.

وهذا له أصل من هدي النبي عليه الصلاة والسلام في استقبال الوفود ودعوتهم، فقد «ناظرَ أهل الكتاب، ودعاهم إلى التوحيد..»<sup>(١)</sup>.

وكان العام التاسع للهجرة يسمى عام الوفود، لكثرة الذين يفدون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فمن هذه الوفود وفد ثقيف، وقد بين ابن القيم رحمه الله كيف كان هدي النبي ﷺ في استقبالهم فقال: «وأنزل رسولُ الله ﷺ وفدَ ثقيف في المسجد، وبنى لهم خياماً لكي يسمعوا القرآن، ويروا الناسَ إذا صلَّوا.... وكانوا يغدون إلى رسول الله ﷺ كلَّ يوم.. فمكث الوفد يخلفون إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا»<sup>(٢)</sup>.

ولما جاءت إحدى الوفود إلى النبي ﷺ، رحب بهم أجمل ترحيب قائلاً: (مرحبا بالوفد الذين جاءوا غير خزايا ولا ندأمي)<sup>(٣)</sup>.

(١) زاد المعاد (٢/١٠١).

(٢) زاد المعاد (٣/٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الرجل: مرحبا، (٧٨/٩٨) برقم (٦١٧٦).





إن هذا الهدى النبوي الكريم في دعوة الوفود يعد مرجعاً لأهل دعوة التوحيد، لكسب قلوب المدعوين ومفتاحاً لتثبيت الإيمان في قلوبهم، وقد يكونوا معول بناء في المجتمعات المسلمة، ودعاة صالحين يسهمون في تثبيت العقيدة الصحيحة في المجتمع. وأخيراً فإن من الوسائل المقترحة لإسهام الدعوة في تثبيت العقيدة في المجتمع:

١. حث الدعوة إلى أن يجعلوا عقيدة التوحيد أولى مهماتهم .
٢. تدريب الدعاة من قبل مراكز التدريب على استثمار وسائل التقنية الحديثة التي تقرب البعيد، كالشبكات العنكبوتية (الانترنت) عن طريق إنشاء مواقع الكترونية تدعو إلى عقيدة التوحيد تأصيلاً وتصحيحاً .
٣. الإفادة من وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، لا سيما مواقع الإعلام الجديد والتواصل الاجتماعي، عن طريق تخصيص برامج دعوية وحوارية مباشرة لتثبيت العقيدة وصد الشبهات عنها، بشرط ألا يتصدرها إلا أهل الرسوخ العلمي .
٤. توجيه الدعاة والمصلحين إلى العناية بشروح كتب العقيدة الأصيلة بلغة ميسرة تناسب العصر الحديث، ونشر الرسائل والمؤلفات التي توضح عقيدة أهل السنة والجماعة، وتتصف بالوضوح والإيجاز وملاءمة العصر .





٥. ترجمة رسائل علماء السلف الصالح الموجزة التي تعنى بعقيدة التوحيد إلى اللغات الحية الأخرى، وإرسالها إلى مختلف أقطار المسلمين.
٦. إبراز الجوانب الدعوية عند أئمة أهل السنة والجماعة، وكذلك نشر الرسائل الجامعة لأئمة الدعوة في عقيدة التوحيد.
٧. حث الدعاة على تحذير المجتمع من كتب أهل البدع، وتتبعها بالرد والمناقشة، وتصحيح الأخطاء الواقعة في بعض المراجع العامة.

